عبد الحسين شعبان

الجواهري

جدل الشعر والحياة





الجواهري في سطور

* ولد في مدينة النجف الاشرف عام ١٩٠٠ م. (وهناك روايات أخرى تقول بأنه ولد عام ١٨٩٧ أو ١٩٠٣) وتحدّر من أسرة عريقة في العلم والأدب.

* درس في بدايات شبابه النحو والبلاغة والفقه، لكنه إختار الشعر منذ سن مبكرة وبدأ النشر منذ مطلع العام ١٩٢١.

* عمل في التشريفات الملكية في البلاط برفقة الملك فيصل الاول ١٩٢٧ ـ ١٩٣٠ ، ثم استقال ليصدر صحيفة "الفرات" وبعد إغلاقها عمل معلما في عدد من المدارس الابتدائية في العراق .

* أصدر ديوانه الاول "ديوان بين الشعر والعاطفة" عام ١٩٢٨ وديوانه الثاني "ديوان الجواهري" عام ١٩٣٥.

* أصدر عددا من الصحف كانت "الرأي العام" الاكثر شهرة والاكثر معمّرة . ومن الصحف التي أصدرها "الانقلاب" و"الثبات" و"الجهاد" و"الاوقات البغدادية" و"الدستور" و"صدى الدستور" و"الجديد" و"العصور".

* دخل المجلس النيابي "مرشحا" عن لواء (محافظة) كربلا في خريف عام ١٩٤٧ ، واستقال منه بعد أسابيع احتجاجا على معاهدة بورتسموث وإثر اندلاع وثبة كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، التي استشهد فيها شقيقه "جعفر".

* انتخب رئيسا لاتحاد الادباء العراقيين ونقابة الصحفيين العراقيين لاول مرة بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨.

* أقام في براغ سبع سنوات من عام ١٩٦١ الى اواخر العام ١٩٦٨ ، ثم عاد الى منفاه في اواخر السبعينات واستقر في اوائل الثمانينات في دمشق.

* صدرت الى طبعة بغداد ، طبعتان جديدتان لدواوينه، الاولى عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في دمشق عام ١٩٧٩ والثانية عن "دار العودة" في بيروت عام ١٩٨٢.

* الموسوعة البريطانية خصّت الجواهري شاعر العرب الأكبر بإعتباره واحداً من المشاهير في العالم.

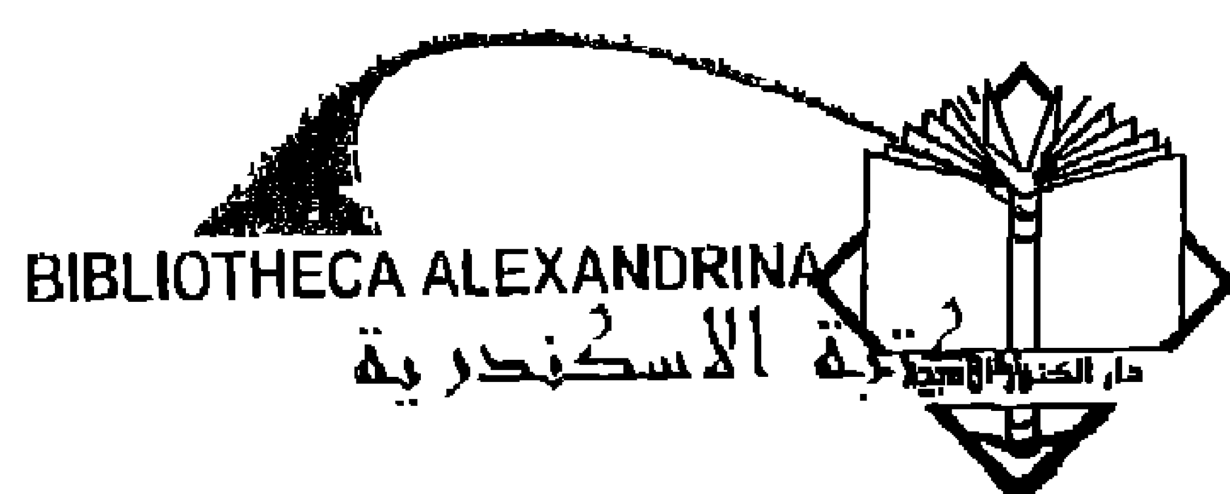
الجـواهـــــري

جدل الشعر والحياة

عبد الحسين شعبان

الجـواهـــري

جدل الشعر والحياة



الجواهري /جدل الشعر والحياة

الدكتور عبد الحسين شعبان

الطبعة الاولى ١٩٩٧

دار الكنوز الادبية

ص . ب ٧٢٢٦ ـ ١١   هـ ٦٥٣٥١٤

بيروت ـ لبنان

الإهداء

"الكنز لا يكون صديقا على الدوام، ولكن الصديق يكون كنزا في كل الأحوال"

مثل روسي

إلى رمز صداقاتي أهدي هذاَ الكتاب في زمن عزّ فيه الأصدقاء وشحّ فيه الوفاء..!

بغتة داهمني ذلك الحلم الغامض، الشديد الاخضرار، بقوته السحرية في ذلك المساء الخريفي الشفيف وفي تلك المدينة الأليفة، فوجدني أحمل قلبي وأنا في لجّة الابحار.. لم يكن لي من معين سوى البحر، الصديق العتيق الذي ضمّ حكايات عشقي وأسراري وهواجسي... إليه أعود كلّما انتابني دوّار البر أو غافلتني وحشة السكون!

ع.ش

المقدمة

بقلم: الدكتور عبد اللطيف اطيمش*

الاقتراب من الجواهري يوشك أن يكون مغامرة يصعب التكهن بنتائجها، ليس فقط على المستوى الشعري والإبداع الأدبي، بصفته عالماً شعرياً خاصاً متشابكاً عصفت به أحداث مضطربة، ولكن أيضاً على المستوى الشخصي لكينونة الجواهري وطبيعته البالغة الحساسية. أن تقترب من هذا الشاعر الغريب، عليك أن تعد العدة لنفسك، لا من ناحية الإحاطة بشعره ودراسة تطور مراحل إبداعه فحسب، بل من ناحية طبيعة مزاجه وفهم نفسيته كذلك. ولكن هل هناك من يفهم نفسية الجواهري؟

يقول الجواهري عن نفسه: "في داخلي كثير من العناصر المتفجرة، اعتزازي بكرامتي، الثقة بالنفس، والتي تصل حد الغرور أحياناً، كل هذه دمرت جزءاً من حياتي.."[1]

---

* شاعر وأديب عراقي حائز على درجة الدكتوراه من جامعة لندن (قسم الدراسات الشرقية والافريقية) له آثار مطبوعة منها كلمات طيبة (شعر) ومدن وقصائد (شعر) وجمرة على حافة القلب (شعر) وملامح من الشعر الانجليزي (ترجمة عن الانجليزية).

[1] من حوار للدكتور عبد الحسين شعبان مع الجواهري.

هذه النفس المتفجرة المضطربة، ليس سهلاً أن تواجهها، ولا هيناً أن تتعرف إليها وتكتب عنها. غير أن هذه النفس المتفجرة ذاتها، هي التي صنعت من الجواهري شاعراً لا يضاهى.

من هنا، كان الدارسون والأدباء وكتاب السّير الأدبية الذين يحاولون الاقتراب من الجواهري أو الكتابة عنه، يشعرون دائماً بالحيرة والارتباك: كيف يقتحمون عالمه المتشابك العاصف، وكيف يدلفون إلى غابات شعره الكثيفة التي اختلط فيها الخاص والعام وتنازعتها السياسة والنضال والحب ومقارعة الطغاة! فهو كما قال عنه د. عبدالحسين شعبان: "مسحور بفوضى خاصة، لم يألفها أدباء جيله، وله في الوقت نفسه سحر دائم.."[٢].

أما على مستوى لقائه الشخصي.. فإن الجواهري، إلى جانب هيبته التي تدهمك منذ اللحظة الاولى وتربكك، شخص عصبي المزاج سريع التأثر. فحساسيته وحذره الغريزي وتقلب مزاجه، جعلته شخصاً بعيد المنال، ليس سهلاً أن تحظى بصداقته، لأنه لا يهب صداقته لأيٍّ أحد، ولا يمنح ودّه للغرباء. وهو لا يألف الناس بسهولة. ولكنه ما أن ترتاح نفسه إلى إنسان ويطمئن إلى مشاعره، حتى يمنحه كل رعاية وود، ويغدق عليه من كرمه ووجدانه. فالجواهري كريم بطبعه، يقدر الصداقة ولا ينسى الجميل. فكرم محيطه وأصالة ارومته العائلية غرست في نفسه أجمل الشمائل وأغناها.

وبهذا الصدد، فأنا مازلت أحمل بعض الذكريات الطيبة عن الجواهري، أيام حالفتني الظروف في أن أتعرف عليه للمرة الأولى عام ١٩٦٠ في اتحاد الأدباء العراقيين، حين قدمني إليه الشاعر الراحل بلند الحيدري للتوقيع على بطاقة عضويتي في الاتحاد يوم كان الجواهري رئيساً له في بداية تأسيسه، ولن أنسى ترحيبه بي وتشجيعه إياي، كما تهيأ لي أن ألمس بنفسي ذلك، تلك

---

[٢] يراجع د. شعبان في هذا الكتاب.

الخصال الكريمة لديه، مثلما لمسها كل من حالفه الحظ في التعرف إليه وحضور مجلسه. فأنا أذكر زياراتنا المتعددة إليه في داره ببغداد، أواخر السبعينات، بصحبة كل من الشاعر علي الحلي والقاص الروائي عبد ا لله نيازي، وأذكر كم كان سخياً ومضيافاً، بشوشاً متواضعاً يقدم لنا الشراب بيده، يغمرنا بظرفه وأحاديثه حول الأدب والشعر طيلة سهرتنا التي كانت تمتد لساعة متأخرة من الليل. وكنت ألمس ذات المشاعر حين كنت ألتقي الجواهري في الجزائر ونستمع إلى أشعاره.

وأن تعيش في زمان الجواهري، فهذا قدر سعيد، أما أن تراه عن قرب وتجالسه وتتحدث إليه، فهو شرف وامتياز كبير.

هكذا.. إذن، صعوبة الوصول إلى هذا الشاعر الصعب، أو التفكير في مشروع الكتابة عنه. والدكتور عبد الحسين شعبان على صواب حين يقول: "لقد بات البحث في شعر الجواهري وأدبه من الأمور المعقدة، نظراً لغنى التجربة وتنوعها، وتعدد صورها الفنية.."[٣] .

هذه الشخصية الكبيرة المتناقضة حد التصادم والتطرف، التي تحدت الحكام والملوك، الطامحة إلى المجد، المحرضة والمقبلة على الحياة والمستعدة أبداً إلى رفضها والزهد فيها في أية لحظة كبرياء وانفة، هذه الشخصية كيف يصل إليها الدارس، وكيف يتعامل معها، وكيف يؤلف بين متناقضاتها، ليخرج منها في النهاية سفراً أدبياً يرسم صورة واضحة وحقيقية لهذا الشاعر الغريب الشامخ. حتى انه يصح القول ان تاريخ الشعر العربي عبر عصوره المختلفة، ومنذ المتنبي لم يشهد حياة عاصفة لشاعر، شائكة، غريبة الأطوار، تواقة للمعارك والصدامات، زاخرة بالاضداد، كحياة الجواهري.

---

[٣] المصدر نفسه.

ألم يقل هو عن نفسه: "أنا بطبعي حاد، متوتر ومتأزم، وهو ماينعكس على حالتي في رد الفعل، أحياناً يلتقي توتري الشخصي مع التوتر السياسي.."[٤] .

وكما كان المتنبي يشعر بتفكك عصره وانهياره، وفساد مجتمعه، حين نذر نفسه وشعره لاصلاح المجتمع وإعادة التوازن إلى قاعدته، مندفعاً بإحساسه الباكر بموهبته وفرادته وسط أمة ضائعة مضيعة، فقال بإعتداد صارخ:

"أنا في أمةٍ تداركها الله غريبٌ، كصالحٍ في ثمودِ"

نجد الجواهري، وكأنه يصبو إلى ذات الحلم، منذ أن بدأ، بغرور واضح، يوقع قصائده الاولى بـ"نابغة النجف"، يسعى إلى تغيير المجتمع، فبدأ، شأن كل مصلح، بتغيير نفسه أولاً، فغير لباسه، وخلع عمامته، وغير بيئته ومدينته، وخرج على السائد في المجتمع، منطلقاً نحو آفاق أرحب، مبشراً بـ"مفاتيح مستقبل زاهر" للناس، في عهد جديد، تظلل فيه العدالة الاجتماعية كل بيت، ويعيد للأمة ماضيها الزاهر ومجدها الآفل.

وهكذا، أصبح شعر الجواهري، كما المتنبي، تصويراً حياً للبطولة العربية، وتجسيداً للقيم النبيلة، ودعوة لاستعادة العنفوان العربي المفقود. فقد أدرك الجواهري، إذن، أن شعره يمكن أن يكون سلاحاً أو وسيلة تغيير، يصلح من حال هذه الأمة المفككة ويعيد لها توازنها ووجهها الوضيء، بعد أن وصلت إلى حالة مزرية، وصفها هو بقوله:

يسطو على صَنمٍ بها صَنمٌ ويغارُ من عَلَمٍ بها عَلَمُ

من جانب آخر، كان شعر الجواهري، على مدى يزيد على نصف قرن من التاريخ المضطرب للعراق الحديث، يمثل، بصورة خاصة جزءاً مهماً من حياة الشعب العراقي، بكافة فئاته وطوائفه، فهو شاهد في كل حدث اجتماعي أو سياسي، وماثل في كل تغيير وزاري، ومؤرخ لتوقيع كل معاهدة

---

[٤] من حوار الدكتور شعبان مع الجواهري.

سياسية جائرة، ثار ضدها الشعب العراقي وقاومها. وهو، بكلمة أخرى تصوير حي لأحاسيس الشعب، وتعبير عن آرائه ونبضات وجدانه وتطلعاته نحو المستقبل. وقد لخص الجواهري نفسه كل هذا، حين قال:

أنا العراقُ، لساني صوتهُ، ودمي فراتُه، وفؤادي منهُ أشطار

وكان الشعب العراقي، كلما ادلهمت بوجهه الخطوب، واشتدت به الأزمات، يستمد العزيمة من شعر الجواهري، ويجد في قصائده الأمل المشرق الذي يشيع التفاؤل في النفوس، ويمد الشباب بالقوة وحب الحياة والوقوف بوجه الظلم والطغيان. فكم من مرة، وقف الجواهري في الساحات العامة، داعياً الجماهير للثبات والتماسك، مبشراً بالخلاص القريب:

فتماسكوا، فغدٌ قريبٌ فجرهُ منكم، وكل مؤجَلٍ لَقريبُ

ولهذا، كان على دارسي شعر الجواهري وحياته، أن يدركوا أنهم أمام حالة خاصة، لابد من التعامل معها بحذر شديد. فهذا الشاعر، بعبقريته الشعرية الاستثنائية وظروف عصره، وحضوره الشخصي وحياته الحافلة، أشبه بظاهرة نادرة من الظواهر الكونية التي قد لا تتكرر إلا بعد مئات السنين. فبعد مرور أكثر من ألف عام على ظهور المتنبي، كظاهرة فريدة، "ملأت الدنيا وشغلت الناس"، لم نلاحظ تكرر هذه الظاهرة إلا بظهور الجواهري في عصرنا الراهن، وكأنه يذكرنا بامتداده الطبيعي والتاريخي مع أصالة المدرسة الشعرية في العصر العباسي. فهو آخر سلسلة من شعرنا العربي الكلاسيكي بكل جماله وفخامة لغته.

وقد كان الدكتور طه حسين مدركاً لهذه الحقيقة، حين وصف الجواهري بقوله: "انه البقية الباقية من التراث الأدبي العربي الصحيح..".

وإذا كان العراق قد أنجب، منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة في أوائل العشرينات من هذا القرن، شعراء الرعيل الأول الكبار كالرصافي والزهاوي

والكاظمي والشبيبي والشرقي والصافي النجفي والعمري والأخرس والبصير، والذين كانوا أقرب إلى تيار المدرسة الاحيائية في الشعر والمجددين في أساليبها. كما أنجب أيضاً، لاحقاً، كوكبة من شعراء الحداثة الرواد المبدعين، كالسياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري، إلا أن الجواهري يظل وحده مدرسة خاصة متميزة الملامح، لا يمكن إدراجها ضمن أي تصنيف مرحلي، أو تقسيم تاريخي تقليدي.

وشعر الجواهري بقيمه الجمالية العالية، يمثل سمو الروح وصفاءها مع جذوة الأمل المتجدد بوجه اليأس، وتفشي القيم المنهارة، وفساد الضمير. وقد عبر الشاعر عبد الوهاب البياتي عن هذه الحقيقة حين خاطب الجواهري في ذكرى عيد ميلاده، بقوله:

شعرك كان الزادَ والماءَ في عراقِنا الطاعن في الحبس
تعاقبَ الطغاةَ في نفيهِ بين الغد المجهول والأمس
ماذا أسميك، وأنت المدى وطائرُ العاصفةِ القدسي؟

إن الجواهري، حقاً "طائر العاصفة" هو الطائر المتحدي المصفق أبداً بجناحيه العملاقين، وسط اللهيب العاصف، وحياة الجواهري كلها ليست إلا عاصفة ملتهبة متواصلة لا تعرف الهدوء وانه كان دائماً في موقف التحدي. وعنصر التحدي هو طاقة الجواهري المثلى المخزونة في داخله والمحركة لمجال إبداعه. فهو يكتب أروع قصائده حين يكون متحدياً. فعناصر التحدي لديه هي النار التي تشتعل بها قوافيه، وتضيء دواخله، وتجعله يقف، لا كشاعر واثق، شامخ فحسب، بل كفارس أيضاً... يقارع وسط المعارك.

من هنا، كان أساس الاقتراب من شخصية الجواهري ودراسته، يعتمد، كما ذكرت، على ركيزتين اثنتين: اولاهما الاحاطة بتفاصيل حياة الجواهري ومتابعة شعره، وثانيتهما صداقته وكسب ثقته. ولذا نستطيع أن نقول ان الدكتور عبد

الحسين شعبان هو أحد الأدباء القلائل الذين نجحوا في اختراق الأسوار العالية، ليصلوا إلى الجواهري، ويكتشفوا عالمه الغامض الآسر، ليستخرجوا مادة غنية ونادرة لهذا الكتاب المميز. فهو من الصفوة القليلة التي استأثرت بثقة الجواهري وتقديره، ففتح لهم قلبه بمحبة، وكشف لهم عن مكنونات أسراره ومشاعره. فقد ربطت بينهما صداقة طويلة امتدت إلى مايزيد عن ربع قرن من الزمان، بدأت في النجف الأشرف (مسقط رأسيهما) وتطورت في بغداد، ثم عبر المنافي، بعد ذلك، في براغ، ودمشق وعواصم أخرى.

كما صادف أن تهيأت عوامل أخرى وطدت هذه الصلة الفكرية، فتطورت إلى صحبة أدبية، لم تزدها السنون إلا ثقة وإعجاباً ومحبة.

ولعل أهمها ان د. شعبان ينحدر من عائلة دينية عريقة ذات علم وأدب، عرفت، منذ زمن بعيد، بصلاتها الحميمة، وارتباطاتها الوثيقة مع عائلة آل الجواهري المعروفة ذات التاريخ الديني والأدبي في النجف. وقد ساعدت هذه الوشائح المشتركة على إحاطة المؤلف بالخلفية الاجتماعية والنفسية لطبيعة البيئة التي تربى فيها الشاعر وتعرفه على الأجواء الفكرية والدينية التي فتح الجواهري عليها عينيه ورضع منها منذ طفولته الاولى، والتي كونت، بعد ذلك، تركيبته البايولوجية، وبلورت مزاجه الخاص، وحددت ملامح شخصيته العامة. فهذه كلها، إذن، هيأت الأجواء للمؤلف لأن يقترب من عالم الجواهري (وخاصة عبر الحوارات العديدة التي أجراها معه) حيث البوح الشاعري والأسرار الشفيفة النائمة في الأعماق، والذكريات البعيدة الغائمة التي قلما يكشف عنها الشاعر لأحد. فالجواهري عصي، صعب القياد، وكما قلت، لا يمنح أسراره، وثقته بسهولة، بالرغم من دماثته وطبيعته الودودة بحكم نشأته العائلية. ولكن المؤلف تمكن، بحذق، كيف يستدرج الشاعر ليتحدث بإفاضة، ويخرجه من توجسه وحذره اللذين صارا جزءا من غريزته نتيجة الأيام والمحن التي عاشها، بالرغم من عفويته التي تغلبه أحيانا، فيقع في الغفلة،

إذ يمنح ثقته لمن لا يستحقها، حين لا يحصد غير البلاء، فيندم على ماصنع، ويحس انه وقع في الخطأ ذاته الذي طالما شكا منه أبو العلاء المعري:

وأعجبُ مني، كيف أخطىء دائماً   على أنني من أعرفِ الناس

أقول، ان تلك الثقة والصداقة الشخصية بين المؤلف والشاعر الكبير، كانت هي المفتاح الرئيسي للوصول إلى خزائن نفس الجواهري العامرة بالخصوصيات الخبيئة، ومكنونات السنين العصيبة، الطافحة بذكريات الأحداث المتلاطمة التي عاشها عبر تاريخ العراق السياسي، والتي شاءت الأقدار أن تضعه ـ كشاعر أمة ـ في قلب العاصفة وفي صميم الأحداث.

فانطلقت نفس الجواهري تتحدث على سجيتها، منسابة بهدوء، تسرد الذكريات التي طواها الزمن، فتعيدها حية بشخوصها وتواريخها وأماكنها، تستعرض الأحداث وتعلق عليها، محللة نتائجها بالنقد واستخلاص العبر، تسعفه بذلك ذاكرة لم تزل صافية متوهجة، رغم تقدم العمر وتقادم العهود.

والدكتور شعبان، عرف بدراساته الأدبية والفكرية وبحوثه الثقافية ذات النزعة التجديدية والانسانية، فهو باحث أكاديمي متخصص، وحقوقي بارز تميز بآرائه النقدية الجادة التي ظهرت في العديد من مؤلفاته المنشورة.

فحين درس، في هذا الكتاب، شعر الجواهري، لم يقصر اهتمامه فقط على الناحية التأثيرية أو الانطباعية، أو تذوق العنصر الوجداني الخالص، ولكنه عني كذلك بالجوانب الموضوعية التطبيقية، حين ربط شعره بأحداث التاريخ. فالجواهري شاهد على التاريخ، وشعره يمثل تاريخ العراق الحديث منذ بداية تأسيسه، بحيث أصبحت كل قضية تؤرخ لحدث واقعي معين من تاريخ الشعب العراقي، ولاسيما الجانب السياسي منه. حتى اننا نستطيع القول ان من يريد دراسة تاريخ العراق المعاصر، عليه أن يبدأ بدراسة شعر الجواهري أولاً.

ولعل من أبرز مزايا هذا الكتاب الممتع، أن المؤلف خرج في تأليفه عن الطرق التقليدية المتبعة في كتابة الدراسات الأدبية والسير الذاتية التي اعتادت

أن تتبع منهجاً معيناً من مناهج البحث العلمي، أو تلزم نفسها بنظرية مدرسة معينة إزاء كتابة حياة المشاهير أو سير ابطال التاريخ وإنما تخطاها إلى فضاء أرحب، يتسع لرحابة شعر الجواهري وحياته العريضة التي لم تعرف منهجا محددا ولم تحدها حدود فترك البحث يسلك مجراه الطبيعي في تدفق الأحداث وتحرك أجواء الشعر وانسيابه بتلقائية مع جريان نهر الذكريات في ذاكرة الشاعر الكبير فاستقام الكتاب، وكأنه ليس نوعاً من كتب "الاوتو بايوغرافي"، وإنما هو فصول رواية شائقة، تتعدد فيها المشاهد وتتصارع داخلها الأحداث الدرامية عبر حركة دائبة للشخوص والأبطال.

من مزايا هذا الكتاب أيضاً، انه ينصف الجواهري من زمنه وناسه، ويضع الحقائق واضحة أمام القارىء، بموضوعية تزيل كثيراً من الشوائب والملابسات التي حاول حساد الشاعر وأعداؤه أن يلصقوها به. فقد ظلم الجواهري كثيراً من قبل الساسة والحكام، وأصابه الحيف والغبن من شتى العهود والحكومات، بسبب مواقفه الجريئة المشرفة ووقوفه إلى جانب شعبه في كل معاركه النضالية، كما ظلم أيضاً من قبل المقربين إليه، من فئات سياسية أفنى عمره معها، وحسب عليها وكان يفترض بها أن تقف إلى جانبه في الأزمات، فوقفت إلى جانب أعدائه. كما امتد الظلم والتنكر ليأتي من بعض أصدقائه من أدعياء الأدب فأساؤوا فهمه، ولم ينصفوه، بل شهروا اقلامهم ـ تحت ضغوط معينة وأهواء مادية ـ لمهاجمته والنيل منه. فهذا الكتاب ينصف الجواهري من خلال الحقائق الموضوعية التي طرحها بدقة وعناية.

لقد كتب هذا الكتاب السسيوثقافي بأسلوب مشرق ولغة شفافة، مع تحليل عميق للأحداث والشخصيات التي عاصر المؤلف بعضاً منها معايشة أو متابعة، مما يعطي القارىء متعة جمالية فريدة إلى جانب غزارة المعلومات التاريخية والأدبية. وبالرغم من أن كتباً عديدة ودراسات جمة قد كتبت عن الجواهري وشعره، تناولته عبر زوايا مختلفة من مراحل حياته، ولكنها قلما عنيت بالجانب التوثيقي والتاريخي للأحداث والشخصيات المهمة الفاعلة في

الحياة السياسية والحزبية في العراق، مثلما عني بها هذا الكتاب. فقد بذل المؤلف جهداً كبيراً في الرجوع إلى مصادر الأحداث إلى الكتب والمراجع التاريخية، للتأكد من توثيق كل حادثة أو شخصية أدبية أو سياسية والرجوع إليها في مضامينها المعروفة. فهو أحياناً لا يكتفي، بما يرويه الجواهري من سرد يعتمد على الذاكرة المثقلة لوقائع أو ملابسات اجتماعية أو سياسية بعيدة، أو حتى أسماء لشخصيات يرد ذكرها في سياق الذكريات، بل يبادر إلى التعريف بها وتسليط الضوء عليها في متن الكتاب أو حواشيه، توخياً للأمانة التاريخية وإشباعاً لنهم القارىء وفضوله في مواكبة الحدث التاريخي. إن غنى المادة وجدّتها، (فبعضها لم يعرف من قبل و لم ينشر في كتاب حول خصوصيات الجواهري) ناهيكم عن متابعة مسارات الجواهري المتنوعة من خلال النص الشعري جعلت من هذا الكتاب، ليس فقط كتاباً أدبياً شاملاً حول شعر الجواهري وحياته، وإنما جعلته كذلك مصدراً تاريخياً لا غنى عنه لدراسة تاريخ العراق من خلال هذا الشاعر العظيم.

انني أحيي الدكتور شعبان على إنجاز هذا العمل الكبير، وانني لعلى ثقة من أن القراء سيقرأون من خلاله شاعرنا الكبير بعيون جديدة، ويكتشفون فيه عالماً جديداً ساحراً لا يحتله بجدارة إلا الجواهري الخالد.

عبد اللطيف اطيمش

لندن - تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٦

تمهيد

المتتبع لحياة الجواهري، يشعر وكأنه يتحرك في منطقة شائكة، وعلى ارض مزدحمة بالشعر والهمّ العام، وكأنهما متلازمين لا ينفصمان. وسرعان مايدرك من القراءات الأولى، أنه ليس أمام شاعر فحسب، بل هو أمام "حالة شعر" بكل معنى الكلمة.. بطقوسها وفضاءاتها وعبق شذاها، حتى تكاد القصيدة تسيح، طازجة شهية، فتدلك على مملكة الشعر أو صومعة الشاعر، حيث يمارس عملية الخلق، بجو أقرب إلى التبجيل والاحتفاء وبمعاناة فائقة، فتأتي شفيفة ومعافاة، تدخل القلب وتحتل مكانها في العقل.

من نبرته الاولى يُعرف الشاعر، فما بالك ونحن أمام واحة شعرية تحفل بكل الألوان والأصناف ولكل المناسبات، قوامها نحو عشرين الف بيت، متوزعة على أكثر من سبعة عقود ونصف من الإبداع. فوراء كل شيء يقف الشعر شاخصاً، بأدواته المطواعة التي يستخدمها الشاعر بدقة وانسيابية وخلف لهجته الجميلة ووجهه الحاد الملامح، المتغضن بأنفاس الشعر، وأصابعه الممدودة يستحضر عملاق الشعر في داخله، لينطلق مثل شلال هادر، ثم ليسير بعذوبة دجلة والفرات، راسماً أو معيداً رسم حياتنا لا بصورتها المتخيلة أو وهمها فحسب، بل بتفاصيلها وشخوصها وألوانها، مع نكهة حب ومذاق تحدٍ، كانا السمة الأبرز لشاعرنا الكبير. هو الجواهري، بتناقضه المحبب وجمعه الأضداد بهرمونية وتناسق باهر، بصعوده ونزوله، بجوانبه المشرقة والمضيئة، ونقاط ضعفه الانسانية، في شبابه وشيخوخته، أردت أن

أقدمه للقراء، ليس ببحث أكاديمي تقليدي، بل من خلال شعره وجوانب من حياته، على لسانه تارة وبالتتبع لحياته وشعره تارة أخرى. وكنت حريصاً على أن أقدم رؤيتي الشخصية لـ"أبي فرات"، كيف كنت أتخيلها في الطفولة وكيف تشكلت ملامحه في فتوتي وشبابي وبمَ ارتبط اسمه، وفيما بعد خلال الصداقة المديدة التي ربطتني به، محاولاً تسليط الضوء على بعض الجوانب اليومية الاعتيادية، الانسانية من حياته وبعض مواقفه. ومستكملاً ذلك بحوارات كثيرة ومختلفة، كنت قد أجريتها معه في فترات متفاوتة، ومن خلال صحبة طويلة.

لم يرغب الجواهري بالجلوس على مقاعد مطلية بالذهب، ولم يخترها أو يفكر بها يوماً، لأن خياره، بل هاجسه الأول، ذهناً ومزاجاً وفناً، كان الجلوس على قمة الشعر، إذ هو الأكثر استحقاقاً، حين يُكنّى بشاعر العرب الأكبر، بل هو حامل لواء الشعر الكلاسيكي "المعاصر" والماسك بحلقته الذهبية بجدارة، ليس أقل منها جدارة أن يدرك القائمون على "جائزة نوبل" حقيقة الشعر في حياة العرب، وحقيقة شاعر كالجواهري، ورغم أنه عربي العقل والهوى والمشاعر، إلا أنه خارج حدود التصنيف التقليدية الوطنية والقومية، لكونه شاعراً تجاوز زمانه ومكانه بنزعته الانسانية وإبداعه المتميز.

وحسبي هنا أن أردد ماقاله الشاعر الكبير عمر الخيام:

"إلاهي قلْ لي من خلا من خطيئة وكيف ترى عاش البريء من الذنبِ
إذا كنتَ تجزي الذنب مني بمثلهِ فما الفرق مابيني وبينك ياربّي"

عبد الحسين شعبان

كنغستون - لندن

٢٩ - ١٠ - ١٩٩٦

*- انظر: رباعيات الخيام - ترجمة الشاعر أحمد الصافي النجفي، دمشق ١٩٣٣.

الفصل الأول

الذاكرة تتشكل: قصيدة وصورة

كان اسم الجواهري، منذ طفولتي، يملأ الأجواء، حتى أني كنت أتخيله، وأنا ذاهب إلى مدرستي الابتدائية "السلام" في محلة العمارة، بالنجف الأشرف[1] ماراً في الذهاب والإياب أحياناً، أمام مدرسة الجواهري الدينية الشهيرة، التي مضى على تأسيسها أكثر من مئتي عام، حيث كان راعي الأسرة الجواهرية وباني مجدها الأول، الشيخ محمد حسن، صاحب كتاب "جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام" قد ذاع صيته العلمي وشاع إسمه في ذلك الزمان. وغدا كتابه مرجعاً رئيسياً للمنهج الدراسي، في جامعة النجف الفقهية، التي شُيّدَ صرحها منذ نحو

---

(1) النجف، هي المدينة التي تقع على طرف الصحراء بالقرب من نهر الفرات المار بالكوفة. وتسمى في أحيان كثيرة، بالنجف الأشرف، تأكيداً على قدسيتها ومن أسمائها الأكثر شهرة: الغري ووادي السلام والمشهد أي مشهداً لملتقى الأطراف من حضر وبدو، قبائل ووافدين، ملل ونحل، ويقال عن النجفي أحياناً أنه: "المشهدي". ومن أسمائها أيضاً النجف السعيد وتكنّى بخدّ العذراء.

وفي كتاب "تاج العروس" ورد اسم النجف، باعتبارها مسنّاه بظاهر الكوفة، تمنع ماء السيل أن يعلو منازلها ومقابرها. ويذهب العلامة الدكتور مصطفى جواد، إلى القول، أن النجف: أرض عالية معلومة تصدّ الماء الذي ينجّفها (يحيطها) أيام السيول. ويصفها ياقوت الحموي في "معجم البلدان" بأنها: أعدل أرض الله هواءً وأصحّها مزاجاً وماءً. وذكرها ابن جُبير أيضاً. وورد في تاريخ الطبري: ان النعمان بن المنذر جلس في قصره "الخورنق" المطل على النجف (في الحيرة) فأعجبه مارأى من البساتين والنخيل والأنهار. والواقع فإن النجف كانت الحد الفاصل للصحراء أو البادية الشاسعة الممتدة إلى المملكة العربية السعودية.

ألف عام، حيث ينبغي على المتطلع، لنيل درجة الاجتهاد في علوم الفقه واللغة، أن يكون ملّماً بكتاب صاحب "الجواهر" الجد الأقدم للشاعر. والكتاب عبارة عن موسوعة للدورة الفقهية الاستدلالية الكاملة وتتألف من عشرين ألف صفحة وضعها المرجع الديني الأعلى في مطلع القرن الثالث عشر الهجري أي النصف الأول من القرن التاسع عشر. وقد توفي جد الشاعر عام ١٨٥٠ وظل قبره مميزاً في النجف بقبته الزرقاء كعلامة بارزة في المحلّة. وتضم الأبواب الزرق في النجف مقابر العوائل الثلاث الشهيرة وهم السادة آل بحر العلوم وآل الجواهري ومسجدهما، وجامع آل كاشف الغطاء[٢] .

وإذا كان الجواهري، قد أخذ من أسرته الشهرة الأولى، وهو يخطو أولى خطواته في سلّم المجد، فإنه أعطى للأسرة إسمه، الذي طغى فيما بعد على مشاهيرها.

* الجواهري في بيتنا!

كانت قصائد الجواهري ودواوينه، تزيّن مكتبة العائلة، حيث كان أعمامي، من مريديه والمتغنين بشعره وتحوي مكتبة الاخوال الكثير من القصاصات والصحف التي تتابع أخباره ونشاطاته الإبداعية مثلما كانت دواوينه تتصدرها، وكانوا مع بقية من مثقفين وأدباء، لا ينفكّون يتجادلون بما نظمه الجواهري وما كتبه!.

هكذا نشأ الجواهري، معنا في المنزل، إذا جاز التعبير، أو بالأحرى، نشأنا ونحن نتطلع إليه. فمدرسة الجواهري للعلوم الدينية والفقهية، كانت قريبة من دارنا في "عكّد السلام" وآل الجواهري، يتوزعون بالقرب من بيوتنا المتراصة

---

(٢) تعتبر النجف رابع المدن الإسلامية المقدسة، بعد مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف، فإضافة إلى احتضانها قبر "الإمام علي بن أبي طالب" هي موطن الأولياء ودار هجرة الأنبياء وبها منزل النبي إبراهيم الخليل ودفن فيها النبي هود والنبي صالح. وتضاهي جامعتها التاريخية، جامعات الزيتونة والأزهر والقرويين، وتعتبر امتداداً لمدرسة الكوفة الشهيرة، وقد بلغت أوجها أيام الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، المتوفي عام ٤٦٠ هجرية. قارن: محمد مهدي الجواهري "ذكرياتي" جزءان، ج١، ط١، دار الرافدين، دمشق، ١٩٨٨، ص٢٢٤.

والمتكاتفة والملتفة، حول صحن الإمام علي ومرقده الذي تعلوه القبة الذهبية المتوهجة، والباعثة على الجلال والهيبة.

في تلك البيئة النجفية ولأسرة عربية، تهتم كباقي الأسر الكبيرة في النجف، بالشعر والأدب والمجالس الحسينية، إضافة إلى مكانتها الدينية، ولدتُ وترعرعتُ لتغدو تلك الروافد الروحية إحدى أهم ركائز حياتي المستقبلية.

وكان الشعر بخاصة والأدب بعامة، يشكلان الأساس، الذي لا غنى عنه في المجالس والمناسبات الأدبية والدينية والاجتماعية، التي هي أقرب إلى الأندية الثقافية والفكرية، تطورت على مر العصور. فقول الشعر في النجف ــ وكما تعارف عليه الناس ــ طبيعي، بمعنى آخر، انه غير مصطنع أو يهدف إلى الكسب، أي إنه وجداني (ضميري) نابع من الشعور وليس أمراً تعليمياً.

يقول الجواهري ان الظاهرتين الدينية والأدبية كانتا تلتقيان وتصب كل منهما في مجرى الأخرى، وذلك بحكم فصاحة القرآن الكريم وبلاغته دينياً. أما أدبياً، فمن منطلق الكتب الأدبية مثل نهج البلاغة وأمالي القالي والمرتضى وكتاب الأغاني للأصفهاني وما ترك الجاحظ من روائع وما خلف الشعراء من تحف ونوادر... ثم كتب النحو والبيان وبما فيها من تقويم الكلمة والبحث عن أسرار بلاغتها.

وكانت المعارك الأدبية والثقافية في ليالي الجمعة أو أيام الأربعاء (اماسي الأربعاء) قد حظيت بشهرة كبيرة، كما يورد الشيخ جعفر باقر محبوبة في كتابه "ماضي النجف وحاضرها" حيث كان الشعر متعة تلك المجالس الأثيرة، تجري فيه المطاردات الشعرية وفي المقدمة منها مسابقات "التقفية" الصعبة، حيث يقرأ المتسامرون هذا البيت وذاك ويتركون للآخرين إستنباط القافية[٣]

---

(٣) قارن الجواهري "ذكرياتي" ج١، مصدر سابق، ص ٦٥ ـ ٧٠ كذلك انظر: جعفر باقر محبوبة "ماضي النجف وحاضرها"، ثلاثة أجزاء، دار الأضواء، ط٢، بيروت، ١٩٨٦. علما بأن الطبعة الأولى صدرت عام ١٩٥٨.

وإذا كان الشعر علامة فارقة للنجف، فإن جو المدينة كان عـاطراً بـالعلم والمعرفة والفقه واللغة أيضاً.

ويمكن القول، أنـه لا يمكـن التعـرف علـى هوّيـة أي مجتمـع أو أمـة دون التعرف على فنونها وآدابها وبالأخص شِعرها ولا يمكن التعرف علـى الفنـون والآداب ناهيكم عـن الشـعر، مـا لم يتـم التعـرف علـى بيئتهـا الاولى، إذ هـي سلسلة متواصلة متماسكة حتـى وإن بـدت بعيـدة وواهنـة. فهـل نسـتطيع أن نفهم وبالتالي نلمَّ بالأدب الانكليزي والشعر منه بخاصة دون أن نعـرف مـدى ارتباطـه بـالبحر والقرصنـة والتجـارة وتعلقـه بـالرموز والتأثـيرات الدينيـة والفولكلورية والتجارية والاجتماعية والبيئيـة وغيرهـا؟ هكـذا أيضـاً لا يمكـن الإلمام بالشعر العربي القديم ما لم نفهم الصحراء وطبيعتهـا والقيـم الاجتماعيـة السائدة والـتي مـايزال تأثـير بعضهـا موجـوداً حتـى الآن.. رغـم انتشـار قيـم الحضارة والمدنية وثورة التكنولوجيا والاتصالات.

وقد وصف الأديب اللبناني أمين الريحاني، النجف باعتبارها "أعظم مدينة في العالم" لا في زخارفها أو جمال قصورها، بل في رجالها!![٤].

* فتوة وإرهاص!

دخل الجواهري ذاكرتي الطفولية الأولى مصحوباً بالإيمان حد القدسية، والافتتان

---

(٤) حينما زار أمين الريحاني النجف عام ١٩٢٢ كتب الجواهـري قصيدتـه النونيـة، الـتي يحييـه فيها ومطلعها:

أرض العـــراق ســـعت لهـــا لبنـــان فتصـــافح الانجيـــل والقـــرآن

ولكن أمين الريحاني إنحاز إلى ساطع الحصري في الخلاف مع الجواهري بسبب الفتنـة الطائفيـة وشوّه في كتابه الموسوم "قلـب العـراق" صـورة ذلـك الخـلاف، فـانتهز الجواهـري قدومـه إلى العراق لتغطيـة أخبـار انقـلاب بكـر صدقـي عـام ١٩٣٦، حيـث نشـر مقالـة مدويـة بعنـوان "جاسوس في أوتيل تايكرس بالاس" فما كان منه إلا أن يطوي أوراقه ويرزم حقائبه ويرحل. انظر تفاصيل هذه الحادثة في كتاب الجواهري "ذكرياتي" مصدر سابق، ص ٣٢٨ - ٣٤٠ وما رواه المؤلف في حواراته.

حد الوله، وبقصائد نارية، زادت جذوة الفتوة اشتعالاً. وكان هـذا يكبر معي بمرور الأيام، خصوصاً التأثر بقدرته العالية في التعبير عن أحاسيس وإرهاصات، كان هو وحده خير من يستطيع ويُحسن التعبير عنها، حتى ليقودنا إلى طريق مليئة بالمفاجآت والأحلام، مفضية إلى عوالم أخرى موشاة بالذهب تارة، وبالألغام تارة أخرى، بروعة وإبداع بالغين، وأخيراً تصويره لعنصر التحدي والإقدام الذي امتاز به الجواهري على نحو لا يضاهيه فيه أحد، وقصيدته العمودية التجديدية، ذات البناء اللغوي الخاص والايقاع الموسيقي المتميز والمعاني الانسانية التي تنضح بها، وكأنها تريد أن تحلّق بك في أجواء علوية سامية، في حين تتجذر في الأرض وتمد عروقها عميقاً في التربة العراقية، شامخة مثل نخيل العراق، مشرئبة نحو أفق واسع مديد، يتجاوز فضاء العراق نحو أمة العرب جميعاً، حاملة معها صدق المشاعر الانسانية الشفيفة.

لم تكتمل صورة الجواهري في مخيلتي الصغيرة، لكنها أخذت تحفر مكانها في الذاكرة لتستقر تدريجياً، منتقلة من المخيلة إلى الواقع.

كانت أجنحة الروح تخفق معه حين يقول قصيدة التحدي ذات الألق الخاص والتأثير المتميز المرصع بصور لاهبة شديدة الإيحاء كثيرة التموجات خصبة الأحاسيس مشحونة بمعاني الحياة المملوءة بالتقلب والتعرج والتناقض!.

لازمتني تلك الصحبة على امتداد تلك السنوات، فقد كنت وما أزال أجد في الجواهري معيناً لا ينضب لينبوع الشعر، المندفع بغزارة والملون بكل ألوان الحياة، فكنت التجئ إليه في الحزن والفرح، في الهم والكدر، مثلما في الانشراح والانبساط، في لحظات الضعف، وعند الشعور بالقوة، في الانكسار والخيبة، وفي الشموخ والاعتداد.. باختصار في حلو الحياة ومرِّها، كنت أجد الجواهري خير مَنْ يهديني أو يرشدني، فطريق الشعر وإن كان يرميك في أتونه أحياناً وفي محرقة قصائده، لكنه في الوقت نفسه يجعلك تشعر بالدفء، مُوقداً في روحك التأمل وربما الحكمة أحياناً، ناقلاً إياك من عالم سفلي إلى عالم علوي، حتى ليكاد

يطهرك مما علق بك من أدران أو يمنحك قدرة أكبر على تذوق الجمال والإحساس بقيمة الحياة وعمل الخير.

الذاكرة الأولى بدأت تُختزن بقصائد وأبيات لها دلالات ومعان مرتبطة مع تلك الأيام، وبأسماء وبطولات وصور وتشكيلات كانت تؤلف المشهد الأكثر حضوراً في الصراع. وينبع بعضها من إشكاليات الجواهري ذاته، إذ باستطاعته تحويل أية مناسبة، إلى فرصة لتقريع الحكام، بل جرهم على المكشوف إلى حلبة الصراع ليعلن تحديه المباشر.

إن هذه القدرة العجيبة على التحدي، كانت السمة الأكثر تميزاً في شخصية الجواهري وشعره، وكانت الجانب الأكثر تأثيراً في الشباب التوّاق إلى التغيير والتجديد. وتكاد قصيدة مثل "هاشم الوتري"(٥) تعبّر عن مرحلة كاملة، حيث يقول في مطلعها:

إيه "عميد الدارِ" شكوى صاحبٍ … طفحتْ لواعجُهُ فناجى صاحبا

ثم يرد الجواهري على السياسة السائدة ذات المكر الخاص فيقول:

حشدوا عليَّ المغريات مسيلةً … صغراً لُعابُ الأرذلين رغائبا
بالكأس يقرعها نديم مائلاً … بالوعد منها الحافتين وقاطبا
وبتلكم الخلواتِ تمسخُ عندها … تلْعُ الرقابِ من الضباء ثعالبا
وبأن أروح ضحىً "وزيرا" مثلما … أصبحتُ عن أمرٍ بليل "نائبا"
ظناً بأن يدي تمدُّ لتشتري … سقط المتاعِ، وأن ابيعَ مواهبا

ويهاجم الجواهري ويتحدى:

أنا حتفهم ألج البيوت عليهمُ … أغري الوليدَ بشتمهم والحاجبا
خسئوا: فلم تزلِ الرجولةُ حُرة … تأبى لها غير الأماثِلِ خاطبا
أعرفتَ مملكةً يُباحُ "شهيدُها" … للخائنينَ الخادمينَ أجانبا؟

---

(٥) ألقيت القصيدة في حزيران (يونيو) ١٩٤٩ في احتفال أقيم تكريماً للدكتور هاشم الوتري عميد الكلية الطبية العراقية، الذي تم اختياره عضو شرف في الجمعية الطبية البريطانية.

مســـتأجَرينَ يخرِّبـــون ديـــارهُمْ ويكـــافئون علـــى الخـــراب رواتبـــا
متنمّريـــن يُنصّبـــون صدورهــــم مثـــلَ الســـباعِ ضـــراوةً وتكالُبـــا
حتـى إذا جـدّت وغـــىً وتضرَّمــت نـــارٌ تلَـــفُّ أبـــاعداً وأقاربـــا
لزمـوا "جحورهُـمُ" وطـــار حليمُهـمْ ذعـــراً وبُدّلـــت الأُســـود أرانبـــا

وفي قصيدة "تنويمة الجياع"، يعرض الجواهري، الاستلاب الطبقي بطريقة ساخرة:

نـــامي جيـــاعَ الشـــعب نـــامي حرسَـــتْكِ آلهــــة الطعــــامِ

وفي قصيدته إلى الشعب المصري وطه حسين، يستحضر الجواهري التاريخ ليتحدى:

يـا "مصـر" تسـتبقُ الدهـور وتعـثرُ والنيـــل يزخَـــر والمســـلّةَ تزهـــرُ
وبنـــوكِ والتـــأريخَ في قصبيهمـــا يتســـابقانِ فيُصهـــرون ويُصهـــرُ

إلى أن يقول:

يا "مصرُ مصـرَ الشـعبِ: لا غاياتـه تفنـــى، ولا خطواتـــه تتقهقـــر
بـــاقٍ وكـــلُّ معمَّـــر فـــإلى مـــدىً عـــال، وكـــل منيعـــة تتدهـــور
جبروتـه الأعلـــى، فـــلا "نيرونـــه" شـــيء، ولا "فرعونـــه" المتجـــبر

ثم يخاطب طه حسين شاكياً فيقول:

"وطـه" ونـور الفكـر أوفـــى حُرمـــةً والمجــد أوفـــرُ، والمكانـــةَ أوقـــر
سبعون مـن سُـوحِ الجهـادِ قضيتهـا للخـــير تعمـــل جـــاهداً وتفكـــر
أشـكو إليـك، لأن مثلـك عـــارفٌ مثلـــي، وليـــس لأنـــك المســـتوزَر
ركضـت بـي الخمسـونَ لاحلَباتهـــا توقـــي العِثـــارَ ولا العِنـــانُ يُقهَّـــر
وتنـاهبت شَـعري بمحـض غُبارهـــا فبياضُـــه بســـواده يتنـــدَّر[٦]

---

[٦] ألقيت هذه القصيدة في الاحتفال الذي أقامه الدكتور طه حسين، على شرف الوفود المشاركة في المؤتمر الثقافي الذي نظمته جامعة الدول العربية.

وفي قصيدته إلى عبد الحميد كرامي التي ألقاها في بيروت عام ١٩٥٠، يتجلى تحدي الجواهري فيقول في مطلعها:

باقٍ – وأعمار الطغاة قصارُ — من سفر مجدك عاطر موّار[٧]

أما في قصيدته المعنونة "في مؤتمر المحامين" التي ألقاها في الاحتفال الذي أقامته نقابة المحامين العراقيين، في بغداد يوم ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥١، فلا يكتفي الجواهري بنقد الحكام فحسب، بل ويدعو للثورة عليهم وتمجيد الشهادة، مؤشراً إليهم بإصبع الاتهام فيقول:[٨]

وقد نشرت القصيدة في ٢٢ شباط "فبراير" عام ١٩٥٢ في صحيفة "الأوقات" البغدادية، وإشارة "السبعون" هي عمر طه حسين آنذاك، أما "الخمسون" فهي عمر الشاعر الجواهري آنذاك أيضاً.

(٧) كان وقع القصيدة بليغاً في لبنان على المستوى الشعبي وفي الأوساط الصحافية والثقافية، لكن الحكومة تضايقت منها، وبعد يومين من إلقاء القصيدة استقالت وزارة رياض الصلح ثم شكل حسين العويني، وزارة جديدة كانت باكورة أعمالها طرد الجواهري من لبنان، علماً بأن كلاً من الرئيس السابق واللاحق للوزارة، كانا من أعضاء لجنة التأبين التي تولت دعوة الشاعر.

(٨) الجدير ذكره إن الحكومة العراقية أقامت الدعوى على الجواهري، وعلى المحامي عبد الرزاق الشيخلي المدير المسؤول لصحيفة "الجبهة الشعبية" التي نشرت القصيدة. وظلت الدعوى تنام وتستيقظ كما يقال، حتى ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٢، حيث تم الافراج عن الشاعر والمدير المسؤول بعد أن تم تحكيم ثلاثة شعراء عراقيين، لتفسير القصيدة التي قيل إن فيها تعريضا بالملك فيصل الثاني ورهطه، خلال زيارة لبعض المسؤولين إلى لندن ووجود الملك الشاب للدراسة هناك، وهي تقاليد افتقرت إليها الدولة العراقية فيما بعد والتي اتسمت بالشمولية وانفلات العنف وتصفية الخصوم ومحاولة إلغائهم وبالتدخل المباشر في شؤون القضاء الذي فقد الحد الأدنى من استقلاليته و لم يعد سوى أداة بيد السلطة التنفيذية (الحكومة)، كما اتسمت بقدر أقل من التضامن المهني والثقافي، وفي أحيان.كثيرة تم غضّ الطرف عن تجاوزات وانتهاكات ومصادرات فكرية، بل عن حياة مثقف أو كاتب أو فنان أو صاحب رأي، طالما إن الأمر ينال "الخصوم" أو لا يتعرض إلى الجهة السياسية التي يعتبرها هذا المثقف أو ذاك مرجعيته "السياسية"، حتى أصبح جندرمة خاصة للثقافة وانكشارية متميزة للفكر وعسس على الرأي وشرطة على التفكير والاعتقاد، وامتدت هذه الظاهرة لتطبع الحياة الثقافية والفكرية في العراق حيث ازدادت شمولاً واتساعاً في السنوات الأخيرة لتصبح نهجاً سياسياً "ثابتاً" يميز الدولة العراقية ذات النظام الشمولي "التوتاليتاري" الاستبدادي.

والشيء بالشيء يُذكر كما يقال حيث يروي جبرا ابراهيم جبرا عن مرحلة اوائل الخمسينات:

سـلام علـى حـاقدٍ ثـائرِ ... علـى لاحـبٍ مـن دمٍ سـائرِ
يَخُـبُّ ويعلـمُ أن الطريـ ... ـق لابُـدَّ مفـضٍ إلى آخـر

..

ويواصل:

سـلامٌ علـى جـاعلين الحتـو ... فِ جسـراً إلى الموكـب العـابرِ
سـلامٌ علـى مثقـلٍ بـالحديد ... ويشـمخ كالقـائد الظـافرِ
كـأنَّ القيـود علـى مِعصَميـه ... مفـاتيح مسـتقبلٍ زاهـرِ

ويستمر في التصعيد والتحدي:

أقـول: وقـد لاح نُحـولُ البـلاءِ ... يُفـرِّجُ عـن شـدقِهِ الكاشـرِ
وخفَّـتْ "للنـدن" تلـك اللصـو ... صُ تلبـسُ ثـوب الدجـى العـاكر
تحـوك برغـم أنـوفِ البـلاد ... نسـيج الهـلاك لهـا الدامـر
إلى كـم تُـداري شـيوخُ العـراق ... وأقطـاب محـوره الدائـر

كانت اوائل الخمسينات ببغداد عند الادباء الشباب "عصر الوجودبة" الذهبي كيفما كان فهمهم لها.. متمثلة في كتابات سارتر وكامو . وقد راق لمعظمهم أن يفهموها على انها بوهيمية جديدة وكانت للبعض تعني "الالتزام" حسبما أراد اليسار يومذاك ان يفهم الالتزام. وكان هناك منطق نقيض بالضبط الذي يعتبرها نوعاً من العدمية التي تتيح للفرد تجاوز القيم كلها والفلسفات السياسية كلها من "مدن قتلها السأم" او بعبارة كامو مدن التهمها المينوتور. في تلك الفترة صدرت "قصائد عارية" بجموعة الشاعر حسين مردان وبكبرياء الشاعر الملعون وتحدّيه على حد تعبير جبرا قال "رضعت الفجور من ثدي أمي.." مما عرضه للاعتقال ومن ثم للمحاكمة بتهمة "الاباحية" على ديوانه الذي رسم غلافه الشهير الفنان "جواد سليم" كما رسم غلاف مجموعة الشاعر بلندر الحيدري الثانية "اغاني المدينة الميتة" بعد مجموعته الاولى "خفقة الطين" الاّ أن القاضي كان أكثر ذكاءً من الذين اعتقلوه وأكثر تعاطفاً مع الشعر والشعراء فطلب شهادة الجواهري في ديوان حسين مردان... ولم يتردد الجواهري في تزكية الديوان: أدباً يستحق صاحبه الاعجاب لا القذف به في السجن. وتلك احدى سمات استقلال القضاء وقوة مؤسسات المجتمع المدني وتقاليده السليمة وهي تعكس في الوقت نفسه التضامن المهني بين الادباء والكتاب، تلك القيم التي تراجعت على نحو مريع.

انظر: جبرا ابراهيم جبرا، شارع الاميرات، فصول من سيرة ذاتية، بيروت، ج٢، ط١، ١٩٩٤، ص ١٢٤ ـ ١٢٥.

عُجـــولاً تَربَّـــى لِمُســـتعمرٍ ويُلعـــن في عجلـــه "الســـامري"؟

أما في قصيدة "يـاأم عـوف" فيتوقـف الجواهـري أمـام الزمـن، في مناجـاة رقيقة ومنطقية للأشياء، بعد مالاقى كرماً وسخاءً وحسن ضيافة، من إعرابيـة نزل ضيفاً عليها، وهـو في طريقـه إلى مدينـة (علـي الغربـي) في لـواء العمـارة (محافظة ميسان) حيث يقول فيها:

يـاأمَّ عـــوف عجيبـــات ليالينـــا يُدنـين أهواءَنـا القصـــوى ويُقصينـــا
في كـل يـوم بـلا وعـــي ولا ســـبب يُـنزلنَ ناسـاً علـــى حكـــمٍ ويعلينـــا

وكـانت قصيـدة "خلّفـت غاشـية الخنـوع"، الـتي ألقاهـا في دمشـق، إثـر مصرع عدنان المالكي، رسالة تحدٍّ للحكومة العراقية:

خلفـــتُ غاشـــية الخنـــوع ورائـــي وأتيـــتُ أقبـــسُ جمـــرةَ الشـــهداء

* صور من فرز الألوان:

إذا كانت الصورة الاولى التي بدأت تتشـكل مـع مـرور الأيـام، مـأخوذة بطابع الإعجاب والتحدّي، فإن الصورة أخذت تفرز ألوانها، مع بداية الوعـي بالحياة وتمييزي للأشياء، وقد اصبحت قصائد الجواهري، علامـات مضيئـة في الطريق الذي تلمسته لاحقاً.

إن الشعر هو عالم الجواهري وجدل حياته وهو عالم صاخب، متمرد، طموح، مليء بالتناقض، حاد المنعطفات بالصعود والنزول على حد تعبيره. وعالم الجواهـري علنيٌّ ولا يعرف التخفي ولا يمارس العمل السـري، فهـو مكشـوف للجمهـور، بـل ملاحق منه أيضاً وواقع تحت مجهره: شخصيته، معاركه، صوره، إنفعالاتـه، غضبـه، ظـروف إبداعـه، تـأثره بـالمحيط وتأثيره فيـه خصوصـاً محيطـه العربـي والاسـلامي. فللجواهري صداقاته وخصوماته وأعداؤه، تراه يثور أحياناً لأبسط الأشياء كما هـي في الظاهر، لكن ثمـة أموراً كثيرة تعتمـل في نفسـه لتختمـر بعدهـا ظـروف ولادة القصيدة، لتأتي حارة، طازجة، مفاجأة بل مدهشة.

ويرقّ الجواهري ويتألق بل يرقص مثل طير يخفق بجناحيه، حين "يصفو مثل ندى على وردة الصباح" على حد تعبير الروائي العراقي الراحل غائب طعمة فرمان[9] وديعاً مثل طفل بريء، يضحك من القلب وهو يردد بتحبب وجمالية قصيدة المتنبي:

بكل تداوينا فلم يَشفَ مابنا — على إن قرب الدار خير من البعدِ
على إن قربَ الدار ليس بنافعٍ — إذا كان من تهواه ليس بذي ودِّ

ورغم أن الجواهري عاش في الغربة نحو ثلاثة عقود ونصف، إلا أن البيئة الخارجية (الأجنبية) لم تؤثر فيه كثيراً، ربما بسبب اكتفائه الذاتي أو مخزونه التأريخي وتعلقه الشديد بالتراث وقد يعود إلى انه عاش في الغربة وهو في الستين من عمره حيث لم تتح له الظروف إتقان لغة أجنبية (أوربية) مع انه عايش الحياة الأدبية والثقافية في أوربا وفي تشيكوسلوفاكيا بالتحديد، مُطّلعاً على مسرحها وأدبها وشعرها وحضارتها وطبيعتها، إلا أنه ظل مشدوداً إلى تلك الجذور، بل مستغرقاً بالبيئة الاولى، ومتحرقاً إليها مملوءاً بالحيرة والشك والاسئلة والضعف الانساني الباهر، موظفاً كل ذلك في إبداعه وكأنه يعيش في صميم الوطن، رغم أنه كان مغترباً وهو في وطنه، رحالة يجوب الحواضر والبوادي والأرياف، متنقلاً من مدينة إلى مدينة ومن حي إلى حي ومن دار إلى دار، لا تعرفُ روحه الاستقرار و لم يعرف الاستكانة..

والمتتبع لسيرة الجواهري يلاحظ أنه تنقل إلى أكثر من عشرين منزلاً خلال خمسة عشر عاماً في النجف وبغداد والكاظمية والأعظمية والحلة والناصرية والبصرة[10].

---

(9) انظر: غائب طعمة فرمان، مقالته بعنوان "شاعر الظمأ والتحدي" مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٢١٠، حزيران (يونيو) ١٩٨٩.

(10) انظر: حديث خاص مع المؤلف، كذلك قارن: الجواهري "ذكرياتي"، مصدر سابق ص٣٥٨.

* محظورات أبي:

إن عملية إسترجاع هادئة ومتأملة لحضور الجواهري، تمنحنا مؤشراً للحياة السياسية والاجتماعية العراقية والعربية. ورغم مضايقات الحكم الملكي، فقد ظل الجواهري "نجماً ساطعاً" "ملءَ العيون" لم يستطع أحد تغييبه، مع ان بعض دواوينه كانت تشكل مستمسكات ثبوتية لـ"جرم" لم يرتكب!، إلا إن هامش الحرية النسبية وقتئذ، أتاح للجواهري، إصدار أكثر من صحيفة، رغم احتجابها عن الصدور مرات عديدة، وتغيير أسمائها مرات أخرى، ونشر قصائده وطبع دواوينه، وهو ماأصبح محروماً منه بالكامل في أوقات لاحقة، مع استثناءات قليلة.

في تلك الفترة، أذكر أن ثلاثة محظورات عكّرت صفو العائلة، وكدرت مزاجها، فيوم اختفى عمّي شوقي (قبل اعتقاله) في أعقاب انتفاضة عام ١٩٥٦، إبان العدوان الثلاثي الانكلو ـ فرنسي الاسرائيلي عل الشقيقة مصر وانتصاراً لها وتضامناً معها، إحتار والدي الحاج عزيز شعبان، بتلك المحظورات، لأن كلاً منها كانت مصدر تهمة حسب اعتقاده، فما بالك إذا وجدت مجتمعة.

المحظورات الثلاثة هي النظارة السوداء التي اكتشفها والدي مخبأة في غرفة عمّي شوقي مع حاجياته وأوراقه الخاصة. وكانت هذه دليلاً مقنعاً على المشاركة في التظاهرات. والثانية كانت الكوفية البيضاء (الغُترة في العامية العراقية) التي كان يلبسها الشيوعيون مع النظارة السوداء، لاخفاء معالمهم عن شرطة التحقيقات الجنائية، التي كانت تترصد المتظاهرين لتشخيصهم من قبل "الشرطة السرية" كما كانت تُدعى. وكانت النظارة السوداء مع الكوفية البيضاء دليلاً لا يخطيء خصوصاً إذا تم كبسهما في دور "المشبوهين" أما الثالثة فكانت "القصيدة الحمراء" وأعني بها قصيدة "عالم الغد" للجواهري، التي كان الشيوعيون يتغنون بها، وكانت هذه بمثابة

بطاقة انتساب "أولية" للحزب الشيوعي، حيث وضع والدي يده على عشرات من النسخ في غرفة عمي البعيدة عن جناح الضيوف، الذي كنا نطلق عليه اسم "البرّاني" في اللهجة العراقية والنجفية بشكل خاص (يقابله استخدام الديوانية في جنوب العراق وبلدان الخليج العربي).

أخذ والدي يُداري حيرته وقلقه بتقديم التبريرات التالية: فالنظارة السوداء قال انه سيبرر استخدامها في فصل الصيف الحار، وفي فترة الظهيرة حيث الشمس المحرقة. أما الكوفية البيضاء بدلاً من الكشيدة (وهي عبارة عن فينة حمراء أي طربوش أحمر ملفوفة من وسطها حتى حافتها السفلى برباط أصفر اللون). التي كان مايزال يرتديها على طريقة الأجداد، فيما اقترحت والدتي استخدام الكوفية كصرّة لحفظ الملابس (بُقجة بالعامية العراقية) وتوضع في الخزانة مع الملابس والحاجيات الأخرى.

وازداد قلق والدي بخصوص "القصيدة الحمراء" فلم يشأ إتلاف النسخ التي عثر عليها وهي تعود لشيخ الشعراء على حد تعبيره، وقال: انني سآخذها معي إلى المحل وأضعها بين الأقمشة بعيداً عن الأعين، حيث كان يعمل تاجراً لبيع الأقمشة، وكان هذا اقتراح عمي ضياء أيضاً، الذي كان شديد الاعجاب بالجواهري ورغم انه لم يُعلّق على المقترحات الأخرى، كما لم يبدُ عليه القلق والحيرة التي انتابت الآخرين لكنه قد يكون أكثرهم احتراساً وإن كان أكثر تماسكاً ورباطة جأش. ثم اقترح والدي إخفاء القصيدة الحمراء ومعها بضع قصائد أخرى في السرداب (القبو) في مكان موحش يصعب الوصول إليه.

وحسم الوالد الأمر بقراءة آية قرآنية وأخذ يردد لثلاث مرات "بسم ا لله الرحمن الرحيم: وجعلنا بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سداً، فأغشيناهم فهم لا يبصرون!... صدق ا لله العظيم" ثم قرأ "آية الكرسي" وقال لنترك أمرنا إلى ا لله،

وعلى طريقته "شيريد يصير خلّي يصير" أي "ليكن مايكون" مضيفاً "ا لله يعمي أبصار الظالمين".

وبدّدت حيرة الوالد وتردده زيارة رجال الأمن "التحقيقات الجنائية" وكبسهم المنزل في اليوم التالي. وكانت العادة المتبعة "قانوناً" اصطحاب مختار المحلّة معهم، لكن الحاج كاظم الشكري، مختار محلّة العمارة في النجف، رفض مرافقتهم لاعتبارات اجتماعية وصداقية، فأجبروا حلاق المحلة "رسول المزيّن" في سوق العمارة على مرافقتهم أثناء كبسهم المنزل، لكنهم مع وجود "المحرمات" الثلاثة: النظارة السوداء والكوفية البيضاء والقصيدة الحمراء، لم يعثروا على أي "دليل جرمي" أو "مستمسك ثبوتي".

ظل قلق القصيدة الحمراء ونظرة الاعجاب والتقدير للجواهري هاجساً يراودني بين الحين والآخر، وكلما اختلطت علي الأمور أو تشوشت الرؤيا أو بعدت المسافات، أو اتسعت الهوة بين الواقع والحلم أو استشرى اليأس والقنوط، أهرع إلى "ارتكابات" القصيدة، مستحضراً الصلة المعقدة وغير العقلانية بين المثقف ورجل الشرطة، والعلاقة بين الثقافة والقانون وبينها وبين السياسة، حتى أجد نفسي وجهاً لوجه أمام تلك الفترة، وبمواجهة الجواهري وهو يقول قصيدة التحدي.

* الجواهري ومعركة الضد:

لقد استُخدم الجواهري في معركة "الضد" على حد تعبير الكاتب حسن العلوي، حين تصدرت الكتابات المعادية له، الصفحات الاولى لصحف الجانب الآخر. وحاولت سلطة الثورة فيما بعد إرغامه على الرحيل إلى المنفى، بعد أن أساءت إليه بشخص زعيمها عبد الكريم قاسم. وفي عام ١٩٦٣ وبعد مقتل عبد الكريم قاسم ظل الجواهري في المنفى. ومن المفارقات إن سلطة الانقلاب، أصدرت قراراً بمنع تداول دواوينه. يقول حسن العلوي:

"ومن المصادفات أن يكون عملي آنذاك في جريدة صوت الجماهير، التي احتلت (مطابع الرابطة) المشغولة آنذاك، بإصدار طبعة كاملة لشعر الجواهري،

كنت أرى أجزاء منها، تحت أقدام العاملين في الجريدة، وقد صدر قرار بمنع تداولها وكنت أشعر لحظتها إن إحدى المقدسات تداس تحت الأقدام..".

ويشير العلوي الى ان ذلك كان البذرة الاولى، لفكرة إصدار كتاب عن الجواهري، التي أنجزها عام ١٩٦٧، لكنه اصطدم باستمرار، بمنع تداول أي مطبوع للجواهري أو عنه، حتى دخل ثانية دوامة "الاعلام الرسمي" بعد ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨، فلم يعد توقيت الكتاب مناسباً، فتجددت الفكرة، حسبما يروي في عام ١٩٧٩، والجواهري يدلف نحو الثمانين، حتى التقيا في الشام في مطلع الثمانينات، حيث يقيمان، فدخلت الفكرة حيز التنفيذ.

بودي أن أنوّه في هذا التمهيد، إلى ان الاستاذ حسن العلوي، لم يكتفِ بإصدار كتابه الأول عن الجواهري، في عام ١٩٨٦، والموسوم "الجواهري ديوان العصر" بل عاد وأصدر كتابه الثاني في أواخر عام ١٩٩٥، مستكملاً رؤيته عن الجواهري[١١].

لقد أصدر الرئيس عبد السلام محمد عارف، قراراً بعد انقلاب ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ يقضي بحجز الأملاك المنقولة وغير المنقولة للجواهري، إضافة إلى منع تداول دواوينه وما كتب عنه. و لم تكن أملاك الجواهري، سوى قطعة أرض، حصل عليها من نقابة الصحفيين، التي كان نقيباً لها، مثل غيره من الصحفيين. وتنفيذاً لهذا القرار: داهمت ثلّة من الشرطة أحجار الجواهري، التي كان يعدّها لبناء بيته، ووضعت عليها إشارة الحجز. وفي الواقع فإن حمولة شاحنة من طابوق البناء المرمي على قطعة الأرض التي حصل عليها وتركها نحو المنفى، ظلت تحت الحجز حتى عام ١٩٦٨. وتعكس هذه الحادثة بدلالاتها موقف سلطات الاستبداد

(١١) والكتاب ماثل للطبع، لفت انتباهي الصديق العزيز د. علي كريم، إلى كتاب جديد صدر للأستاذ حسن العلوي. وقام مشكوراً بإرسال نسخته الشخصية إليّ من هولندا للاستفادة منها. والكتاب بعنوان "الجواهري رؤية غير سياسية". وقد صدر في زحلة (لبنان) أواخر العام ١٩٩٥ عن دار "ميسوبوتوميا للأبحاث والدراسات". أما الكتاب الأول فكان قد صدر عن وزارة الثقافة السورية عام ١٩٨٦.

والأنظمة الشمولية إزاء الثقافة والمثقفين، وهو ماطاف على سطح الحياة السياسية العراقية على نحو فظ وصارخ منذ انتكاسة ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ وتصاعد حتى بلغ أقصاه في الربع الأخير من القرن الحالي، وبخاصة خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية وحرب الخليج الثانية وما بعدها[١٢].

وقد عانى المثقف العراقي من القمع بركنيه الايديولوجي والبوليسي، أي كان عليه إما قبول فكر السلطة والجماعة السائدة، باعتباره الفكر الوحيد، المقبول، الممكن والمسموح به..، واما التعرض للقمع والارهاب والعزل ومحاولات الضغط الفكري، والابتزاز السياسي. وإذا كانت جمهرة واسعة من المثقفين قد رفضت تطويع أداتها الابداعية لخدمة الحكام والطغاة والقادة، وتزيين صور الأنظمة السياسية القائمة والسكوت على انتهاكات وتجاوزات وقعت على زملائهم، فإن بعضهم لعب دور المهرج في تدبيج المدائح وإيجاد الذرائع لتبرير تلك الوحشية، التي طبعت وماتزال ساحة الثقافة العراقية الرسمية والسائدة.

وعانى كثير من المثقفين العرب والعراقيين، من اختلال المعادلة بين السياسي والثقافي وكانوا ضحايا القمع الفكري والبوليسي تماماً مثلما عانى قبلهم مشاهير المثقفين والمفكرين على الصعيد العالمي كالمفكر المجري لوكاش والمفكر الايطالي تولياتي والمفكر الفرنسي غارودي والروائي الروسي مكسيم غوركي والمسرحي الألماني بريخت والشاعر الفرنسي اراغون وكذلك شاعر العرب الأكبر الجواهري[١٣].

---

(١٢) حديث خاص مع المؤلف حول ملابسات حجز الاموال المنقولة وغير المنقولة للجواهري. كذلك قارن: حسن العلوي ـ الجواهري: رؤية غير سياسية، مصدر سابق، ص٦٢ وكذلك ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(١٣) انظر مقابلة وحواراً واسعاً أجراه معنا هاني الريس لصحيفة أنوال المغربية (الاسبوعية) العددان الصادران في ١١ و١٨ آب (أغسطس) ١٩٩٠.

وتوجد أمثلة صارخة على القمع الفكري والسياسي الذي تعرض له المثقفون في الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية سابقاً وكذلك ماسمي بأنظمة التحرر الوطني، التي حاكت النماذج السائدة في الأنظمة الاشتراكية، بتقليد ممسوخ لتجارب فاشلة. وبالطبع فإن البعض تدثر بالصمت أو مات حزيناً ومكسوراً أو عاش في المنافي وتعرض للتنكيل، ذلك أن المثقف يحدد الصور المتناقضة في الظاهرة الواحدة مستخدماً وعيه للنقد والرفض والدعوة للتغيير والحلم بمجتمع جديد، وبذلك يتعرض إلى مقص الرقيب أو يكون السجن بانتظاره وإن اختار المنفى، سيكون وراؤه كاتم الصوت أو المحاربة بلقمة العيش أو يختار العزلة، وإن مكث في الوطن، سيطويه النسيان أو يعمل تحت "المراقبة" أو يفارق الحياة هماً وكمداً أو بالتصفية، وهو ماجرى للعديد من المثقفين العراقيين في السنوات العشرين الأخيرة في الداخل والخارج(١٤) .

(١٤) أصدر مجلس قيادة الثورة في العراق قراراً تحت رقم ٥٠٤ في ١٩٨٠/٤/٨، شرّع بموجبه القانون رقم ٧٠، الموسوم بـ"قانون الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في القطر العراقي" وذلك بهدف تقنين الحياة الثقافية، وتكريس ثقافة الصوت الواحد واحتواء المثقفين في بوتقة واحدة جديدة، بعيداً عن التلاوين والتنوع والتعددية الفكرية والثقافية والقومية وغيرها، وتعامل مع المثقفين كفصيل عسكري، يتلقى الأوامر ويؤدي التحية ويروّج لما يصدر من السلطات.
ويشبه القانون المذكور من وجوه كثيرة، قانون انشاء المجلس الثقافي للرايخ الألماني، تحت إشراف غوبلز وزير الدعاية النازي، وذلك في ٢٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٣. وجاء في الأسباب الموجبة لقانون "الرايخ" "... رغبة في اتباع سياسة ثقافية ألمانية، يصبح من الضروري، جمع الفنانين، ذوي الطاقات الخلاقة في جميع الميادين، في منظمة واحدة تعمل تحت رقابة الرايخ".
وكان صدام حسين منذ أن اعتلى المنصب الأول في الحزب والدولة، كما يحلو له أن يردد، في تموز (يوليو) ١٩٧٩ بعد تنحية الرئيس البكر، قد أطبق كلياً على ماتبقى من الهوامش الثقافية، كاتحاد الأدباء ونقابة الصحفيين ونقابة الفنانين وغيرها، حتى ان قائمة الكتب الممنوعة في العراق، شملت كتّاباً وصحفيين وأدباء من الأحياء والأموات، داخل العراق وخارجه، عراقيين وعرباً وأجانب، فلا عجب بعد ذلك، أن يتولى عدي نجل الرئيس صدام حسين، منصب نقيب الصحفيين ورئاسة التجمع الثقافي في العراق، إضافة إلى مناصبه الأخرى.
انظر: بحثنا "الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق: قانون مسخ وهياكل فارغة" مجلة الحرية (الفلسطينية)، ١٩٨٤/٨/٢٦. كذلك المحاضرة التي ألقاها المؤلف في مؤتمر برلين لرابطة

ماكنا نقرأه أو نردده عن الجواهري، في المجالس الخاصة، همساً وتلميحاً، سمعته لأول مرة، يصدح مـن دار الإذاعـة العراقيـة، بعـد ١٤ تمـوز (يوليـو) عـام ١٩٥٨، وإعلان الجمهورية، في قصيدته "النونية"، التي يحيّ فيها الثورة، ويقول في مطلعها:

سـدِّدْ خَطـاي لكـي أقـول فأحسـنا   فلقـد أتيـتَ بمـا يَـدلُّ عـن الثنـا

إلى أن يقول:

جيـش العـراق ولم أزل بـك مؤمنـا   وبـأنك الأمـلُ المرجّـى والمَنـى

* تكريم وسبع عجاف!

شعرت مـع بدايـات الوعـي والخطـوات الأولى نحـو الاهتمامـات الأدبيـة والسياسية، بأن الثورة، في أهم ركن مـن أركانهـا الثقافيـة ردّت الاعتبـار، أو لنقل بشكل أدق، كرمـت المبدعـين والمثقفـين، وفي الطليعـة منهـم الجواهـري شاعر العرب الأكبر، كما صار يكنّى. وما كنت أدري ان هذه المقدمات التي حسبنا فيها أملاً لحياة جديدة، رغم مارافقها من عنف غير مبرر وغير مشروع ستنتهي إلى فواجع جديـدة، ربمـا أشـد فظاظـة، بحيـث يضطـر المبـدع الكبـير والرمز العراقي والعربي، الجواهري، إلى الرحيل بعد أن تم وضع القيد في يديـه في مديريـة الأمـن العامـة عـام ١٩٦١. وتلـك إحـدى المفارقـات الخطـيرة والمؤشرات الدالة على وصول الأوضاع إلى القاع تماماً.

انتقل الجواهري إلى منفاه الأول في براغ، بسبع عجاف على حد تعبـيره، زادتها الأيام مرارة وقسوة.

الكتّاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين، (رابطة المثقفـين الديمقراطيـين العراقيـين ـ لاحقاً) في دار الثقافات العالمية، تموز (يوليو) ١٩٩٠ والموسومة بـ"جدلية الثقافة والوعي".
وكذلك مقالة المؤلف المنشورة في صحيفة "الحياة" اللندنية والموسومة بـ"الـرأي الآخـر وجـدار القمع العدد الصادر في ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٩٢.

هكذا عاد الجواهري إلى دائرة المنع والعزل في العـراق. فلـم يكـن سـاطع الحصري وحده من فتـح النـار علـى الجواهـري محـاولاً نـزع انتمائـه العروبـي والتشكيك بمواطنيتـه وطـرده مـن الوظيفـة، بـل يتدخـل رأس الدولـة (رئيـس الوزراء) هذه المرة عبد الكريم قاسم "الزعيم الأوحد" ليحاول إذلاله وإهانتـه، ليس هذا فحسب، بل إن الانقـلاب الدمـوي الـذي حـدث بعـد ذلـك علـى الزعيم عبد الكريم قاسم، أدخـل الشـاعر وشـعره في دائـرة الممنوعـات بقـرار أصدره رئيس الجمهورية عبد السلام عارف باسم السلطة الجديدة.

ورغم وجوده في المنفى، فإن شبح الشاعر كـان يجـول في أروقـة الدولـة، ويتوّزع طيفه على أزقة وحارات بغـداد والمـدن العراقيـة، مثلمـا في السـجون والمعتقلات، وفي سوح الأدب والثقافة، ورغم تكرر زياراتـه إلى بغـداد ٦٨ ـ ١٩٧٩، إلا أن تلك الزيـارات لم تُنْـهِ منفـاه، حتـى استقر في المنفـى بصـورة نهائية منذ عام ١٩٧٩ ولغاية الآن.

وقد حاولت سلطات بغداد في مرّات عديدة، استمالته وتوجيه الدعـوات المتواصلة إليه، لحضور مهرجان المربد الشعري أو في مناسبات مختلفة[١٥] إلا أنه لم يستجب وكان يعتذر في كل مرة، مع ان تلك الدعـوات كـانت تأتيـه مـن أعلى المراجع، مستغلة بعض الظروف المحيطة به كوفاة زوجته وشريكة حياتـه

(١٥) لم يعد خافياً ان تلك المحاولات والدعـوات اللجوجـة ماجـاءت حبـاً ولا تقديـراً للشـاعر وشعره، بل رغبة في المتاجرة باسمه والاستفادة من مكانته أمام الشعراء والأدباء العـرب، الذيـن كانت السلطة توليهـم اهتمامـاً أكـثر مـن الجواهـري نفسـه، لاعتبـارات مصلحيـة وانتهازيـة، خصوصاً بعد أن تعرض هؤلاء الأدباء إلى المزيد من حمـلات النقـد والتـأنيب لـتزكيتهم نظامـاً موغلاً في وحشيته محارباً أدباءه ومثقفيه، الذين ملأوا بقاع الدنيا فراراً من الاضطهاد وحفاظـاً على حياتهم. ويدرك الكثير من المثقفين العرب معنى السؤال عن صديق لهم في بغـداد، يكـون قد غاب ولم يعد له اي ذكر. ولذلك فإن حضور الجواهري لو حصل كان سيخفف من نشاز حضورهم!

"أمونة" في لندن عام ١٩٩٣[١٦]، لكنه اعتذر هذه المرة أيضاً مستنداً إلى وصية لزوجته، بأن تدفن في الشام، بالقرب من مرقد السيدة زينب، وبجوار أخته السيدة نبيهة، المدفونة مع ابنها لواء في الشام أيضاً، حيث أرسل الجثمان إلى الشام بمبادرة سورية وإرسال طائرة خاصة وإجراء تشييع رسمي. وقام الرئيس حافظ الأسد بزيارة له في بيته (بمنطقة الروضة بالشام) لتقديم التعازي إليه.

* جنسية أم وسام!؟

لقد قدمت الحكومة العراقية الكثير من "المغريات" للجواهري وقامت شخصيات مسؤولة، بمحاولات "للتملّق" و"الاسترضاء" مباشرة أو غير مباشرة، وأجرت اتصالات هاتفية وبوساطات عربية، لكي يعود الجواهري إلى العراق، لكنه ظل يعيش في المنفى، ويغنّي بطريقته الخاصة. ومع ذلك ففي عام ١٩٩٥، وقع المحظور كما يقال، فقد تجرأ بعض "المتثاقفين"، بالدعوة إلى إسقاط الحقوق المدنية عن الجواهري، إثر مشاركته في مهرجان الجنادرية الثقافي في المملكة العربية السعودية، الذي يُقام سنوياً. وشملت الدعوة الشاعر عبد الوهاب البياتي بطريقة لا تخلو من الفجاجة، فحسب بل تتسم بالهمجية، وبغض النظر عن الموقف من المشاركة أو عدمها، فإن القصد من تلك الدعوات كان النيل من الجواهري شخصياً والإساءة إليه. إذ لا يُعقل أن تصدر مثل هذه الدعوة، بدون توجيه أو إيحاء رسمي، من نظام شمولي استبدادي، يستحوذ على الاعلام وينتقي كل كلماته بل يحسبها بدقة كبيرة،

---

[١٦] صادف حين كنت عنده مواسياً إياه بوفاة زوجته في شقته بلندن، أن تلقى عدة مكالمات هاتفية من سفراء عراقيين وعرب لنقل جثمان الكريمة (أم نجاح) لتدفن في بغداد. وهي محاولة أخرى من السلطة للتقرب من شاعرنا ومد الجسور معه، وقد لمست الألم المضاعف والحزن العميق لدى الجواهري وهو يرى أن "الموت" و"الموتى" أصبحت مادة للمتاجرة ووسيلة للترلف السياسي!.

وقد أثار ذلك الإجراء، استياءً وسخطاً عراقياً وعربيـاً واسـعاً، شمـل الصحافـة والمثقفين ومنظمات حقوق الانسان وغيرها. وكان حفل التكريم الـذي أقيـم للجواهري بدمشق في حزيـران (يونيـو) ١٩٩٥ وتسـليمه وسـام الاسـتحقاق السوري، رداً مناسباً على محاولات الإساءة المتعمدة للشـاعر الكبـير. في حـين تحولت المقالة التي كتبها نوري نجم المرسومي، وكيل وزير الاعلام العراقي، في الصحافة الرسمية العراقية، إلى فضيحة ثقافية وليبرز السؤال المـاثل: كيـف يتـم التعامل إذن مع المواطن العراقي في الداخل، إذا كان التعـامل مـع شـاعر كبـير كالجواهري مثلاً وهو في الخارج يتم بهذه الطريقة؟ ورغـم انه لم يصـدر قـرار رسمي، بإسقاط الجنسية أو الحرمان من الحقوق المدنيـة، إلا ان الحملـة العربيـة التي شارك فيها مثقفون كبار، ظلت متواصلة على مدى أسـابيع عـدة، تعبـيراً عن مكانة الشاعر وسخطاً على إجـراءات الحكومـة العراقيـة، المنافيـة لحقـوق الانسـان والمناوئـة للثقافـة والمثقفـين. إذ كتـب الصحفـي محمـد هشـام، في "الأهالي" المصرية "ليس ماحدث غريباً.. حتى وإن غضب آراغون من سيادة صيادي العصافير، بل وحتى إذا اجتزىء مالك حداد، على القول بأن الهجـوم على جماعـة عصـاة أمـر أقـل خطـورة واقـل مغـزى مـن الهجـوم علـى جوقـة منشدين...". ويمضي إلى القول: لكن ثمة سؤالاً يظل مع ذلك ملحاً:

من مَلّك الحاكم الوطن، حتى يكون بوسعه أن يسلبه ممن يشاء ووقتمـا يشـاء؟ ما الفرق بين الذين يسلبون الآن من الجواهري والبياتي والبزّاز وطنهم، ومـن سـلبوا منـذ زمـن وطـن محمـود درويـش وغسـان كنفـاني ومعـين بسيسـو؟ وهـل رطانـة السارقين بنفس لغة المسروقين تعفيهم مـن إثـم السـرقة أو تمـيّزهم عـن سـواهم مـن السارقين؟ ويختم.. "ليس غريباً ماحدث، لكنه مؤلم وكريه وفاضح أيضاً".

ودعا الشاعر الراحل بلند الحيدري في تصريح إلى هيئة الإذاعـة البريطانيـة في لندن المثقفين العرب إلى التعبير بشتى الوسائل عن احتجاجهم علـى القـرار المتعسف للسلطة العراقية وقـال أتمنـى أن تخـرج مظـاهرة في القـاهرة يتقدمهـا

الروائي الكبير نجيب محفوظ، فهذا ماكان يفعله سارتر وغيره من المثقفين في سائر أنحاء العالم.

وقالت الأديبة المصرية فريدة النقاش، انها تلقت نبأ الدعوة إلى حرمان الجواهري والبياتي من حقوقهما المدنية، بالسكوت، لكي لا تصبّ انتقاداتها الجذرية للنظام العراقي، في عدائه للحريات العامة، في خانة القهر الدولي بل والحصار العربي للشعب العراقي الذي يدفع الثمن بينما يرتع الطغاة في سفههم، لكنها عادت لتوضح الموقف الملتبس والحساس لتحسم الموقف وتقرر عدم الصمت إزاء أي عدوان على الحريات العامة أو تهديد لها. واتخذ المفكر اسماعيل صبري عبد الله، مثل هذا الموقف، في عموده الذي يكتبه في الأهالي "ألفاظ ومعان" الذي يطلق عليه "الشاعر الفحل"، داعياً إلى التضامن معه وإلى احتفاء العرب بالنوابغ المعاصرين من أمتنا(١٧) .

ومن الجدير بالذكر إن السلطة العراقية لم ترد رسمياً أو تنفي مثل هذه الدعوات، بل غضّت النظر عنها داخلياً، لكنها أوعزت، بسبب حملة التضامن العربية، إلى الرد عبر سفيرها في عمان نوري الويس، الذي طالبه البياتي بوثيقة رسمية تؤكد عدم نية الحكومة العراقية الاقدام على مثل هذه الخطوة، في حين قال نديم أحمد الياسين، سفير الحكومة العراقية في المغرب في معرض النفي أن "شاعريتهما (اي الجواهري والبياتي) لن تشفع لهما..." بل ان الجواهري قد بلغ من العمر عتيا ولن يفقه مايدور حوله.." وبمثل هذه اللهجة نفى حكام بغداد على لسان سفيريهما في عمّان والمغرب خبر نيتهم الإقدام على قرار يقضي بسحب الحقوق المدنية، وبذلك يصحّ المثل العربي "عذر أقبح من ذنب"!!

---

(١٧) انظر مقالة محمد هشام، "الأهالي" القاهرية، ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٩٥ وتصريح الراحل بلند الحيدري إلى هيئة الاذاعة البريطانية ٦ نيسان (ابريل) ١٩٩٥ وفريدة النقاش، "الأهالي" القاهرية في ٢٦ نيسان (ابريل) ١٩٩٥.

تجاهل الجواهري تلك الحملة ورفض الانخراط فيها، أو الاستجابة إلى ذلك الاستفزاز، فقال في أول تعليق له إلى صحيفة "الشرق الأوسط": "انهم ليسوا أهلاً للمنازلة، انهم يكشفون عن جهالتهم وضحالتهم.. انهم الساقطون..."

ومن الجدير بالإشارة تعليق الجواهري على دعواتهم وإلحاحهم بالعودة، قال في تصريحه المذكور "كنت أخشى أوسمتهم وهباتهم، رغم إن قلبي كان ولا يزال مع الشعب العراقي وهو في محنته ومجاعته وعذاباته".

وبودي أن أشير إلى أن حرمان، اي إنسان من جنسيته وحقوقه المدنية، يعد انتهاكاً سافراً لحقوق الانسان، التي يكفلها الاعلان العالمي لحقوق الانسان، الصادر في ١٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٨، والعهدان الدوليان لعام ١٩٦٦، الصادران من الأمم المتحدة، خصوصاً العهد الدولي حول "الحقوق المدنية والسياسية"، حيث تنص المادة ١٥ من "الاعلان العالمي" على أن يكون "لكل فرد حق التمتع بجنسية ما" و"انه لا يجوز حرمان شخص من جنسيته تعسفاً".

وتكفل المادة ١٨ و١٩، حق كل إنسان في حرية التفكير والضمير والدين والحق في حرية الرأي والتعبير، ونصت المادة ١٢ من العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية على ان "لكل فرد حرية مغادرة أي قطر بما في ذلك بلاده..." و"لا يجوز حرمان أحد بشكل تعسفي من حق الدخول إلى بلاده" وتحرم المادة ٢٦ أي تمييز يتعرض له الانسان بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو غيره[١٨].

---

(١٨) انظر: الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام ١٩٤٨ والعهدين الدوليين حول الحقوق المدنية والسياسية والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لعام ١٩٦٦، جنيف، وثائق الأمم المتحدة.

ومن المعروف ان الحكومة العراقية وقعت على الاعلان العالمي في عام ١٩٧١ وكذلك على العهدين الدوليين حول الحقوق المدنية والسياسية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

*** شاب في الستين:**

بكت عيون الوطن، حين غادر الجواهري العراق في صيف عام ١٩٦١، بعد أن سُدّت أمامه السبل، فانتهز دعوته لحضور حفل تكريم الشاعر اللبناني الأخطل الصغير، في بيروت، لمغادرة العراق. وكان قد وصله تحذير نقلته له ممثلية جمهورية المانيا الديمقراطية في بغداد لما كان يُبيّت له. فغادر العراق واستقر في براغ ضيفاً على اتحاد الادباء التشيكوسلوفاكيين. وما أن تلقفت الغربة الجواهري واحتضنته حتى شهدت المنافي في عام ١٩٦٣، وما تلاه هجرة مبدعين عراقيين آخرين، مثل الشاعر الراحل بلند الحيدري والشاعر عبد الوهاب البياتي والعالم الراحل عبد الجبار عبد الله والشاعر سعدي يوسف والشاعر مظفر النواب والروائي الراحل غائب طعمة فرمان، والفنان محمود صبري وعشرات غيرهم.

ومنذ عام ٧٩ ـ ١٩٨٠ غادر العراق المئات من المبدعين العراقيين، وشملت القائمة بعد حرب الخليج الثانية مئات آخرين من الصحفيين والكتّاب والفنانين الذين تركوا الوطن بعدما التهمت العتمة أطراف النهار المتبقي.

يقول الجواهري في قصيدة الأخطل الصغير (بشارة الخوري):

لبنان يا خمري وطيبي   هلا لمست حطام كوبي

ثم يواصل حلم الشباب وهو على مفرق الستين وكأنه يستذكر قصيدته "زحلة ـ وادي العرائش" أو "شاغور حمّانا" أو "بنت بيروت" أو ذكرياته على أرصفة العاصفة وشوارعها وأزقتها ومصايف لبنان الجميلة:

نزق الشباب عبدته   وبرئتُ من حِلمِ المشيبِ

يـــامن يقـــايضني صـــدى ... الهمســات والسـحر المريـب
وترصُّــدُ الأقمــار كـــابن ... أبـــي ربيعـــة في المغيـــب
والكـاعبُ الحســناء تســترني ... بمفضلهـــا القشـــيبِ

ثم يشكو (بشارة) ما لاقاه من الحكومة العراقية:

أبشـــارةٌ وبأيِّمـــا ... شـكوى أهـزك يـا حبيـبي
شـكوى القريـب إلى القريـب ... أم الغريـب إلى الغريـبِ؟
هـل صـك سمعـكَ انـني ... مـن رافـديّ بـلا نصيـبِ
في كربـةٍ وأنـا الفتـى الـ ... ممـراح فـرّاج الكـروب
أنـا "عـروة الـوردي" رمـ ... ـز مـروءة العـرب العريـبِ
وزعـت جسـمي في الجسـوم ... ومهجـتي بـين القلـوبِ

لقد ضاع حلم "الثورة" التي طالما حلم بها الجواهري وتنبأ بها ووعد بها في قصائده، منذ أن تنكر قادتها للحكم البرلماني الدستوري، ومنذ أن أصبح هاجس الحفاظ على المواقع في السلطة، هو الذي يبرر ممارسة كل شيء، خصوصاً وانها شهدت منذ الأيام الاولى صراعاً خفياً وعلنياً فيما بعد، بين قائديها، الزعيم عبد الكريم قاسم والعقيد عبد السلام عارف، فأدارا ظهريهما عن إجراء انتخابات حرة، وإنهاء فترة الانتقال "التي طال أمدها" وانفلات دورة العنف بصورة لم يألفها المجتمع العراقي في العهد الملكي السابق سواء على النطاق الرسمي أو الشعبي، ومحاولات تصفية المعارضة، وإرهاب الرأي الآخر، فكرياً وسياسياً، بحجة "حماية الثورة" و"صيانة الجمهورية" من الاعداء والرجعيين، حيث هيمن العسكر على الحياة السياسية، وبدأت تتقلص تدريجياً، مؤسسات المجتمع المدني، ويضمحل دورها، وانحدر الحكم إلى مهاوي الديكتاتورية الفردية السافرة، متقلباً على حلفائه والمدافعين عنه،

واستمر هذا الوضع الذي مانزال نعيشه منذ نحو أربعة عقود من الزمان، ولكن على نحو سافر وصارخ[١٩] .

وحين تستبدل القصيدة، بالخوذة العسكرية، والريشة بالسكين، والقلم بالمسدس، والفنان بالمهرج، فنحن نكون أمام وضع هو غاية في الشذوذ، بل هو أقرب إلى الأتباع منه إلى الإبداع، فأي عذاب يذوقه المثقف الحر، واي حصار يتعرض له، حين يضطر شاعر كبير، مثل الشيخ الجليل، الجواهري، للعيش في المنفى، أكثر من ثلث عمره البيولوجي وما يقارب نصف عمره الابداعي.

---

(١٩) انقسمت الحركة الوطنية في العراق بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨، إلى معسكرين. الأول: معسكر الزعيم عبد الكريم قاسم ومعه الشيوعيون والحركة الكردية وبعض الوطنيين والديمقراطيين، إلى حد ما، والثاني: معسكر العقيد عبد السلام عارف ومعه القوميون والبعثيون والمناهضون لقاسم والشيوعية. وكانت لعبة الشعارات هي السائدة، "فالمعسكر الأول" رفع شعار الاتحاد الفيدرالي والصداقة السوفييتية، ليقطع الطريق على "المعسكر الثاني" الذي رفع شعار الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة والتعكز على شعبية عبد الناصر، والوحدة في مواجهة قاسم و"الاتجاهات القطرية" وفي حين استحوذ الشيوعيون على الشارع والتنظيمات المهنية والنقابات، كان الاتجاه الآخر يُخطط للاستحواذ على السلطة بكاملها وقد سهّل ذلك الصراع، الطريق للسير باتجاه الديكتاتورية العسكرية الفردية، التي تنكرت لمبادىء الثورة والحياة البرلمانية الدستورية وسيادة القانون والعدالة، التي وعدت بها الشعب. وفي تلك الفترة الجنونية من تأريخ الصراع السياسي في العراق، لم يفكر أحد بعقلانية (وربما مازال البعض على سالف عهده لغاية الآن)، بحلول سلمية للصراع (باستثناء بعض الديمقراطيين أمثال كامل الجادرجي وعبد الفتاح ابراهيم وغيرهما الذين قدموا نصائح وتحذيرات مبكرة وجريئة) بل كانت الجوانب العاطفية والذاتية هي الطاغية، في ظل إنخفاض مستوى نضج قادة الحركة السياسية، ورفض الحوار وتقديم التنازلات المتبادلة.

وقد دفعت الأخطاء المشتركة للأحزاب والقوى الوطنية، مع اختلاف درجة المسؤولية، وفداحة الانتهاكات والارتباكات، التي شملتها كلها دون استثناء، ناهيكم عن شمولها الشعب العراقي بجميع تياراته الفكرية واتجاهاته السياسية وإنحداراته القومية، دفعت تلك الأخطاء، أزمة الحكم إلى التعمق، مما زاد من افتراقها عن مبادىء الحكم الديمقراطي وحق المشاركة السياسية، بل ان قاعدة المشاركة قد ضاقت أكثر من السابق وشددت نزعات احتكار العمل السياسي التي بلغت أوجها بعد ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨، ومعها تعززت إجراءات العسف والاستبداد، حتى شملت قيادات وكوادر في الحزب الحاكم ذاته.

* **الجواهري في مدرستنا!**

بعد أسابيع من ثورة ١٤ تموز (يوليـو) ١٩٥٨، جـاء مـدرس مـادة اللغـة العربية السيد جواد كاظم الرفيعي في "متوسطة الخورنق" وهو يحمـل صحيفـة "البلاد" أو "صوت الأحرار"،(لا أذكر بالضبط) ليقرأ علينا قصيدة الجواهـري "جيش العراق" ويطلب منا أن نعرب الأبيـات، الـتي كـان يقرأهـا علـى مهـل وبدقة مصحوبة بنبرة محببة. ثم كلّفنـا بحفـظ سـتة أبيـات مـن القصيـدة علـى الأقل. وبذلك دخل الجواهري، حياتنا المدرسية، وليس العائلية فحسب، مثلما شغل حياتنا السياسية والثقافية بكل معانيها. وبالمناسبة فـإن الأسـتاذ الرفيعـي، اعتقل معنا بعد أربع سنوات ونصف، في موقف "خان الهنود" الشـهير (الـذي كان المبنى الحكومي في النجف) قبل نقلنا إلى المعتقل (تحت الأرض) وكنا مع محبين آخرين لشعر الجواهـري نتبـادل الأحـاديث ونجـري مطـاردات شـعرية، حيث كان قسم غير قليل من المعتقلين ممـن يحفظـون شـعر الجواهـري، الـذي كان يخرجنا من عتمة السجن ووحشته إلى آفاق شاسعة وعالم فسيح.

المدرسة التي كانت تستقبل قصائد الجواهري وتفتـح نوافذهـا للجديـد أخـذت تشجع المواهب الشابة الواعدة فتشكلت الفرق الموسيقية وأخرى للانشـاد والتمثيـل وكانت أيام الاثنين من كل أسبوع، مناسبة يتبـارى بهـا "الواعـدون الجـدد" فتلقـى الكلمات والخطب وتقرأ الأشعار (في الساعة الأخيرة قبل نهاية الدوام).

وفي مدرسة الخورنق بالذات، حيث عاد بعض المفصولين إلى الدراسة بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) وكانوا أكبر سناً منا مثل محمد موسى (الذي قُتل تحـت التعذيب عام ١٩٦٣) وزهير شكر وغيرهما، جـرى تنظيـم لقـاءات أسـبوعية ذات طابع ثقافي ولأهداف سياسية. وأتذكر من أوائل الذين تم تقديمهم وربمـا "اكتشافهم" إلى تلك اللقاءات كان الشاعر عبد الأمير الحصيري (الـذي كـان طالباً معنا في المرحلة المتوسطة) وبـدأ الحصـيري خطواتـه الاولى بقـراءة بعـض قصائد الجواهري في الاجتماعات العامة "بلثغته المعروفة". ثم بدأ ينظـم بعـض القصائد ونشرت له بعض الصحف مقطوعات منها.

كان الحصيري شاباً خجولاً، متفوقاً في الدراسة، لكن هاجس الشعر كان يسكنه، فترك دراسته بعد أن ضاقت به المدينة.. أتذكره بسترته الطويلة وقلقه وبدواوين الشعر والكتب التي كان يحملها وبديوان المتنبي الذي كان يتأبطه بل لا يكاد يفارقه بدلاً من كتب الدرس التي كان يضجر منها. لقد سئم العيش في ذلك "الجو الكئيب" فودّع زملاءه منتقلاً إلى بغداد "الجنة التي كان يحلم بها" وفي بغداد ظل الحصيري حيث كنت التقيه طوال الستينات، ينتقل من مقهى إلى أخرى فيبدأ نهاره "بالبرلمان" أو "البلدية" لينتقل إلى "عارف آغا" وأحياناً إلى "شط العرب" ومن حانة إلى أخرى يتذوق خمور "آسيا" و"كاردينيا" و"الجندول" و"سرجون" وغيرها، حيث كان "زبوناً" دائماً هناك!

كانت قصائد الحصيري تحذو حذو شيوخ الشعر في مدينته وبخاصة الجواهري "رمزه الكبير" وقد إلتهم نهر دجلة الكثير من قصائده، حينما كان ثملاً يترنح في الكثير من الأحيان، وضاع قسم منها وهو في تنقل دائم بين غرف الحيدرخانة وأزقتها، حيث وافته المنية في أواسط عام ١٩٧٨ هناك وحيداً ومنكفئاً على ذاته حد الاختناق.

الجواهري الكبير في إحدى تجلياته وأنا أتسامر معه، أبدى حسرة لفقدانه، فقد كان يتوسم فيه شاعراً مهماً منذ اواخر الخمسينات أو ربما منذ أوائل الستينات. وعند عودة الجواهري من منفاه الأول في أواخر الستينات روى لي كيف اقتحم الحصيري خلوته ذات يوم، لكنه عامله برقة، وظل على هذه الشاكلة رغم انفلاتاته غير المحسوبة.

كتب الشاعر الحصيري الكثير لكن الذي ظل أو حفظ من شعره كان قليلاً. وقد أعجبني ملفاً عنه نشرته "مجلة الأقلام" البغدادية قبل سنوات، ساهم به الشاعر عبد الرحمن طهمازي، الذي كنت ألتقيه معه في أواخر الستينات. أما الشاعر شاكر السماوي فقد كان كثير اللقاءات به منذ أواخر الستينات وخلال سنوات السبعينات وبخاصة في مقهى "عارف آغا" وكذلك الصيدلي عزيز حسون عذاب والكاتب عزيز السيد جاسم ووليد جمعة وآخرين.

عند عودتي الاولى إلى بغداد من الدراسة في الخارج، التقيته عدة مرات، وكنت قد أدركت أي عذاب تركته السنين عليه فضلاً عن الحرمان المزمن والوحدة الدائمة... واي قلب رقيق كان يملك هذا الانسان، الذي كان الشعر عالمه الوحيد، لا يعرف المرأة أو المال او السفر (باستثناء سفرة فاشلة إلى الكويت) أو الحمّام. ولا يعرف كيف يتصرف إزاء الكثير من الأشياء، خصوصاً بدون الخمرة التي كانت سميره الوحيد في عالمه الموحش والبارد وتشرده وحزنه المرير.

ومن مفارقات الحصيري أن التقيته مرة وإذ به يرتدي بدلة وربطة عنق وعلى غير العادة حليقاً ونظيفاً.. فحيّاني مبتسماً مستبقاً سؤالي عن "السر" في هذا التبدل المفاجىء، بالقول أن الحكاية باختصار ان السيد وزير الاعلام "صلاح عمر العلي" استدعاني وأحرجني بتعييني بوظيفة استشارية في الوزارة براتب قدره ثمانون ديناراً (كي لا تذهبوا بالتفسيرات!!)، ولكن بعد اسابيع صادفته وقد عاد إلى هيئته القديمة فبادرني بالقول "عادت حليمة إلى عادتها القديمة".

أنا الاله وندماني ملائكة والحانةَ الكون والجلاس من خلَقوا
أنا الشريد!! لماذا الناس تذعر من وجهي وتهرب من قدامي الطرقُ
وكنتُ افزعُ للحانات تشربني واليوم لو لمحت عينيَّ تختنق
قد بتُّ أمضغ أعراقي وأوردتي وأرتوي من جراحاتي وأنسحق[٢٠]

وقول الحصيري في قصيدة بغداد:

بغداد قلبي في يديك فعذبي إن شئت أو إن شئت شلّ العاطبِ
أما صببت سعير عتبي لم أكن لسوى تضاريم الفؤاد أعاتب
وأنا ابنك المغوار مسقط دجلة ذا القلب والسعف الاهاب الشاجب
بالرغم من ان الغري بأضلعي لهبٌ ولي حتى رباه حبائبِ

(٢٠) انظر ديوان الشاعر عبد الأمير الحصيري: شمس وربيع، إعداد عزيز السيد جاسم، بغداد، ١٩٨٦.

الفصل الثاني

شاعر ودولة

*سلطة المثقف وسلطة الحاكم!

أصبح اسم الجواهري مثيراً إلى حد كبير. فالتناقض واضح بين سلطته الثقافية التي لا نزاع عليها، وبين موقف السلطة السياسية منه. ففي حين كانت سلطة الجواهري الثقافية تتعزز، كانت المسافة تتباعد بينه وبين السلطة السياسية، التي ظل بعيداً عنها رغم حلمه "بالثورة" بل ان التناقض بينه وبينها كان يتعمق باستمرار. وحصل الصدام والاحتكاك، عندما كتب مقالته الشهيرة في صحيفة "الرأي العام"، التي كان يصدرها آنذاك! "ماذا يجري في الميمونة"؟ فانفجر في وجهه الزعيم عبد الكريم قاسم، أثناء مقابلة خاصة له باسم اتحاد الأدباء العراقيين الذي كان الجواهري يترأسه. و"الميمونة" قرية في جنوب العراق تعرضت لهجوم قام به جهاز الأمن، مما دفع الجواهري للاحتجاج والاستنكار، وهو تعبير عن أحاسيس شاعر إنساني مرهف إزاء ماكان يحدث، خصوصاً الانفصام بين أفكار الثورة المنشودة وممارساتها الارهابية، العنيفة، التي أخذت بالاتساع(٢١) .

(٢١) انظر مقالتنا: من حوارات مع الجواهري بعنوان: محمد مهدي الجواهري يقول: قصيدة التحدي ويمشي ويقول قصيدة الحب ويبقى! صحيفة الحياة، العددان الصادران في ٥/٣١، و١/٦/١٩٩٦. وسنتطرق بالتفصيل إلى قصة المماحكة بين الزعيم عبد الكريم قاسم والشاعر الجواهري، في مواقع أخرى من هذا الكتاب (قسم الحوارات).

يمكن القول إن سلطة المثقف هي ثقافته والثقافة معرفة، وهو مايطلق عليه فرنسيس بيكون "المعرفة: قوة" "Knowledge is Power" بمعنى سلطة، وهو ماحاول الجواهري أن يواجه به السلطة السياسية.

أما عناصر هذه السلطة، فهي مايمكن تحديدها بالعلم والتجربة الذاتية للمبدع، بما فيها من خيال (فنتازيا)، إضافة إلى الارادة والوجدان والضمير، وهذه السلطة لا تسود بالقمع أو المال، بل تتعزز وتغتني في ظل سيادة الديمقراطية والتعددية، اللتين هما الضمان لتطورها.

لسلطة المثقف حرمة مثلما للمعرفة، وهي حرمة لدى صاحبها أولاً، ومن لا يحترم وسيلته الإبداعية، لا يحترم حرمته، ولهذا فإن نكوص المثقف عن سلطته، أي تنازله عنها يعني عدم احترام ثقافته وبالتالي التفريط بمعرفته(٢٢).

كنت كلما مررت في شارع الرشيد قرب حافظ القاضي، تستوقفني صورة الجواهري، وهي تزين واجهة ستوديو المصور المعروف الفنان "أرشاك" فقد انتشرت صوره على نطاق واسع مما كان يثير حفيظة المسؤولين. وبقدر ماكان اسم الجواهري مثيراً، فهو إشكالي أيضاً.

وبتقديري ان الرمز يثير إشكاليات عديدة، ويكون مصدراً للصراع في زمانه أو حتى بعد ذلك الزمان، نظراً لموهبته الهائلة وقدرته في إثارة أسئلة ليس بالإمكان الإجابة عنها، في الحال، وإلى تفرّده وخصوصيته وعنصر الجدّة لديه، خصوصاً إذا ماحاول صدم ماهو سائد أو الإتيان بما ليس مألوفاً.

هكذا كان شكسبير وغوته وتولستوي وبتهوفن ودستويفسكي مثلما هو المتنبي والمعري والبحتري. وظل تشايكوفسكي وشارلي شابلن وجمال الدين

(٢٢) يقول الاستاذ حسن العلوي، إذا كان عبد الكريم قاسم زعيم السلطة السياسية، فالجواهري، زعيم السلطة الثقافية في العراق، فهو رئيس اتحاد الأدباء ونقيب الصحفيين العراقيين. انظر كتاب: حسن العلوي، الجواهري: ديوان العصر، مصدر سابق.

الأفغاني والفردوسي وطه حسين وبريخت وانشتاين ومدام كوزي وكافكا واليوت وبيكاسو وسارتر وناظم حكمت وماركيز ونيرودا، مثيرين للجدل، كشخصيات إشكالية. وهكذا هو الجواهري، فاسم عائلته وتاريخه وعنصر التحدي في شخصه، وتناقضاته ومدرسته الشعرية ومحاولاته التجديدية في القصيدة العمودية، ومنزلته الثقافية الإبداعية، قد أكسبته صفة الرمز، واثارت في الوقت نفسه خصومات كبيرة ضده. فقد شغل بعد الثورة منصب نقيب الصحفيين ورئيس اتحاد الأدباء، إضافة إلى إعادة إصداره صحيفة "الرأي العام". وكان قبلها نائباً في المجلس النيابي (البرلمان) وقبل ذلك وفي أواخر العشرينات عمل في البلاط الملكي، الذي كان جسراً للوصول إلى الوزارة، حيث كان مقرّباً من الملك فيصل الأول، وهي "علاقة فريدة من نوعها بين الشعر والبروتوكول" أو بين شاعر وملك.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أن الملك فيصل الأول وقف إلى جانبه يوم استعرت "الحملة الطائفية العنصرية" ضده في عام ١٩٢٧ وفيما بعد "الحملة الرجعية" إثر تبنيه مواقف تقدمية مبكّرة بخصوص تعليم المرأة وافتتاح مدرسة البنات في النجف. وكان أن احتدمت المعركة عندما كتب قصيدته "الرجعيون" المنشورة في ٢٦ آب (أغسطس) ١٩٢٩ التي يقول فيها:

ستبقى طويلاً هذه الأزماتُ	إذا لم تقصّر عمرها الصدماتُ
غداً يمنعُ الفتيان أن يتعلموا	كما اليوم ظلماً تَمنع الفتياتُ
تحكم باسمِ الدين كل مذَمَّمٍ	ومرتكبٍ حفت به الشبهات
وما الدين إلا آلةَ يشهرونها	إلى غرضٍ يقضونه وأداةَ

وكذلك بسبب قصائده الغزلية كقصيدة "جربيني" و"النزعْة أو ليلة من ليالي الشباب" و"عريانة" و"بديعة" و"ليلة معها" التي كانت تعتبر شديدة الجرأة وخارجة على عصرها، بل أنها حتى بمعايير هذه الأيام ورغم الانفتاح

والاتصال بالحضارة الغربية، تعتبر مغامرة كبرى، فما بـالك بتلـك الفـترة الـتي اعتبرت فيها محاولة لتهديم ماهو سائد من قيم ومفاهيم ومحرمات "Taboo" إذ كان مجرد البحث بمثل هذه المواضيع يعتبر تحدياً سافراً، فإن الجواهري الخـارج لتوّه من بيئة النجف المحافظة والمغلقة والمعمم وابـن العائلـة الدينيـة، والمشـدود بأكثر من آصرة وآصرة إلى تقاليد مجتمعة، لكنـه المنتفـض عليهـا والمغـترب في داخله والرافض لحياته المنسية، والمتطلع إلى حيـاة متحركـة، لا يقتحـم الميـدان حسب، بل يطلب المنازلة بكل ماتحمله من روح للتحدي:

لقد نشر الجواهري قصيدة "جربيني" التي أثارت ضجة كبرى وهو مايزال في البلاط وذلك بتاريخ ٢٣ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٩ والتي يقول فيها:

جربيـــني مـــن قبـــل أن تزدريـــني ... وإذا مـــــاذممتني فـــــاهجريني
ويقينـــاً ســـتندمين علـــى أنـــكِ ... مـــن قبـــلُ كنـــت لم تعرفيـــني

ثم يقول:

إسمحــــي لي بقبلـــة تملكيـــني ... ودعـــي لي الخيـــار في التعيـــين
قربيـــني مـــن اللـــذاذة ألمســـها ... أريـــــني بداعــــــةَ التكويـــــن
"إلطميـــني" إذا مجنـــتُ فعمـــدا ... أتحـــرّى المجـــون كـــي تلطميـــني
ماأشـدّ احتياجـه الشـاعر الحســ ... ــاس يومـا لسـاعة مـن جنـون

وبعد أقل من شهر واصل الجواهري نشر قصائده الغزلية غير المألوفة والتي أثارت ضجة كبرى خصوصاً وانه كان موظفاً في التشريفات الملكية في البلاط وبمعية الملـك فيصـل الأول. ففـي ١٨ تشـرين الثـاني (نوفمـبر) نشـر قصيدتـه المثيرة: "النزعـة أو ليلـة مـن ليـالي الشـباب" وذلـك بعـد قصيـدة الرجعيـون وجربيني، التي تعتبر هي الأخرى احراجاً للملك فيصل الأول ولحاشية البـلاط الملكي. وإذا كان الشعر يتخطى البروتوكول فـإن الـبروتوكول وخصوصـاً في تلكـم السـنوات، كـان لـه اعتباراتـه الـتي لا تتناسـب مـع ارهاصـات شـاعر

كالجواهري، ومع ذلك فقد كان الملك فيصل الأول، يقدر موقع الشاعر في سلسلة البروتوكول لاعتبارات عديدة ولضرورات كثيرة، لعل أهمها هو كسر حلقة العزل السياسي والطائفي أو التخفيف من حدَّتها، التي أريد لها أن تحكم قبضتها على الشاعر، حيث وقف الملك إلى جانب الشاعر ضد محاولات النيل منه تحت ذرائع وحجج غير صحيحة. يقول في قصيدته النزعة:

كم نفوسٍ شريفة حساسه سحقوهن عن طريق الخساسة
وطباعٍ رقيقة قابلتهن الليالي بغلظة وشراسة

* * *

لك في هذه الحياة نصيب أغنميه انتهازة وافتراسه
فالليالي بلهاءُ فيها لمن يُحسن ابساسة لها، إسلاسه

إلى أن يقول متحدياً ومستنفراً، بل مستعدياً كرد فعل ضد الحملة التي طالته بسبب قصيدة "الرجعيون"!

قال لي صاحبي الظريف وفي الكف إرتعاشٌ وفي اللسان إنحباسه
أين غادرت "عِمّةً" واحتفاظاً قلتُ: اني طرحتها في الكَناسه
وتلاقى الصدران وإصطكت الأفخاذ حتى لم تبقَ إلا لَماسه
حرِّكوا ساكناً فهب رفيقي لامساً باليدين منها لباسه
ثم نادى مُعربداً ليحيّ الله مغناك وليُدِم أعراسه

وبعد خروجه من البلاط الملكي، كان أكثر حرية في التعبير عمّا يختلج بنفسه. فنشر قصيدة عريانة (١٩٣٢) يقول فيها:

أنت تدرين أنني ذو لُبانَه الهوى يستثيرُ فيّ الَجانَهْ
وقوافي مثل حُسنك لما تتعرّين حرة عُريانه
وإذا الحب ثار فيّ فلا تمنعْ أيُّ احتشامة ثَورانه
ولماذا تهيّجين من الشا عر أغفى احساسه بركانه

عَرَفتُ كيف تبرزين إلى الجمـ ـهور فيه لتخبلي أذهانه
ضيقت مُلتقى نهودك والكشـ ـحين منه وشمرت أردانه
وأشارت إلى اللعوبين بالأسـ ـباب منا بوردة مُزدانه
ليت شعري ماالسّر في أن بدت للـ ـعين جهرا أعضاؤك الحسّانه
واختفى عضوك الذي مازه اللـ ـهُ على كل ماالديك وزانه
الذي نال حُظوةَ حُرم الانسان منها وخصّت الإنسانه
وتمنى على الطبيعة تشكلاً هو من خير مايكون فكانه
ومحلاً خصباً فحلّ بوادٍ أنبت الله حوله ريحانه

ثم نشر بعدها (١٩٣٢) قصيدة عن الراقصة الحلبية السورية بديعة عطش، التي كانت تعمل في "قهوة عزاوي" بالقرب من سوق الهرج ببغداد، وكان من أشهر ملاهي العاصمة آنذاك.

يقول في مطلعها:

هزي بنصفك واتركي نصفا لا تحذري لقوامك القصفا

وفي قصيدة "ليلة معها" التي نظمها عام ١٩٣٤ يقول الجواهري:

لا أكذبنك انني بشر جمٌ المساوىء آثِمٌ أشِرُ

ليواصل وكأنه يدخل معركة:

يدها بناصيتي ومحزَمُها بيدي فمنتصر ومندحرُ
فلئن غلبت فخير متسدٍ للشاعر الاعكانُ والسُّرر
ولئن غُلِبتُ فغالبي مَلَك زاهٍ به المغلوب يفتخرُ

ولم يكتف الجواهري بذلك، بل اقتحم الحياة الاجتماعية السائدة بجرأة عجيبة، مهاجماً في دائرة مازال الكثيرون، يحجمون عن الاقتراب منها.

فإضافة إلى قصائده الغزلية، فإن قصيدة "إفروديت"، التي نظم منها ست قطع في العام ١٩٣٢ ونشرها في صحيفة "الأهالي"، ثم استكملها بثلاث قطع، ونشرها في صحيفة "الرأي العام" سنة ١٩٤٦، وهي مستوحاة من قصة

الكاتب الفرنسي "بيير لويس" تمثل نوعاً آخر من الأدب، مثلما هي قصائده الغزلية في الأربعينات، "إلى انيتا" أو قصيدته إلى "بائعة السمك" في براغ في الستينات، أو "لمي لهاتيك لمّا" ذات الصورة المتميزة في السبعينات.

لُمّي لهاتَيكِ لَمّا   وقرّبي الشفتين
لُمّاً على جمرتين
بالموت ملمومتين
ياحلوة المشربين   من أين كان.. وأين
من صنع كذب ومَينِ
سمّوهم زهرتين
لّمي لهاتيك لما   وقربي الشفتين
بابين للجنتين
والموت مابين بين

ياحلوة المشربين   من أين كان.. وأين
بلّى بذاك "اللُسينِ"
فما تغشّته حُمى
كسن رمح رُديني
لم يُروَ إلا ليظما

ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى أن مايميز الشاعر بشكل عام، هو إمساكه بتقنية الكتابة بلغة عصره، التي تختلف بين زمن وآخر، ورغم اننا نستمتع بغزليات جميل بثينة مثلاً، إلا انها لم تعد تلبي جو عواطف هذه الأيام، ولو انك قدمتها إلى حبيبتك على انها صورة صادقة لما تشعر به تجاهها، فقد تعرض عنك أو لا تستجيب بالشكل الذي تتوقعه، فلكل عصر لغته ولكل جيل تأثراته. ورغم ان

الجواهري تمسك بالشكل الكلاسيكي للقصيدة إلا انه لوّنه بحداثة الفكرة ومفردات العصر، بما جعل قصيدته تحتفظ بشكلها التقليدي وبفكرتها الجديدة.

واللافت إن الأدب العربي يعتبر من أغنى الاداب العالمية في أحاديث الغزل ومواضيع الجنس، ابتداءً من معلقة امرىء القيس:

"قفا نبكي من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسقط اللوى بين الدخول فحومل"

مروراً بعمر بن أبي ربيعة وشعراء المجون وفي مقدمتهم أبو نواس.

ويعتبر كتاب "الأغاني" لأبي فرج الأصفهاني وكتاب "الحيوان" للجاحظ نوعاً من أنواع أدب الغزل والجنس، إضافة إلى كتاب "الف ليلة وليلة" الذي لا يمكن الحديث عن الجنس، بما فيه الأدب الجنسي المكشوف والغزل الفاضح، دون تناوله أو ذكره، إلى جانب مجلدات ومخطوطات كثيرة تدور حول هذه المواضيع.

*** بين التراث والحداثة:**

هكذا بدأت صورة الجواهري تكتمل في ذهني وتقترب من الواقع، فقد نزع العمامة منذ زمن طويل، وتخطى الحدود، متقدماً زمانه، متحدياً من الطراز الأول، يختار خصومه بدقة، ويحدد المعركة بنفسه. استطاع أن يواصل لغة البحتري والمتنبي، ذات المسحة التراثية الجزلة، بفكرة الحداثة والمعاصرة والتطلع إلى الجديد، بل تقريب مفاهيم العصر الحديث بلغة عربية فصيحة ذات معان ودلالات، ليست بعيدة عن الثقافة العربية ـ الاسلامية. ويذهب الأستاذ عبد الغني الخليلي إلى أن الكثير من الأدباء حاربوا الجمود الفكري والترمّت المقيت والقيم والعادات البالية، التي سادت مجتمعهم وحالت دون تقدمه وان الكثير من "أعضاء الرابطة الأدبية في النجف" كانوا من المتنورين الذين مالوا إلى التجديد. أذكر منهم إضافة إلى الجواهري الذي سبقهم، محمد علي اليعقوبي وصالح الجعفري ومحمود الحبوبي ومرتضى فرج الله وعبد المنعم الفرطوسي ومحمد جمال الهاشمي وعلي الصغير ومحمد حسن الصوري

وعبد الرزاق محي الدين ومحمد علي البلاغي. وفي سنوات لاحقة محمد بحر العلوم ومصطفى جمال الدين وغيرهما(٢٣).

ورغم ان الجواهري حفظ ديوان أبي العلاء المعري وكان معجباً به، لكنه كان ميّالاً للبحتري بمضامين جديدة وصور وأبعاد عصرية، كما فعل المفكر طه حسين حينما زاوج بين لغة أبي العلاء المعرّي بالمصطلحات الحديثة مستعيناً بثقافة السوربون الفرنسية. ان الجواهري يطل علينا بلغة تفتح التاريخ لتستشرف المستقبل بعيداً وهو يتطلع نحو الحداثة رغم إرثه من الثقافة العربية - الإسلامية، بامتداد وأصول تعود إلى المدرسة العباسية حيث يستمر التعليم في النجف على الطريقة العباسية في زمن المأمون و"دار الحكمة" التي لاتزال تروي عروقنا، ففي اللغة والنحو ظلت طريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي وبحوره الشعرية هي السائدة، وفي الفلسفة استمرت المدرسة النجفية، على طريقة ابن سينا. وفي التاريخ، فإن طريقة المسعودي هي المفضلة، أما في الشعر فإن المتنبي والبحتري والشريف الرضي كانوا الأكثر حضوراً (٢٤).

لقد وظف الجواهري كل ذلك المخزون الثقافي والموروث الأدبي بفكرة تجديدية ملونة بالحداثة ومستجيبة لروح العصر رغم احتفاظها بشكلها التاريخي.

ولعل من نافلة القول الاشارة إلى انه كلما تعددت التقنيات التعبيرية في لغة ما دلّت على ديناميكيتها ومخاضاتها وعلى قدرتها في التفاعل والأخذ والعطاء واستشراف فضاءات أخرى والعكس صحيح أيضاً، ففرض تقنية واحدة استبداد يؤدي إلى ضمور وانزواء فكريين يقودان إلى اختناق مكرب للمجتمع حتى ولو كان ذلك المجتمع مُرفّهاً اقتصادياً، فالصوت الواحد واللون الواحد والقصيدة الواحدة والذوق الواحد والزعيم الواحد، كلها من صفات

---

(٢٣) قارن: عبد الغني الخليلي، سلاماً ياغريب. دار المنفى، السويد، ١٩٩٦، ص ٢٨ - ٢٩.
(٢٤) راجع: حسن العلوي "الجواهري: رؤية غير "سياسية" - مصدر سابق - ص٦٨.

الأنظمة الشمولية "التوتاليتارية" التي لا تؤمن بالتعددية وحق الاختلاف وتنوع الآراء.

وفي حين كان الجواهري يحظى بالترحيب المنقطع النظير أينما ذهب وحيثما حل، وكانت المشاعر الجياشة والعفوية تعبيراً عن عطف خاص على الشاعر وتقديراً لتبلوره كرمز عراقي للثقافة والإبداع (٢٥) . كان "معسكر" الخصوم يتمادى في التعريض بالجواهري ومهاجمته شخصياً مما زاده مكانة وارتفاع شأن، فوق ماهو عليه، من علو مقام وارتفاع منزلة، حتى ان الزعيم عبد الكريم قاسم، في محاولة منه لمراعاة المزاج الشعبي، وفي قراءة ذكية له، وبخاصة في الأيام الأولى للثورة، وقبل أن يركبه الغرور، زار منزل الجواهري، وهو المنزل الوحيد، الذي زاره بعد الثورة مباشرة، لكن علاقة الشاعر بالجنرال أخذت بالفتور، مما اضطره، بعد ذلك، إلى مغادرة الوطن والاغتراب.

وقد تلمس حكام ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ بمجسّهم الأمني، وليس "الثقافي" أهمية عودة الشاعر الكبير الجواهري، فوجهوا دعوتهم إليه للعودة، بعد وصولهم إلى السلطة مباشرة، وأعقبوها بدعوات واتصالات أخرى حتى عاد الجواهري، ولكنهم فوجئوا بالاستقبال الشعبي المهيب، في مطار المثنى رغم وصول طائرته في وقت متأخر ليلاً. إذ كان قد تسرب نبأ وصول الجواهري إلى بغداد، في حين كانوا يريدون أن يوظّفوا عودته لأغراضهم الخاصة وذلك في محاولة منهم الظهور بحلّة جديدة والتملق إلى المثقفين.

---

(٢٥) كتب صباح المندلاوي عموداً في صحيفة "الوركاء" الصادرة في دمشق بعنوان "كيف قضى الجواهري ليلة رأس السنة ١٩٩٥" تطرق فيه إلى حفاوة الشارع الدمشقي بالجواهري، عندما زارا عيادة الطبيب، وبعدها توجها للجلوس في مقهى فندق الشام". وكنت نفسي أشعر بالإحراج كلما رافقت الجواهري في أمسية أو فعالية أو مطعم، وأشعر بلهفة الناس للسلام عليه أو أخذ صور تذكارية معه أو إسماعه جزيل الكلام والاحترام. وإذا كان ذلك تعبيراً عن حب الناس ومشاعرهم إزاء الشاعر والمبدع خصوصا بشهرة الجواهري، ومكانته، إلا أنه قد يسبب له ولأمثاله إحراجاً وضيقاً باقتحام حياته الشخصية وخصوصياته ولكن ذلك على أي حال ضريبة الشهرة..

* وجهاً لوجه:

كانت العلاقة الاولى، قد نشأت بين الجواهري وبيني من بعيد، حيث كنت أتابع كل شأن عام له. وكنا نجتمع في بيوت الأقرباء والأصدقاء، للاستماع إلى قصائده أو تلقّف أخباره.

وكانت صحيفة "الراي العام"، التي يصدرها الجواهري، مصدر إعجاب كبير مثل "اتحاد الشعب".

وكانت المرة الأولى التي أشاهد فيها الجواهري وجهاً لوجه، في الاحتفال الذي انعقد في ساحة الكشافة ببغداد كانون الثاني (يناير) ١٩٥٩، بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لوثبة كانون ١٩٤٨، حين اعتلى المنصة، لينشد في الجموع المحتشدة، بدعوة من جبهة الاتحاد الوطني، وكان حاضراً حينها بعض رجال الثورة، المهداوي وماجد محمد أمين ووصفي طاهر(٢٦).

هكذا نشأت العلاقة مع الجواهري، بصمت ومتابعة وشغف. وكم كان الحزن عميقاً، عندما سمعنا نبأ سفره إلى الخارج، وقبلها تعرضه للمضايقة ومحاولات الاساءة؟. وكم كنا ننتظر أخباره، التي كانت تصل إلينا مع "بريد الغربة" ومن إذاعة

---

(٢٦) كان اجتماع ساحة الكشافة، آخر اجتماع أو فعالية جماهيرية، لجبهة الاتحاد الوطني، التي تأسست في ٧ آذار (مارس) ١٩٥٧، والتي بدأ لاحقاً الاحتراب بين أطرافها وبخاصة الحزب الشيوعي من جهة وحزب البعث والاستقلال من جهة أخرى، ووصل الأمر إلى حد التصفيات الجسدية، بعد الائتلاف الذي كان ثمرته ثورة تموز (يوليو) ١٩٥٨. وكان المتحدثون في الاحتفال: عبد القادر اسماعيل (الحزب الشيوعي) وعبد الستار الدوري (حزب البعث) وزكي جميل حافظ (حزب الاستقلال) أما (الحزب الوطني الديمقراطي) فقد تحدث عنه عبد الله عباس. وتحدث ابراهيم أحمد من الحزب الديمقراطي الكردي (البارتي) الذي لم يكن عضواً في الجبهة. وكان عريف الحفل جلال الطالباني. وقد حدثني الاستاذ عبد الستار الدوري بأن حمزة سلمان (الحزب الشيوعي) طلب موافقة الأطراف المنظمة للاحتفال، لالقاء الجواهري قصيدة بالمناسبة، إذ أن إسمه، لم يكن قد أدرج على قائمة المتحدثين. ومن الجدير بالذكر إن الاجتماع توصل إلى صيغة عامة حول نقطة الخلاف الجوهرية: الوحدة الفورية أم الاتحاد الفيدرالي؟ ومفادها: تعزيز الارتباط مع الجمهورية العربية المتحدة، بأوثق الروابط السياسية والاقتصادية والثقافية. ويبدو ان هذه الصيغة التوفيقية كانت تخفي النار تحت الرماد، فسرعان ماانفجر الصراع بعد أيام، حيث استقال الوزراء القوميون في ٦ شباط (فبراير) ١٩٥٩ في حين هيمن على الشارع طغيان "الشعارات اليسارية" وملاحقة حلفاء الأمس الذين انسحبوا إلى الخلف، لينظموا الهجوم ويضعوا خطط الوثوب على السلطة والانتقام، مستخدمين كل الأساليب لتحقيق هدفهم.

"بيكي ايران"، وفيما بعد "إذاعة صوت الشعب العراقي" حين كان رئيساً للجنة الدفاع عن الشعب العراقي، بعد انقلاب ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣(٢٧).

ولم يكن اضطرار الجواهري لمغادرة العراق سوى إيذاناً بتدهور الاوضاع لدرجة لم يعد معها البقاء ممكناً فضمّت السجون شخصيات بارزة وقعّتْ على نداء للسلم في كردستان ومئات بل الآف من الوطنيين من شتى الاتجاهات والانتماءات. وكانت ذروة التراجع انذاك وبداية فصل مأساوي جديد أشد قتامة حين حصل انقلاب ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ ، حيث اضطرت للمغادرة أعداد أخرى من المثقفين والمبدعين، وضمت السجون نخبة لامعة منهم، أضيفت إلى أعداد سابقة، وقتل تحت التعذيب: عدنان البراك، ومحمد حسين أبو العيس وعبد الجبار وهبي (أبو سعيد) وعبد الرحيم شريف، وعدد آخر من المثقفين، إضافة إلى أعداد كبيرة من السياسيين والعسكريين.

* النهر الثالث:

رغم هول ماجرى في العراق آنذاك، لكن نبرة الأمل، دفعت بالبعض إلى القول، أن ليل الكارثة الطويل والخسائر الكبيرة، لا يمكنه القضاء على النهرين، دجلة والفرات والنهر الثالث "الجواهري" الغزير، نظراً للمكانة العميقة، التي يحتلها الجواهري، الذي كان شعره عنواناً للشموخ ورمزاً لاجتياز المحنة.

في تلك السنوات اشتهرت قصيدة الجواهري، "يادجلة الخير"، التي نظمها شتاء ١٩٦٢، والتي يقول فيها:

حييت سفحك عن بعد فحييني يادجلة الخير ياأم البساتين

(٢٧) كان من أبرز قادة لجنة الدفاع عن الشعب العراقي: الدكتور فيصل السامر والدكتورة نزيهة الدليمي وعزيز الحاج وذو النون أيوب واللواء هاشم عبد الجبار ومحمود صبري ويترعمها الجواهري. واتخذت من براغ مقرا رئيسيا لها. وكان من أبرز فعاليات اللجنة تنظيم لقاء مع الفيلسوف البريطاني وداعية السلام "برتراند رسل" حيث كان يرافقه ويعمل بمعيته الشاب "خالد أحمد زكي" الذي عاد إلى العراق فيما بعد وقتل في عمليات الكفاح المسلح في الأهوار عام ١٩٦٨.

حييت سفحك ضمآناً ألوذ به | لوذ الحمائم بين الماء والطين
يادجلة الخير يانبعاً أفارقه | على الكراهة بين الحين والحين
إني وردت عيون الماء صافية | نبعاً فنبعاً فما كانت لترويني
يادجلة الخير قد هانت مطامحنا | حتى لادنى طماح غير مضمون
لعل يوماً عصوفاً جازماً عرماً | آتٍ فترضيك عقباه وترضيني..

لكن ذلك اليوم لم يأت كما أراده الجواهري، بل ازدادت الأيام حلكة وعتمة، وخيم على العراق ليل طويل زاد على ثلاثة عقود من الزمان.

ولعل رجاء الجواهري، هو رجاء العراقيين حالياً، الذين يعانون من الحصار الدولي الجائر المستمر منذ ست سنوات ومن نظام شمولي استبدادي منذ عام ١٩٦٨، فضلاً عن غياب الحياة البرلمانية ـ الدستورية وانقطاع خط التطور التدريجي، وبالتالي فإن البلاد تُحكم منذ نحو أربعة عقود بالقوانين الاستثنائية وأنظمة الطوارىء وبدساتير مؤقتة وبتقليص هامش الحريات وبالتجاوز المستمر على حقوق الانسان.

كما اشتهرت في تلك الفترة قصيدة "أبا زيدون" المهداة إلى الراحل عبد اللطيف الشواف، والتي يقول فيها:

أبا زيدون ما أحلى | معانيك وما أطرى
لقد أوحشنا بَعد | ك لولا نعمة الذكرى
أبا زيدون والدنيا | يمازج حلوها المرّا

وكذلك قصيدته النونية (٨٤ بيتاً) المرسلة إلى الشاعر الراحل محمد صالح بحر العلوم، الذي كان نزيل السجن آنذاك:

ياآبا ناظم وسَجنك سجني | وأنا منك مثلما أنت مني[٢٨]

---

(٢٨) كان الشاعر محمد صالح بحر العلوم يومها نزيل سجن نقرة السلمان الصحراوي، الذي ضم الآلاف من اليساريين والشيوعيين منذ أواخر الأربعينات. وقد نظمت القصيدة في أوائل عام ١٩٦٥، وألقاها الشاعر في احتفال في براغ بمناسبة ذكرى وثبة كانون ١٩٤٨ في ١٩٦٥/١٢/٢٧ ونشرت في ديوان "بريد الغربة".

* كردستان:

وقد تلاقفت الأيدي قصيدته الشهيرة والموسومة "كردستان" وبخاصة بين الأكراد واليساريين والديمقراطيين. وقد ألقاها في اجتماع لجمعية الطلبة الأكراد، في مدينة ميونيخ الألمانية، صيف ١٩٦٤، حيث كانت الحملة العسكرية ضد الشعب الكردي قد تجددت منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٣. يقول الجواهري:

قلبي لكردستان يُهدى والفمُ ولقد يجودُ بأصغريه المعدمُ

وقد أهدى الجواهري أثمن مالدى المرء.. إلى كردستان (القلب واللسان) ثم يقول في وصف الملا مصطفى البارزاني، زعيم الحركة الكردية:

باسم "الامين" المصطفى من أمةٍ بحياته عند التخاصم تقسم
سترى الكُماةَ العلمينَ تحلّقوا فذا تهيبهُ الكمُّى المُعلم
صُلب الملامح تتقي نظراته شهبُ النسور ويدرّيها الضيغم
ياابن الشمال وليس تبرحُ كربةٌ بالبشر تؤذن عندما تتأزم
وتناقض الأشياء سر وجودها وبخيرها وبشرّها تتحكم

يقدم الجواهري نفسه في هذه القصيدة، ضمن الجدل الهيغلي والماركسي وبشكل عفوي ودون تكلّف أو قصد الذي يتحدث فيه عن قانون وحدة وصراع الأضداد وقانون نفي النفي وقانون التراكم الكمي يؤدي إلى التغيير النوعي، وذلك بقفزة: التناقض في الأشياء (سر الوجود) جامعاً الخير والشر. ثم يلمح الجواهري لدور قاسم ويواصل صعوده، مقارنة لما حدث من تدهور للأوضاع السياسية في العراق، فيقول:

ياموطن الأبطال بَثٌ مؤلمٌ والذّ أطراف الحديث المؤلمُ
ولقد يلذك من شكاة أن ترى فيها الضمير بنفسه يتكلم
أنا مثل دأبك في كفاحك محربٌ شاكي العزيمة أعزلٌ متقحِّم
ستون راحت في النفوس تقسّم تُعطي عطاء الأكرمين وتحرم

آبـى الهضيمـة اسـتباح هضيمـتي فيمـا اسـتباحك أحمـق متجـرم
ألـوى بمـن عنـدي، وعنـدي صفـوة هـي مـن أبيـه، ومـن ذويـه أكـرم
ورمـى بهـم خلـف الحـدود كـأنهم بُـردٌ إلى الأمصـار عجلـى تـرزم (٢٩)
وأشـاع لحمـي للذئـاب ولحمهـم حمـى لحومـا بالنتانـة تزخـم

كمـا اشـتهرت قصيدتـه المرسـلة إلى أمـين الأعـور، الصحفـي اليسـاري اللبناني، والمحرر في صحيفة "الأخبار" و"النداء"، وفيمـا بعـد صحيفـة "المحـرر" الناصرية، رداً على مقالة ورسـالة كتبهـا إليـه. وكـانت صحيفـة "النـداء" قـد كتبت مقالة بعـد أيـام مـن انقـلاب ٨ شـباط (فـبراير) ١٩٦٣ بعنـوان "لقـد سلمت دجلة والفرات، إذ سلمت ياأبا فرات".

وتعرّض الجواهري في قصيدته المرسلة إلى أمين الأعور للسـلطة الانقلابيـة الجديدة ورئيسها عارف والموسومة بـ"أمين لا تغضب" بالقول:

"أمـين" خلّـي الـدم يـنزف دمـاً ودعْ ضرامـاً ينبثـق عـن ضـرام
يـاعبد حـرب وعـدوّ السـلام ياخزي مـن صلّـى وزكّـى وصـام
ياابن الخنـا ان دمـاء الكـرام نـارٌ تلظّـى في عـروق اللئـام

وفي التصدي للموجة الارهابية التي كانت تحظى بدعـم القـاهرة آنـذاك التي باركت ماكان يجري في العراق يقول:

وبـارك الفرعـون في مصـره بـين الغوانـي وكـؤوس المـدام(٣٠)

---

(٢٩) بُرُدٌ (جمع بريد).

(٣٠) لكن الجواهري عاد ونظم مرثية رقيقة ورائعة بحق الزعيم العربي الراحل جمال عبد الناصر تأكيداً لغلبة عاطفته الوطنية والقومية الجياشة على خلافاته السياسية حيث يصف عبـد النـاصر "بالنسر المحلق" الذي لا تحصي وثباته قياساً بعثراته، فالمجد لا يعصم الرجـال مـن الأخطـاء فمـا بالك بالعظماء. ويقول مخاطباً مصر:

وَهَـبي ثقيـل الظـلَ كنـت فلـم أُطَـقْ أفمـا أطَقْـتِ ـــ فديتـك ـــ الثقـلاءَ

وسيجد القارىء إشارة إلى هذه القصيدة في رثاء عبد الناصر، في مكان آخر من هذا الكتاب.

ويذهب الأستاذ حسن العلوي، إلى أن الجواهري، أفرغ كل مافي قاموسه من النقد السياسي، على نظام شبه إقطاعي، فيه شعرة ليبرالية، مودعاً آماله في خزانة المستقبل، لم يكن يتوقع قيام نظام أشد بطشاً وإرهاباً وقدرة على التخريب. ويعتقد العلوي، ان ذلك هو السبب، في إخفاق الجواهري، في كتابة قصيدة ضد عبد السلام عارف وتطور مدرسته الحاكمة، إلى مرحلتها الفاشية حالياً. ولا أدري ماالذي يقصده بكلمة إخفاق؟ فإذا كانت قصيدته إلى أمين الأعور ليست بمستوى قصائد مثل طرطرا وأبو التمن والوتري، الهجائية الشديدة والفنية البليغة وذات التحدي المباشر، فإن الأمر صحيح وربما يعود إلى احتدام الصراع آنذاك، وإلى كونه داخل حلبته. أما قصيدته المكتوبة إلى أمين الأعور، من براغ، وبعد سنوات من الغربة، وبعيداً عما يجري داخل العراق، فقد جاءت "باردة" فنياً مثل برودة حياة الغربة عموماً؟ رغم هجائها السياسي الحاد، في حين كان الجواهري عندما يقول قصيدة التحدي يكون في أتون المعركة فتخرج قصائده "حمماً" و"قذائف" بعيدة المدى لتلقى على الخصم وبوجهه. وقد يعود الأمر للجو السياسي، الملتبس والمتناقضات الدولية، وانعكاساتها على الصراع الداخلي في العراق، ومنها التأثير السوفيتي الايديولوجي واطروحاته حول "الطريق اللارأسمالي" و"الديمقراطيين الثوريين" وغيرها وهو ماعبّر عنه الجواهري في وقت لاحق(٣١) . ومع ذلك فإن قصيدة الجواهري إلى أمين الأعور، بغض النظر عن مستواها الفني، فقد لقيت ترحيباً شعبياً في وسط اليسار واستنسخت وطبعت بمئات بل آلاف النسخ في العراق، وتلك إحدى مفارقات العمل السياسي والثقافي في العراق، حين تشتهر قصيدة لاعتبارات لا علاقة لها بعنصر الجمال والفن، بل لاعتبارات احتدام الصراع السياسي وتغلبّه على الهم الثقافي أو الجمالي!

---

(٣١) تحدث الجواهري في لقاء خاص مع المؤلف عن مشكلات "لجنة الدفاع عن الشعب العراقي" التي كان يترأسها خصوصا محاولات الاتجاه السياسي السائد إملاء توجهاته عليها بعد تغيير نهجه الذي عُرف باسم "خط آب" للمهادنة مع سلطة عارف.

* نوع آخر من التحدي:

إن قاموس الجواهري السبعيني أو الثمانيني، شمل قصائد من نوع آخر للتحدي والكبرياء والاعتداد بالنفس، ومحاولات انتقاد الزيف والخداع. فمثلاً قصيدة: "أزح عن صدرك الزبدا"، التي ألقاها لأول مرة في "جمعية الرابطة الأدبية" في النجف، في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٥ وذلك بعد حصوله على جائزة "لوتس" نموذج آخر للتحدي. وقد نشرتها مجلة الديار اللبنانية في صورتها الاخيرة في آذار (مارس) ١٩٦٧. ويصفها الجواهري بأنها من أعزّ قصائده وأحبها إلى نفسه. يقول في مطلعها:

أزح عــــن صـــــدرك الزَّبـــــــدا	ودعـــــــه يبـــــــث مـــــــاوجدا
وخـــــل حطـــــام موجـــــــدة	تنـــــاثر فوقـــــــه قِصـــــــدا

ويواصل التصعيد:

أزح عـــــن صـــــدرك الزبـــــدا	وقــــل تُعـــدِ العصـــورُ صـــدى
أأنـــــت تخـــاف مـــن أحـــدٍ	أأنـــــت مصـــــانع أحـــــدا
أتخشـــــى النـــاس أشـــــجعهم	يخــــافك مغضبـــــاً حَـــرِدا
ولا يعلـــــــوك خـــــــيرُهُم	ولســـــتَ بخـــــيرهم أبـــــدا
تركـــــــت وراءك الدنيـــــــا	وزخرفهـــــا ومـــــا وَعَـــــدا
ومـــــا منّتـــــك مثقلـــــةٌ	بمـــــا يرضيـــــك أن تلـــــدا
ورُحـــــتَ وأنـــــت ذو ســـــعةٍ	تجبــــعُ الأهــــلَ والوَلَــــدا

ويعرض الجواهري بوضوح وصراحة بعضاً من جوانب شخصيته بتلقائيتها وعفويتها، بعناصر القوة الكبيرة وبنقاط الضعف الإنسانية، في حين يحاول الكثيرون تلميع شخصياتهم وادعاء ماليس لهم وتصنّع الفضيلة. ولعل خير من يعبر عن الجواهري، هو أدبه وشعره، فهو ليس بحاجة إلى أقنعة، انه

يجمع بجوار متناقض ولكن محبب الأضداد، بطريقة ديالكتيكية باستعارة التعبير الماركسي، رغم انها حالة عفوية لا تنشد الاستحضار الفلسفي.

يقول الجواهري:

ولم أر في الضدائـد مـن نقيـضٍ إلى ضـد نقيـضٍ مـن ضريـبِ

فليس للجواهري أسرار لم يكشفها هو بنفسه على الملأ، ليضع نفسه تحت الأضواء بل تحت المجهر أحياناً، وفي ذلك شجاعة فائقة بل نادرة. فلنتخذ من النص الشعري أداتنا في التقييم. يقول الجواهري:

عجيـبٌ أمـرك الرجـرا ج لا جنفـاً ولا صـددا
تضيـقُ بعيشـةٍ رغـدٍ وتهـوى العيشـة الرغـدا
وترفـض منـة رفهـاً وتبغـضُ بُلغـةَ صـردا
وتخشـى الزُّهـد تعشُـقه وتعشـقُ كـل مـن زهـدا
ولا تقـوى مصـامدةً وتعبـدُ كـلَّ مـن صمـدا

قد تذكرنا هذه المقطوعة بمقولة جلال الدين الرومي، ليس من باب الاسقاط الفلسفي أيضاً وإنما ضمن قانون وحدة الاضداد وصراعها "في أشد الأحقاد ثمة نكهة حب، وفي اسلم المبادىء ثمة نكهة حرب، وفي أقدس المشاعر وأطهرها ثمة نكهة مجون وشهوة".

ففي حين يُطلب من الجواهري أو المثقف بشكل عام أن يكون معصوماً، بدون أخطاء، وبدون عثرات أو نواقص، متحدياً، وثّاباً ، مقداماً، يُترك أحياناً ليلاقي مصيره ويتدبر أمور حياته بما فيها ظروف عيشه، وهي أمور يغلب عليها الولاء السياسي، قبل كل اعتبار، في السلطة وخارجها أحياناً، في الحكم أو في احزاب وقوى المعارضة. وهي مهمة قاسية ان يكون الشاعر زاهداً، صامداً، شجاعاً، وهو لا يملك شروى نقير، من أمور حياته والويل له إن أخطأ أو حاد أو سها أو إلتبست عليه الأمور أو اختلطت عليه الصور والألوان وسبحان من لا يخطىء.

وهنا أشير إلى أن الجواهري الشاعر كان في كل كبوة أو عثرة، أشد المحاسبين للجواهري الإنسان. ففي قصيدة "غاشية الخنوع" كان الجواهري يعيد تقييم المرحلة التي سبقتها، والتي يقول عنها: لم أغتصب ضميري سوى مرة واحدة، والمقصود بها قصيدة التتويج. تلك التي كتبها يوم اعتلاء الملك فيصل الثاني عرش العراق عام ١٩٥٣، والتي مطلعها:

تـه ياربيع بعطرك الزاهي الندي وبصنوك الثاني ربيع المولد

ولكنه كتب بعدها رائعة "كفارة وندم".

ففي قصيدة غاشية الخنوع يقول الجواهري:

حاسبت نفسي والأناة تردها في معرض التصريح لا الايماء

بيني لعنت فلست منك وقد مشى فيك الخمول ولست من خلصائي

ماذا يميزك والسكوت قسيمة عن خانع ومهادن ومُرائي

ماأنت اذ لا تصدعين فواحشاً إلا كراضيةٍ عن الفحشاء

ولست أجد محاسبة عسيرة للذات ونقداً عنيفاً للنفس مثل تلك الأبيات. فهناك من يريد من الجواهري أو المبدع عموماً أن يعلو على البشر فخط حياته ينبغي أن يكون مستقيماً بلا اعوجاج أو تعرج، وتلك قضية مناقضة لطبيعة الانسان في حين نرى أن الجواهري جمع "جدلية جميلة" وترابطاً عضوياً بين "المجد والخطأ" في قصيدته المهداة إلى عبد الناصر(٣٢) والتي يقول في مطلعها:

أكبَرتُ يومك ان يكون رثاء الخالدون عهدتهم أحياء

لا يعصم المجد الرجال، وانما كان العظيم المجد والأخطاء

تحصى عليه العاثرات، وحسبه ماكان من وثباته الإحصاء

---

(٣٢) حسن العلوي، "الجواهري -رؤية غير سياسية" - مصدر سابق - ص(١١٤).
راجع نص القصيدة التي ألقاها الجواهري في القاهرة في إحتفال بالذكرى الاولى لوفاة الرئيس جمال عبدالناصر ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠. كتاب "الجواهري في العيون من أشعاره" ، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٦، ص ٥٥٦ - ٥٦٠.

لا تزال مواقف الشعراء والكتّاب والمثقفين بشكل عـام تثـير إشـكاليات كثـيرة من حيث تبدل آرائهم ومواقفهم مع مرور الزمان وتغير الأحداث. فالمثقفون، وهذا ربما من سوء حظهم، غالباً مـاتدوّن أفكـارهم وأعمـالهم علـى الـورق وتكـون في متناول الجميع، مما يجعلهم عرضة للنقد والمساءلة أو التجريح أحياناً، مـع انهـا قيلـت في ظروف خاصة، أو في زمن مختلف وكما قيل "تغير الأحكام بتبـدل الأزمـان" في حين أن الغالبية العظمى من البشر قد تغير أفكارها ومواقفها بين اللحظـة والأخـرى من دون أية مساءلة وأحياناً لأسباب تتعلق بالمصالح الذاتية. فالذي قيل قبل لحظـات يصبح في طي الماضي وهذه طبيعة البشر، على مر العهود والأزمان.

وقد أجاب محمود درويش في مقابلة خاصة له عن سبب تناقضــه وتبديـل مواقفه بقوله: ان الحياة متغيرة ومتناقضة ولا تطلب مني أن أبقى أسير مواقــف عفـا عليها الزمان. الطبيعة متناقضة فيها الليل والنهار والظلام والضوء، ولكن بين المتناقضات يوجد انسجام ما، وتناسق.

وحسب قناعتي فإن الحياة "حركية" وفيهـا الكثـير مـن المفارقـات وردود الأفعال والمواقف، التي سرعان ما"تبرد" بعد حين أو تتغير الظـروف أو تتبـدل القناعات بما توفره الحياة ذاتها من معطيات تتطلب اتخاذ مواقـف جديـدة قـد تكون مناقضة لمواقف سابقة، وهذه سنّة الحياة. المتحجرون وحدهم هم الذين لا يتغيرون ولا يتناقضون!! (٣٣) .

وفي سياق نقده الساخر، للزيف، قال قصيدته "إلى محمد علي كلاي" التي تعكس حال المثقفين والمبدعين العرب وبتهكم أو استفزاز يكتب عن "الكلمــة" تجلب الملايين، بينما يعاني مبدعون وفنانون آخرون من شظف العيش:

شسْــعٌ لنعلــك كــل موهبــة ـــــ وفـداءُ "زنــدِك" كــل موهــوب

---

(٣٣) يقـول جـبران خليـل جـبران مـاذا أقـول في المقعديـن الذيـن يكرهـون الراقصين؟ إنكـم تستطيعون أن تخمدوا صوت الطبل، وتحلوا أوتار القيثارة، ولكن مَن مِن أبناء الانسان يستطيع أن يمنع قبّرة السماء عن الغناء!!

وصـــدى لهـــاثِك كـــل مُبتكـــر		مـــن كـــلٍّ مســـموع ومكتـــوب
ماالشـعر؟ مـاالآداب؟ ومـا بـــدعٌ		للفكـــر؟.. مـا ومضـاتُ أسـلوب؟
شســـعٌ لنعلـــك كـــل قافيـــة		ذوِّت بتشـــريقٍ وتغريـــب(٣٤)

وفي قصيدة "المتـنبي"، التي ألقاهـا في ٧ تشـرين الثـاني (نوفمـبر) ١٩٧٧ يصوّر الجواهري شموخ المتنبي وكأنه يتحدث عن نفسه:

تحـــدى المـــوت واخـــتزل الزمانـــا		فتـــى لـــوّى مـــن الزمـــن العنانـــا
فتـــى خَـــبَطَ الدنـــا والنـــاس طُـــرّاً		وآلى أن يكونهمـــــا فكانـــــا...

* حسب الثمانين!

تمثّل قصيدته ياابن الثمانين، التي نشرها في صحيفة "الشـرق الأوسـط" في عددها الصادر في ١٩٨٢/٢/١٩ قمة الاعتداد والرفعة حين يقول:

حسبُ "الثمانين" من فخرٍ، ومن جَذَلٍ		غِشـــيانُها بجنـــان يـــافع، خَضِـــلِ
يا "ابن الثمانين" كم عولجتَ من غَصَصٍ		بالمغريـــات فلـــم تشـــرقْ، ولم تَمَـــلِ
كم هزَّ دوحَـــكَ مـــن "قـــزم" يطاولُـــه		فلـــم ينلـــهُ ولم تقصـــر، ولم يَطُـــلِ
وكـم سعت "إمّعـاتٌ" أن يكـــون لهـــا		ماثار حولك من لغـو، ومـن جَـدَلِ

إلى أن يقول:

يا"صاحبي" وحتوفُ القـوم طوعُ يـدي		وكم أتتهم "رياح المـوت" مـن قِبلـي
أجـــل يراعـــك في آجـــالهم مِزقـــاً		فليس عنـدك بعـد اليـوم مـن أجـلِ
واضرب بهم أسوأ "الأمثـال" سـائرة		حتـى تثلـم فيهـم مضـرب المَثَـل!

---

(٣٤) أتذكر تلك القصيدة، التي سمعتها لأول مرة من الجواهري مباشرة في بيت المرحوم موسى أسد الكريم (ابو عمران) الذي عبثت به الأقـدار، فتعرض إلى الملاحقة والسـجن (في العـراق وإيران) فبعد ان كان ملحقاً صحفياً في بيروت وملحقاً ثقافياً في براغ، ضاقت به السبل حيث فصـل مـن وظيفتـه وانطبـق عليـه المثـل العربـي "عزيـز قـوم ذل". ويعتـبر أبـو عمـران احـدى الشخصيات القليلة التي كانت تلمّ بالجواهري وبشعره.

وقد راح الجواهري في قصائد الثمانينات، لا ينتقد الحكام فحسب، بل يلوم المحكومين أيضاً، الذين لا يتمردون ولا يثورون، في حين يُطلب منه تقدم الصفوف. وفي قصيدته إلى الدكتور صابر فلحوط، نقيب الصحفيين السوريين ومدير الوكالة العربية السورية للأنباء (سانا)، التي نشرتها مجلة "المجلة" الصادرة في لندن كانون الثاني (يناير) ١٩٥٨، يوجه نقداً شديداً للأوضاع السائدة في العالم العربي(٣٥) فيقول في مطلع القصيدة:

أأبا مَهنّدَ والجراح فمُ   وعلى الشفاه مِن الجراح دمَ

إلى أن يقول بحرقة منتقداً الأوضاع العربية المزرية، التي جلبت النكبات والهزائم القومية:

أفأمةٍ هذي التي هَزلت   وتناثرت فكأنها أممَ
يسطو على صَنمٍ بها صنمَ   ويغارَ من عَلمٍ بها عَلمَ
ويَساومونَ على شعوبهم   أعدى الخصوم كأنهم حَكَمَ
أمشَردون وأرضهَم ذهبَ   ومجوعون ونبتها عَمِمَ
آفألف مليونِ وقبلتهمَ   بيد اليهود الصَفر تقتسمَ

ثم يصعد الجواهري ازدراءه فيقول:

أأبا مهند شر من حكموا   ماكان لولا ذلَ من حَكِموا
ماذا على الراعي إذا اغتصبتَ   عَنزَ ولم تتمَرد الغنمَ
ياأيها "الطاعون" حَلَ بنا   وبمثلِ وجهكِ تكشفَ الغمَمَ

ويواصل هذا النهج في قصيدته المهداة إلى الدكتور صلاح خالص، والتي نشرت للمرة الأولى، في كتاب "الجواهري في العيون من أشعاره" والقصيدة نظمها في براغ بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٣٠:

---

(٣٥) كان الجواهري قد كتب القصيدة إلى صديقه الدكتور الشاعر صابر فلحوط، رداً على قصيدة كان قد ارسلها له إلى براغ ومطلعها:

ابا الفرات تحيتي ألم   حيث الحناجر كالجراح دمُ

أأخـي "ابـا سـعد" ومـن قبـلِ ... أهـدي سـتقبس جمرتـي قبسـا
يـاصفو اخـوان الصفـا إذا ... مـاجفّ نبـع مـروءة وجسـا

إلى أن يقول:

عـوت "الذئـاب" علـيّ نـاهزة ... فرصـاً تثـير الذئـب مفترسـاً
ينهشـن مـن لحمـي وكـل دم ... فيـه لخـير النـاس قـد حُبسـا

* "ماذا أغنّي"؟

في قصيدته التي أرسلها إلى الاستاذ جلال الطالباني زعيم الاتحاد الوطني الكردستاني في ١٠/١٢/١٩٨٠ يرد الشاعر على صديقه، الذي سبق وأن حاول استثارته محفزاً إياه على مواصلة التغنّي بالشعر، يقول في مطلعها(٣٦) :

شوق "جلال" كشوق العين للوسن ... كشوق نـاءٍ غريـب الـدار للوطـن

ثم يخاطبه منتقداً حالة الوهن والضعف، التي وصلت إليها الحركة الوطنية، فيقول:

ماذا أغني، وبي جمر على شفتي ... ومـن أغني؟ ومـا مـن معشـر إذن
لم يبق في "الحـي" من يحمـي ظعينتـهَ ... ولا على الـدار مـن يرمـي عـن السـكن
مـن ذا أغـني أشـتاتا موزعـة ... علـى التمـزق والثـارات والإحـن
أم صـابرين علـى ضيـم ومسـكنة ... صبر الحمار على مرآى مـن الأتـنِ
أم "الطلائـع" مزعومـين شـفهم ... وجـد التجـار بسـوق الربـح والغـبن
أم "الربيـط" كعـير الحـي في وتـدٍ ... مـن المهانـة لا يرضـى لمتهـن؟

وبحرقة وألم يواصل انتقاده:

وقلت لي أن "ناساً" شفهم نغمـي ... بمـن يمنـون في السـراء والحـزن
فهـل ترانـي "مزمـاراً" يثـار بـه ... لهو الخلائف من أعقاب "ذي يزن"

---

(٣٦) نشرت القصيدة للمرة الأولى في كتاب "الجواهري في العيون من أشعاره" ـ دار طلاس (دمشق ١٩٨٦).

فمن يطح منهم في غير معترك فلا سقت قبره صبابةَ المزن
ومن يعش ليناغي سمعهُ نغمٌ فليصغ سمعا إلى مستنقع نتن
نقّ "الضفادع" يغنيه ويؤنسه وانه عن هتاف الثائرين غني

وسار الجواهري، على هذا، المنوال في قصيدته، التي نظمها في حزيران (يونيو) ١٩٨٥ بعنوان "برئت من الزحوف" والتي نشرت لأول مرة في كتاب "الجواهري في العيون من أشعاره":

وسائلةٍ أأنت تُسبُّ جهراً ألست مَحَجَّ شبان وشيبِ
ألست خليفة الأدب المصفى ألست منارة البلد السليب
أيسرح شاتموك بلا حسيب وتسمع من هناك بلا نسيب

أو في قصيدته "بغداد"، التي نشرت للمرة الاولى عام ١٩٨٦ في كتاب "الجواهري في العيون من أشعاره" والتي يقول في مطلعها:

لا در درك من ربوع ديار قربَ المزار بها كبُعد مزار
بابن المقفع وابن قدوسٍ وبالحلاج والموحى له بشار
وبمالىء الدنيا وشاغلِ أهلِها وبأيما فلك لها دوار
بابي "محسدَ" وهي تقطع صلبه لم يدر عارٌ مثل هذا العار
ديست رؤوس الخيرين وعطرت أقدام فجّار بها أشرار(٣٧)

---

(٣٧) تعرّض الجواهري إلى حملة انتقادات خفية وعلنية من بعض المنتفعين والموالين والممالئين للسلطة الحاكمة في العراق، الذين لم تهزهم مأساة حقوق الانسان المستمرة في العراق وأعمال الملاحقة والتعذيب والاعدام وحملة التهجير التي شملت أكثر من ٣٠٠ ألف مواطن عراقي، بحجة التبعية الايرانية المزعومة، والتي طالت عائلة الجواهري ذاته حيث هجرت الحكومة عددا من أقربائه وفيما بعد حملة "الأنفال" سيئة الصيت وقصف مدينة حلبجة بالسلاح الكيماوي. وقد عبّر القاص ذو النون أيوب في رسالة إلى عزيز الحاج بتاريخ ١٩٨٥/١/١٨ أرسلها من فيينا إلى باريس عن مضمون الحملة ضد الجواهري منتقدا موقفه بخصوص الحرب العراقية ـ الإيرانية التي سبق وأن أفصح الجواهري عن توجهاته إزاء الصراع السياسي في العراق من خلال قصائد الثمانينات التي أشرنا إليها.
يقول ذو النون أيوب "... أما الجواهري، فمع ماتردد من اعجابي به في مذكراتي، فاني آخذ عليه ضحالة تفكيره وتقلبه، وأشنع مافعل هو السكوت أثناء تعرض العراق للخطر، وسوف لا أغفرها له حتى لو هجاني...". انظر عزيز الحاج ـ أبو هريرة الموصلي ـ ذو النون أيوب، دار رياض الريس، لندن ١٩٩٠ ذيول ص١٠٦.

* الجواهري والخليلي:

في أواسط الستينات، وعندما كنت طالباً في جامعة بغداد، أتابع بعض الأخبار الخاصة عن الجواهري، من خلال الخال الجليل وصديقنا العزيز عبد الغني الخليلي، وأحياناً عبر صادق القاموسي والشيخ صالح الجعفري والشيخ عبد الزهرة عاتي، لكن الخليلي كان الوحيد، من بينهم، على صلة مباشرة بالجواهري، وهي صلة تاريخية عريقة، رغم انفراط عقدها في مراحل لاحقة. وأتذكر مرة أني التقيت في شارع البنوك (مدخل شارع السموأل)، في بغداد، بالأستاذ الخليلي، فدعاني إلى زيارته في البنك العربي اللبناني، الذي كان معاوناً لمديره، وهناك فتح درج مكتبه بالمفتاح، وأطلعني على قصيدة الجواهري، المهداة إليه، والتي أرسلها من براغ، مع رسالة خاصة ومملحة. وهي بعنوان: "ابا الفرسان" وهي مقطوعة صغيرة تتألف من ١٢ بيتاً يقول في مطلعها:

أبا الفرسان انك في ضميري   وذاك أعز دار للحبيب[٣٨]

وظل الخليلي يحتفظ بمسودات نادرة للجواهري، ضمها بصندوق خشبي عتيق طالما حدثني عنه، وبخاصة خلال زيارتي إلى ستوكهولم عام ١٩٩٠ حيث استضافني في بيته. واحتوى الصندوق كما يذكر الخليلي على صور لرسائل أيضاً كان قد أرسلها الجواهري من براغ في الستينات أو عندما كان

وفي رسالة أخرى ١٩٨٥/٢/٤ يذكر ذو النون أيوب بل يحرض ضد الأدباء الذين لم يتخذوا موقفاً مقارباً من الموقف الرسمي، بل يتهمهم فيقول "أما شاعرنا (...) وأمثاله فخونة للوطن والأدب والفكر والانسانية. لقد أكرمته الجمهورية إكراماً، لم ينله أحد من الشعراء والأدباء، فبنت له داراً، ثم منح قطعة أرض... ومنح تقاعداً هو أكثر من تقاعدي لخدمة جاوزت ٣٣ سنة في الوظيفة. وأنت ترى ماأعاني من إيصال تقاعدي إليّ. ولم يخطر ببالي أن أتخلى عن الانتصار لوطني في مثل هذه الحرب الظالمة...". (المصدر السابق، ص١٠٧).

(٣٨) نشرت المقطوعة في المجلد الرابع من ديوان الجواهري، الصادر عن دار العودة في بيروت. وكانت مؤرخة في ١٩٦٨/٨/٢٤.

في سورية عام ١٩٥٧ وعلى قصاصات لشفاعات كان قد كتبها لمساعدة بعض الناس(٣٩) .

وعند زيارتي الاولى إلى براغ عام ١٩٦٩ في طريقي إلى مدينة كراكوف (بولونيا) لحضور المؤتمر التحضيري للاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد لينين، زرت مقهى "سلوفانسكي دوم" الذي كان الجواهري يؤمه كل يوم تقريباً، والتقيت به هناك. وكنت قد قرأت قصيدته الشهيرة المرسلة إلى الفريق الركن صالح مهدي عماش (وزير الداخليّة آنذاك)، والتي نشرتها الصحف العراقية. وقد اشتهرت القصيدة، التي كانت بعنوان "من مشارف سلوفانسكي دوم"، باسم "الميني جوب" وقد نشرت كاملة في صحيفة "النور" في ١١ أيار (مايو) ١٩٦٩ بعنوان "رسالة مملحة"

وكان الجواهري قد بدأ كتابة القصيدة على قصاصة ورق لفاتورة حساب صغيرة، صباح أحد الأيام في براغ، ثم اكتملت القصيدة في عصر ذلك اليوم، حتى أرسلت بالبريد المسجل إلى الفريق عمّاش.

يقول الجواهري في مطلعها:

وفى لها نَذراً فوافى وسعى لها سبْعاً وطافا

ثم يقول:

نُبئتُ إنك توسع الـ أزياء عَتاً واعتسافا
تقفو خطى المتأنقا ت كسالك الأثر اقتيافا
وتقيس بالأفتار أر ديةً بحجة أن تنافى
ماذا تَنافي؟ بل وما ذا ثَمَّ من خَلقٍ يُنافى؟

ويخاطب عماش محاججاً ومحتجاً:

---

(٣٩) قارن: عبد الغني الخليلي ـ سلاماً ياغريب، مصدر سابق، ص٣٤.

أتـــرى العفـــاف مقـــاس أقــــ مشـــــة؟ ظلمـــتَ اذن عفافــــا
هــــو في الضمـــــائر لا تخـــا ط ولا تقـــــصٌّ، ولا تكــــــافى
مــن لم يخـــف عُقبـــى الضميــــ ــر فمــن ســواه لــــن يخافــا(٤٠)

ولعل قصيدته (أرح ركابك)، التي ألقاها في الحفل التكريمي الـذي أقامته له وزارة الاعلام مساء يوم الجمعة ٣ كـانون الثـاني (ينـاير) ١٩٦٩ أي بعـد قدومه بأيام، في كازينو صدر القناة، كانت الأكثر شهرة فضجَّ العراق مع ابي فرات يومها بتلك القصيدة:

ارح ركـابك مـــن ايــنِ ومــن عــثَرِ كفاك جيـلانِ محمـولاً علـى خطـرِ
كفـاك موحِـشُ دربٍ رُحـتَ تقطعُـهُ كـأنَّ مغـبرّه ليـــلٌ بـــلا سَـــحَرِ
ويـا أخـا الطـير في ورْدٍ وفي صَـدَرٍ في كـلِّ يـوم لـه عُـشٌ علـى شـجرِ
عُريـانَ يحمـل منقـاراً وأجنحــةً أخـفُّ مـالمَّ مـن زادٍ أخـو سَـفرِ

---

(٤٠) لجأت السلطات العراقية عام ١٩٦٩ تحت ذريعة الحفاظ على الأخـلاق ومنـع التبرج إلى طلاء سيقان الفتيات بالصبغ وقص شعر الرجال. وهي واحدة من ملهاة السلطة العراقية، التي بدأت منذ ١٧ تموز (يوليو) ١٩٦٨ لإشغال الشارع العراقي تارة بهذه الحجة وأخرى بقصة إعدام الجواسيس في ساحة التحرير، بالطريقة البشـعة الـتي تمـت فيهـا وبالمحاكمـات الصوريـة، وثالثة بحكايـة عدنـان القيسـي (بطـل المصارعـة) ورابعـة بقضيـة سـيناريو الرعـب "أبـو طـبر" وخامسة بحادث الحنطة المسمومة وسادسة بمشكلة "مرض الأغنـام" وذلـك قبـل مـرض جنـون البقر (البريطاني) وسابعة بمسرحية "الجيب العميل" إثر فشل الحركة الكردية بعد اتفاق ٦ آذار (مارس) ١٩٧٥ وثامنة بتراجيديا التهجير وتاسعة بعمليات "التبعيـث" سيئة الصيـت والشـعار الشهير الذي كان يعني: كل مواطن بعثي وإن لم ينتـم... والـتي تبعتهـا حملـة انـتزاع الـبراءات الجديدة بموجب المادة ٢٠٠ من قانون العقوبـات البغـدادي والـتي يصـل حكمهـا إلى الاعـدام وذلك طبقاً لتعهدات كانت تنتزع من المواطنـين في محـلات العمـل والسـكن، وكلهـا كـانت تمهيداً لعملية التدمير الشاملة التي مرت بمرحلتين: الاولى في الحرب العراقية ـ الايرانيـة، والثانيـة عند غزو الكويت والاصرار على الدخول بحرب محسومة النتائج سلفاً وما تبعها من اشـكالات وتدهور على جميع الأصعدة، سواء عند قمع الانتفاضة في آذار (مـارس) ١٩٩١ أو باسـتمرار الحصار الدولي وعمليات التجويع ضد الشعب العراقي.

وافتتح الاحتفال بقصيدة لوزير الداخلية صالح مهـدي عمّـاش علـى وزن هذه القصيدة، التي يقول فيها:

أرحْ ركـابكَ مـن أيـنٍ ومــن عَـثَرِ   هيهاتَ مالكَ بعـدَ اليـوم مـن سفرِ

وكان الجواهري قد أُحيط في بداية عودته برعاية خاصة من عماش ووزير الاعلام عبـد ا لله سـلوم السـامرائي والشـاعر شـاذل طاقـة والصحفـي حسـن العلوي وآخرين ممن كانوا يتصدرون الواجهة الثقافية الرسمية، ثم خصـص لـه (مجلس قيادة الثورة) راتباً تقاعدياً، وذلك بمرسوم جمهوري رغبـة مـن الحكـم الجديـد في الظهـور بمظهـر لائـق علـى الصعيـد الثقـافي والسياسـي، الداخلـي والعربي، قبل أن يكشر عن أنيابه ويبدأ بمحاربة المثقفين والقوى السياسية.

وخلال تلك الفترة اشتهرت في بغداد قصيدة الجواهري "بريد الغربة" التي نظمها عام ١٩٦٥ والتي يقول فيها:

لقــد أســرى بــي الأجــلُ   وطــول مســيرة ملــلُ
وطــول مســيرة مــن دو   ن غــاي مطمــح خجــل

إلى أن يقول:

ســلاماً كلــه قبــلُ   كــأن صميمهــا شُــعَلُ
وشــوقاً مــن غريــب الــدا   رِ أعَيــتْ دونــهُ السُــبُل

كما اشتهرت قصيـدة "بائعـة السـمك" الـتي نظمهـا عـام ١٩٦٥ والـتي يصف فيها الفاتنة الجميلة، التي تبيع السمك في إحد محلات براغ، حيث يقول في مطلعها:

وذاتَ غــداةٍ وقــد أوجفــتْ   بنــا شــهوةُ الجــائعِ الحــائرِ
دلفنــا لـــ"حــانوت" سمّاكــةٍ   نــزوّدُ بالســمك "الكــابري"
فلاحــت لنــا حلــوةُ المَجتلــى   تلفــتُ كالرشــأ النــافر
تشــد الحــزام علــى بانــةٍ   وتفــتر عــن قمــر زاهــر

مـن "الجيـك" حسـبكَ مـن فتنـة   تضيـق بهـا رُقيـةَ السـاحر

قد تمثل هذه القصيدة صوراً ذهنية جمعهـا الشـاعر فسيفسـائياً مـن بطـون الكتب التاريخية، فالعلاقة قد لا تصح لبائعة سمك جيكية، بـل هـي أقـرب إلى غزالة نافرة، وصياد يتحين الفرص وهـي أبعـد مـاتكون عـن علاقـة بـين بـائع وزبون، فالجواهري استبدل الصحراء ذات المسافات الشاسعة بالحانوت "دلفنا لحانوت سمّاكة" بما يوحي به الأفق البعيد. أما كلمة "لاحت" فهي تدل بلاغياً على ظهور شيء بعيد ينتظره الراوية (الصياد) بترقب وكلمتا (تلفّتَ) و(النافر) تدلان على الخوف والحذر وهما صفتان أساسيتان في كل غزالة برية لا تستطيع الدفـاع عـن نفسـها إلا بسرعتها وهروبها، فـالصور الـتي رسمهـا الجواهري مستحضراً التاريخ بضبية بدوية نافرة (الرشأ النافر) أقرب من بائعة سمك في حانوت في براغ خاضعة لشروط عمل لها علاقة بالزمان والمكان.

وكانت قصيدة "مرحباً أيها الأرق" التي نشرت فيما بعـد بديـوان خـاص بعنوان "ايها الأرق" في عام ١٩٧١ قد ذاع صيتها وانتشرت بشكل واسع:

مرحبـاً يايهـا الأرقُ   فرشـت أنسـاً لـك الحـدَقُ
لـك مـن عيـنيّ منطلـقٌ   اذ عيـونُ النـاس تنطبـقُ
أنـا عنـدي مـن الأسـى جبـلٌ   يتمشـى معـي وينتقـل
أنـا عنـدي وان خبـا أمـلٌ   جـذوةٌ في الفـؤاد تشـتعل

وكانت رائعة "ياندِيمي"، وماتزال، تجسـد رؤيـة جدليـة للشـاعر وتناقضـاً للنفس البشرية:

يـانديمي: نفسـي جُـذاذاتُ طِـرسِ   عَريـتْ فوقهـا بطهـرٍ ورجـس
مـن مَراقـي نَعمـى وهُـوّات بـؤسِ   مـن أشـمٍ ومـن أخـسٍ أخـس
كـذبَ البُحـتري إذ قـال أمـس: "صنتُ نفسـي عمـا يدنـس نفسـي"
دنـس النفـسِ حُلـةٌ مـن دِمقـسِ   لـن تَغطى ــ ولـو بمليـون عُـرسِ

* براغ:

في منفاي الاضطراري الأول، (١٩٧٠) كانت براغ المحطة الاولى التي أستقر فيها. وربطتني بالجواهري علاقة حميمة، بدأت تتعمق وتنتقل من العلاقة العامة، إلى العلاقة الخاصة، أي من الفعاليات والأنشطة التي كنا نقيمها، وكان الجواهري صداحاً فيها، إلى المجالسة في المقاهي والزيارات إلى بيته في ضاحية بترشيني - فيترنيك، الجميلة، الواقعة في منطقة براغ - ٦.

وكنا نجلس أحياناً في مطعم قرب بيته نحتسي (البيرة) يدعى "مطعم كوزموز" وغالباً مايكون معنا المرحوم موسى أسد الكريم "أبو عمران" الذي كان واحداً من أهم الشخصيات المهتمة بالجواهري، ومن الذين يحفظون شعره، ويقرأونه بغنائية لذيذة، وبصوت جهوري مهيب. وفي وقت لاحق، كان وجود المرحوم "شمران الياسري" (أبو كاطع) في أواسط السبعينات، مصدراً جديداً لتنوع الجلسات والأحاديث. وقد عاش أبو كاطع في بيت الجواهري، لبضعة أسابيع عندما كان الجواهري مسافراً، يقضي وقتاً للراحة في أثينا، والتي كتب فيها قصيدته الرائعة "سجا البحر" أو ذكريات من أثينا ونشرتها صحيفة "الجمهورية" (البغدادية) في ٢٧ آب (أغسطس) ١٩٧٧.

سجا البحرُ وانداحَتْ ضفافٌ نديةٌ ولوّح رضراض الحصى والجنادلِ

وفي بيت الجواهري، كتب أبو كاطع، قصته مرزوكه (الكلبة التي شنقت نفسها) كما استوحى قصته، "بائع عرق السوس"، من لوحة معلقة في بيت الجواهري.

ثم انتقل أبو كاطع للسكن معي، حتى غادرت إلى بغداد. وقد نعى الجواهري صديقه موسى أسد الكريم يوم توفي، في براغ (أواسط الثمانينات) بما يستحقه.. وبكلمة مؤثرة على قبره في مقبرة "أولشاني" (براغ) قال: انه من القلة التي تمتلك مفاتيح الحرف العربي، في إشارة، إلى كفاءته وقابليته

الثقافية النادرة، حيث كنا نطلق عليه اسم "دائرة المعارف العراقية"، وهو ماظل يكرره باستمرار في جلساته.

وقد تأثر الجواهري كثيراً لوفاة شمران الياسري (أبو كاطع) قبل الأوان، كما أفاد لي، وذلك حين وصله خبر وفاته ١٧ آب (أغسطس) ١٩٨١ حيث توفي في براغ ودفن في بيروت بمقبرة الشهداء الفلسطينيين. وكان يؤكد انه وصل إلى مرحلة النضج وامتلك أدواته الفنية، على نحو دقيق وماهر. وترك أبو كاطع تراثاً زاخراً ورحل وهو في أوج عطائه، من المقالة الصحفية الساخرة، إلى الرواية: الرباعية وقضية حمزة الخلف، إضافة إلى انه كان يعد قاموساً شعبياً (للمصطلحات العامية). ورغم مضي ١٥ عاماً على وفاته، لم يطلق سراح أوراقه الخاصة ومخطوطاته(٤١).

خلال تعرفي ولقاءاتي المتواصلة بالجواهري، والتي امتدت على ربع قرن، من بغداد، إلى براغ إلى دمشق إلى لندن، كنت شديد التعلق به، وكنت أقضي معه وفي مجالسته ومصاحبته ساعات طويلة، خصوصاً بعد أن عاش في دمشق ولا يزال هناك (أطال الله في عمره) وكان كثير من الأسئلة يعصف بذهني: كيف تسنّى لرجل قادم من النجف (المحافظة) أن يعبر كل هذه الحدود، والحواجز والمحرمات، والممنوعات، ليبلغ مابلغه من حرية وتقدم، بل ليكون رائداً فيها، داعية أول لنبذ التقاليد البالية والعصبيات والشعوذات والقبلية والعشائرية والشوفينية والطائفية. ماهو سر قوته؟ ماهي مصادر ثقافته؟ ماهي أهم ينابيعه الفكرية والروحية؟ كيف اختار التحدي عنواناً، وكيف استطاع مواصلة هذا التحدي، كل هذا العمر؟

---

(٤١) انظر: محاضرتنا في لندن بتاريخ ١٧ آب (أغسطس) ١٩٩٦ بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لوفاته وكذلك المقابلة الاذاعية معنا (إذاعة سبيكتروم) في لندن بتاريخ ١٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٦ حول أبو كاطع: حياته وأدبه وكذلك محاضرتنا بدعوة من البيت العراقي في كوبنهاغن وكذلك النادي المندائي في لوند (السويد) تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٩٦.

كيف استلهم قصيدة الصراع واستشرف البعد العربي والمأساة الفلسطينية وكيف تجسدت "سواستبول" في مخيلته... عشرات الأسئلة كانت تتقافز في ذهني، وتغريني لاستكمال حوارات معه وتدوين وجهات نظره وتسجيل بعض ذكرياته، كي أضمها إلى السياق، الذي كنت أتخيله لشاعر نهل من الثقافة العربية ـ الاسلامية بل غاص فيها، حتى اكتشف مافي القاع من درر ومحّار وأحجار كريمة، متحصناً بالفلسفة، مزاوجاً ذلك بفكرة الحداثة. فالشاعر هو حالة انفعال دائم وتوتر مستمر، بل مخاض عسير تُولد بعده القصيدة جميلة معافاة، فما بالك إذا كان هذا الشاعر هو الجواهري الشديد الانفعال والقلق والتوتر، والكثير التوق والانفتاح على المغاير، وكأنه في حالة تناقض وتجاذب ضمن سوية ذوقية وأخلاقية واجتماعية، فرغم تمسكه بالجذور واعتصامه بحبلها المتين، فإنه رفض القيم والمفاهيم السائدة وبخاصة الزائفة منها والعتيقة والبالية.

*** حسين مروّة:**

في دمشق تنوعت الجلسات الأدبية، فإضافة إلى الأدباء صابر فلحوط والروائي حنا مينه، صادف أن كنا مدعوين في بيت الجواهري ومعنا المرحوم الشيخ الجليل حسين مروّه، الذي اغتيل في بيروت(٤٢) حيث فاجأني بالسؤال:

---

(٤٢) ثمة رصاصات جاهلة صُوّبت بعناية ودقة لتستقر في رأس الشهيد العلامة والمفكر حسين مروة وذلك في شباط (فبراير) ١٩٨٧ وقد وقف المفكر مهدي عامل (الدكتور حسن حمدان) الذي استشهد بعد ثلاثة اشهر من اغتيال مروة، ليودع زميله في مقام السيدة زينب (ع) وسط حفل مُهيب وحشد كبير من المثقفين وليعلن نداءً لوحدة المثقفين ضد الجهلة والتخلف "... أتينا لنشهد أنك وحّدتنا ضد غدر القتلة فلنشكرك فقد ايقظت في وجدان المثقفين حقيقة أنهم، جميعهم مستهدفون لأنهم مثقفون، فمن طبيعة الظلامية أن تقتل إيمان الانسان بالانسان فالثقافة، كل ثقافة خطر عليها...".
النص مقتطف من كلمة للمؤلف منشورة في صحيفة "المنبر" التي كان يشرف عليها في بيروت، العدد (١)، حزيران (يونيو) ١٩٨٧.

منذ متى لم تأكل "مذهب الجلب" أي الكلب (والكلمة بالعاميّة العراقية) وهي تسمية شعبية لأكلة كان الكثير من الفقراء والكادحين في النجف يتناولونها، حيث كان مروّة يومها يعيش في النجف، ويدرس العلوم الفقهية إبان العشرينات، والأكلة تلك عبارة عن (رز أو مايطلق عليه بالعاميّة العراقية "تمّن" مع الماش والدبس) وكانت تلك الوجبة تؤكل في النجف، ذات المناخ شبه الصحراوي، خصوصاً خلال فصل الصيف الحار. مما تسبّب تداعيات، جعلت العامة، يطلقون عليها هذا الاسم. لكن الجواهري، الذي بدا متألقاً وفرِحاً في تلك الجلسة، أصيب بوعكة صحية على نحو مفاجىء، منعته من مواصلتها، فغادرنا ملحّاً على استكمالها، في حين تم نقله إلى مستشفى "الشامي" في وقت لاحق.

وبودي أن أشير إلى أن الدكتور حسين مروّة، الذي عُرف بنزعته اليسارية البارزة وبمحاولته الجادة لقراءة الفلسفة العربية ـ الاسلامية من زاوية التفسير المادي للتأريخ، كان قد درس في مدرسة الخليلي الدينية في النجف، إضافة إلى صديقه الأديب محمد شرارة، قرابة أربعة عشر عاماً وكذلك في مدرسة البادكوبية وتجمّع حوله كما يذكر الراحل الدكتور مصطفى جمال الدين، عدد من الطلبة ممن تأثروا به، كما انه مارس التعليم وزاول الصحافة طيلة عقد من الزمان قبل أن يعود إلى بلده لبنان(٤٣) .

(٤٣) ضمّت النجف في جامعتها الدينية نحو أربعين مدرسة آنذاك، وهي بمثابة أقسام داخلية كما نصطلح عليه في الجامعات الحديثة. وكانت الدروس والمحاضرات تلقى عادة في الجوامع والمساجد مثل "جامع الهندي" و"مسجد الترك" و"جامع الطوسي" و"مسجد الخضراء" إضافة إلى الصحن الشريف. وكانت المدارس تلك تحوي غرفاً لسكنى الطلبة الوافدين. وتضم كل مدرسة بين عشرين إلى أربعين غرفة. ومن أشهر تلك المدارس "مدرسة اليزدي" و"مدرسة الآخوند" و"مدرسة الشيرباني" و"مدرسة الخليلي" و"مدرسة كاشف الغطاء" و"مدرسة الجواهري" وغيرها.

انظر: الدكتور مصطفى جمال الدين ـ الديوان، دار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٥، ص٢٥ ـ ٢٦

يقول حسين مروّة عن ذكرياته العزيزة وتجربة حياته الغنية وتحوله الفكري بعد أن تعرف على "ماركس" في النجف، الذي دخل حياته منذ ذلك الحين "في أواخر الثلاثينات بدأت أدخل المرحلة الدراسية النهائية في النجف، وفي الوقت ذاته كنت أكتب اسبوعياً لمجلة "الهاتف" (لصاحبها القاص والكاتب المعروف جعفر الخليلي) مقالة أو قصة..." وكذلك في صحيفة "الرأي العام" التي كان يصدرها الجواهري، الذي ربطته به علاقة صداقة مديدة. ويضيف حسين مروّة "وكان هذا الحضور الأدبي والفكري الأسبوعي يوسع أفق علاقاتي الأدبية والفكرية إلى أبعد من النجف... لأن "الهاتف" كانت مجلة المثقفين العراقيين. وفي هذا الأفق نفسه انعقدت صلتي بـ"الشيخ" الشيوعي حسين محمد الشبيبي... وبانعقاد هذه الصلة دخلت صميم العلاقة الصحيحة، أي العلمية مع ماركس (الماركسي)."(٤٤) .

لقد كان الشيخ حسين مروّة وهو مايزال يرتدي العمامة ويعيش في النجف مهتماً بحركة التجديد الفكري وبالتحرر الاجتماعي ولذلك لم يجد ضيراً من إبداء إعجابه بقصيدة الجواهري "جربيني" التي احتوت صوراً شعرية جريئة وغير تقليدية، رغم ان التزمت على حد تعبير الأديب عبد الغني الخليلي شن عليها حرباً. وقد كتب مروّه مقالة في مجلة "الحضارة" التي كان يصدرها في النجف الشيخ محمد حسن الصوري، متناولاً فيها بالشرح والتفسير قصيدة الجواهري الغزلية تلك(٤٥) .

---

(٤٤) نشر حسين مروّة مقالة في مجلة "الهاتف" بعد انتهاء دراسته في النجف (١٩٣٨) بعنوان "أنا وعمامتي" تحدث فيها عن ذلك الصراع الطويل والمرهق والممتع بين حلم الطفولة الذاهب وعلاقته ونوازعه ورواسبه وبين المشروع المعرفي غير المحدود، الذي جعله حسب قوله البديل عن ذلك الحلم.

(٤٥) انظر: عبد الغني الخليلي - سلاماً ياغريب، مصدر سابق - ص ٢٠ - ٢١.

ومن الجدير بالاشارة أن أذكر انه كان يتردد على منزل الجواهري في دمشق في أواسط الثمانينات عدد من المثقفين والسياسيين بينهم: عامر عبد الله وفخري كريم وعبد الرزاق الصافي وحسن العلوي والدكتور فاضل الانصاري وعلي السنجاري والمرحوم الدكتور عبد اللطيف الراوي والراحل الشاعر مصطفى جمال الدين وآخرون. وعندما كان الزعيمان الكرديان، جلال الطالباني ومسعود البرازاني، في زيارة إلى دمشق، كان ضمن برنامجهما زيارة (أبي فرات) والاستماع إليه، وغالباً ماكان يتألق بحضورهما.

*** لهو بريء:**

وفي السنوات الأخيرة لازمه، إضافة إلى ولده الدكتور كفاح وابنته الدكتورة خيال، أقرباؤه (صادق وجمال الجواهري) وأحياناً في براغ أو دمشق كان بمصاحبته رواء الجصّاني (ابن السيد جواد الجصّاني والسيدة نبيهة الجواهري والدته، وهي أخت الجواهري، التي كان يودّها كثيراً، وبكاها عندما توفيت ودفنت بالشام). كما كان يعتني به ابنه نجاح الجواهري ويزوره باستمرار الدكتور رجاء الجصاني ابن اخته وفي الفترة الأخيرة، وقف على رعايته، الفنان المسرحي صباح المندلاوي، زوج ابنته د. خيال، خصوصاً بعد رحيل زوجته وشريكة حياته أمّونه "أم نجاح" في لندن ١٩٩٢ وكان غيابها قد ترك أثراً كبيراً في حياته، حيث صاحبته في رحلة العمر، في الشباب والكهولة والشيخوخة وتحملت الكثير.. الكثير من أجله. وقد سبق للجواهري أن خصها بقصيدة في السبعينات عنوانها "حبيبتي" التي يقول في مطلعها:

حبيبتي منذ كان الحب في سَحَرِ حُلوَ النسائم حتى عَقَهُ الشَّفقُ

ياحلوة المجتلى والنفسُ غائمةٌ والأمر مختلط والجو مختنق

خلال سنوات الشام، كانت اللعبة المحببة على نفس الجواهري هي لعبة "الكاغد" على حد تعبيره، وهي تعني الورق (Playing card)، التي كان يفضل منها (الكونكان ـ ٥١) حيث كنا نشاركه اللعب معه عائلياً ونزولاً عند رغبته، ومعنا في الكثير من الأحيان د. فاضل الأنصاري وزوجته الكريمة. وكان الجواهري يبتهج كثيراً، بفوزه ببضعة قروش، محاولاً المزاح مع الخاسرين، مظهراً براعته في اللعب، واصفاً من يقابله باللعب بـ"الأعجمي" وهو تعبير يطلقه العراقيون، على من لا يتقن فنون اللعب أو إتمام عمل على نحو جيد ورصين. وفي حالة خسارة الجواهري يبدأ بالتكدر، وهو تكدر يضفي على الجلسة حلاوة من مذاق آخر، خصوصاً عندما يقرّع مقابله بالقول "حظك عدل". وهو تعبير عراقي آخر يعني أن الحظ قد حالفك وان "الجواكر" ـ (جمع جوكر ـ ورقة الحظ) قد نامت عندك. وهو بذلك يشبه فلاديمير ايليج لينين، الذي كان يبدو مبتهجاً ومرحاً كثيراً حين يفوز على مقابله مكسيم غوركي في لعبة الشطرنج، بينما يتكدر مزاجه عند الخسارة. وكان الجواهري شغوفاً بتلك اللعبة وخصوصاً مع المقربين (من أهل بيته ومن الأصدقاء) فما كان هؤلاء يجتازون عتبة بيته، حتى يبادرهم بالقول "حضّروا البطانية" والبطانية هي الغطاء الصوفي الخفيف، يقوم مقام (اللحاف) عند اعتدال الجو. وكان يريد بها أن تحل محل البساط الأخضر، الذي يُفرش عادة عند موائد اللعب في (الكازينوهات)... وعبارة (حضروا البطانية) تجلّت في الرغبة بالتسلية البريئة لدى الجواهري، خصوصاً بعد ضعف بصره، واضطراره إلى إجراء عملية جراحية في عينيه بباريس في النصف الأول من الثمانينات، وكأنما أراد بذلك، أن يشغل نفسه، وهو شاغل الدنيا، عن فراغ سبّبه ابتعاده عن القراءة، ومن يدري، فربما أراد أن يرحم قليلاً من كان يقرأ له نصوصاً من الأدب والشعر والتاريخ والسياسة والاجتماع. ظل الجواهري يشرب ويدخن باعتدال كل هذا العمر، وفي كل مرة كان يُقبل على مشروب جديد

فتارة يختار الفودكا ويستمر عليها ويستمتع بها ويتحدث عن مزاياها، وأحياناً يتناول ظهراً قدحاً من الكونياك الفرنسي (نابوليون) وفي بعض الأحيان يفضل الارميني المعروف باسم "أرارات" وبشكل عام فإن الويسكي كان سيد المشروبات لديه وخصوصاً البلاك ليبل (Black Label). وكان يشرب الويسكي مع الصودة وقليل من الثلج. وفي دمشق لم تكن محلات بيع الصودة منتشرة فكان إذا دعي الجواهري إلى وليمة، حمل سائقه بضع قنانٍ من الصودة تحسباً لعدم توفرها عند مضيفه.

وفي عام ١٩٨٤ دعوته مرة إلى بيتي في دمشق مع زوجته "أم نجاح" وأخته أم كاظم (السيدة نبيهة) وولدها لواء، إضافة إلى أقربائه الآخرين، وبحضور الأستاذ داود التلحمي رئيس تحرير مجلة "الحرية" الفلسطينية والمثقف العراقي طارق الدليمي والشاعر الشعبي جمعة الحلفي والفنان والموسيقي سامي كمال، وكانت جلسة رائعة، قرأ فيها الجواهري بعضاً من أشعاره واستمعنا إلى غناء سامي كمال الذي شاركه جمعة الحلفي وزوجته سهيلة. ومن الطريف أن أذكر اني حاولت أو اوفر الصوده لشرابه، لكني لم أفلح واعتبرت ذلك نقصاً لم يكن بوسعي تلافيه، فإذا بأبي فرات يدخل وهو يضحك ويسألني "مالكيت صودة مو" باللهجة العراقية: أي انك لم تجد صودة أليس كذلك..؟ وكان قد جلبها معه لمعرفته بعدم توفرها لديّ!!.

الفصل الثالث

في حضرة الشعر:

فضاءات وبحور!

* العيون:

خلال اللقاءات والعلاقات الطويلة والمتنوعة، فكّرت أكثر من مـرة في أن أدوّن بعض حوارات وحكايات وآراء للجواهري، وابتدأت معـه فعلاً، حـين استقر في دمشـق، في أوائـل الثمانينـات وتلكـم مسـؤولية بقـدر مـاهي رغبـة شخصية. واحتفظت بجزء من تلك الذكريات والقصاصات، حتى ذهبـت إلى كردستان، في مهمة اعلامية وسياسية، مع الأنصار "البيشمركة"، عام ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣. وعند عودتي وتماثلي للشفاء، إثر علاج تلقيته في دمشق وموسـكو واستكملته في براغ وصوفيا، بـدأت المشـوار معـه مـرة أخـرى. وسـجلت لـه أشرطة صوتية (كاسيت) في أواسـط عـام ١٩٨٥... وخـلال الحـوار، لمعـت فكرة، عبّر عنها الجواهري، بحاجة الجيل الجديد، من الشباب العربي والجامعي بخاصـة، وكـل متذوقـي الأدب والشـعر منهـم بعامـة، إلى المجموعـة الشـعرية الكاملة. ومن بين هذا السبب أو ذاك، كما يقـول الجواهـري، انبثقـت فكـرة خاطفة، سرعان ماتحولت إلى حيز التنفيذ، وهي أن يكون في متناول الجميـع، "مجموعة واحدة"، تضم في دُفّتيها "العيون المختارة"... يسـتريح فيهـا الحـاصل عليها... إلى صميم الواحة الأكثر اخضراراً والاغزر ينابيع، وذلك بطبعة غـير

تجارية، لتصل إلى أيدي القراء وخصوصاً ذوي الكفاف، فمن يتعذر عليهم الحصول، على المجموعات الكاملة بأجزائها التي تراوحت بين السبعة أجزاء (طبعة وزارة الاعلام في بغداد) والخمسة أجزاء (طبعة وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية) وشرعت باختيار مقطوعات من شعر الجواهري، وقمت بتصنيفها حسب السنوات. وقد قسمت المجموعة، إلى عشريات سبع، واخترت افضل القصائد وأحسن مافيها من أبيات، محافظاً على روح القصيدة ومناسبة نظمها، وأطلقت عليها اسم "الجواهري في العيون من أشعاره". وقد وجدت صعوبة بالغة في عملي "الانتقائي" إذا جاز التعبير، خصوصاً وانني كنت أشعر، وكأني أقوم باقتطاع أجزاء من سبيكة ذهبية مشغولة بإحكام ومنقوشة بدقة أقرب إلى الحياكة، وضمت هذه الطبعة قصائد جديدة، لم تضمها أية طبعة أخرى من الطبعات السابقة، وتمت الإشارة إليها في كلمة التقديم، وجاءت بعض المقطوعات غير الطويلة كاملة، كما ان بعض القصائد كان من المتعذر اقتطاعها، لتماسك أطرافها ولأهمية مواضيعها.

وقمت في الوقت ذاته بجهد توثيقي، بمراجعة المقدمة التي أعدّتها اللجنة المشرفة على المجموعة الكاملة لطبعة وزارة الاعلام العراقية في بغداد، لجعلها صالحة للطبعة الجديدة، التي اختلفت ظروف طبعها، عن سابقاتها، مع بعض الاضافات والتنقيحات والتعديلات الضرورية.

وأعدت نشر مقدمة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة السورية، المستقاة من ديوان الجواهري (الاجزاء الكاملة) الصادرة عن وزارة الثقافة والارشاد القومي في سوريا. وهي عبارة عن كلمة ألقتها الدكتورة العطار، في حفلة تكريمية للجواهري في سينما الحمراء بدمشق في أواخر عام ١٩٧٨.(٤٦) كما تم إعادة نشر مقطوعة الجواهري النثرية التاريخية "على قارعة الطريق"

(٤٦) ألقت الدكتورة نجاح العطار محاضرة بعنوان "وقفة مع الجواهري" في النادي العربي بدمشق في شباط (فبراير) ١٩٨٤.

وكتب الجواهري الكبير مقدمة وضّح فيها أسباب إصدار هذه المختارات، كما خصص صفحة للحديث عن الجهد، الذي بُذل في سبيل إنجازها (منشورة في مكان آخر). في الواقع، فإن كل ماأنجزته من اختيار، لتلك العيون، أو ضم هذه اللقطة، إلى جانب تلك، والإشراف على طبعها وتصحيحها، كان بالاتفاق معه، حرصاً على أن تأتي بأجمل الثمار، وبخاصة تحقيق الهدف الذي حدده الجواهري لنشرها. وكان حريصاً على متابعة التفاصيل، حتى صدر الكتاب في دمشق، عام ١٩٨٦، عن دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر بـ ٧٠٠ صفحة(٤٧) .

* العلوي وديوان العصر:

وعندما هممت بإعداد حواراتي الخاصة، كان الاستاذ حسن العلوي، قد شرع في إنجاز كتابه عن الجواهري "الجواهري ديوان العصر"، والذي يعتبر بحق واحداً من أهم الدراسات التفصيلية التي صدرت عن الجواهري، خصوصاً وان الاستاذ العلوي يمتاز بإسلوب رشيق ولغة جميلة تجمع بين الصحافة والأدب، وبقدرة متميزة على التفكير المستقل والتحليل والاستنباط والمقارنة، والحقيقة فإن الكاتب والصحفي حسن العلوي، أعطى نكهة خاصة جديدة لقراءة شعر الجواهري من وجهة نظر باحث متخصص، وهنا تكمن الأهمية الاستثنائية المضافة للبحث، بغض النظر عن بعض نقاط الخلاف معه أو عدم الاتفاق مع بعض استنتاجاته.

وإذا كان كتاب العلوي استفزازاً "لمعسكر الجواهري" الذي سكت حين وضعت كتب وأبحاث ونشرت مقالات تصب جميعها في دائرة العداء الصريح للجواهري، فإن دائرة المثقفين التقدميين، كما ندعوهم، إلى جانب رجال

---

(٤٧) يُذكر، ان شريط فيديو، قد صدر بالعنوان ذاته، فيما بعد في عام ١٩٩٤، من طبع وتوزيع مؤسسة بابل (بابليون) التي يديرها الاستاذ رواء الجصّاني في براغ.

التراث الحريصين على الارث العريق للثقافة العربية وآدابها الأصيلة لم تظهر خطوطاً دفاعية عن رجل عاش حياته الشعرية والسياسية مدافعاً عنهم وعن حقوق الشعب العراقي وحريته فاكتوى بسعير الأحداث الطاحنة وعاش عذابها في بلاده المكروبة(٤٨) .

ولم ينتج "معسكر" الجواهري، ماأنتجه "معسكر" خصومه ومنهم كان بالأمس الأستاذ حسن العلوي، رغم انه كان من محبي شعره والمعجبين به، إلا أن انتماءه السياسي جعله، ينحاز إلى "معسكر الخصوم" بدلاً من "معسكر" الجواهري نفسه. وهنا الفرق دائماً بين انحيازات السياسة وألاعيبها وبين هموم الثقافة وارهاصاتها.

ومع ذلك فقد تغلب في نهاية المطاف هاجس الثقافة، فانحسر الانتماء السياسي الضيق الذي لا يرى حتى نور الشعر والثقافة لدى الطرف الآخر فحظيت المكتبة العربية خلال العقد والنصف الماضي، بإضافات جديدة وقيّمة للعلوي وبمحاولات تقديم استنتاجات وإجراء مراجعات بعيداً عن الايديولوجيا المسبقة والافكار الجاهزة، التي كانت سمة تطبع المرحلة السابقة للتيارات والاتجاهات الفكرية والسياسية المختلفة خلال الحرب الباردة والصراع الايديولوجي المحتدم.

ورغم أني لا أميل إلى استخدام مصطلح "معسكر" إذ أن حدوده أصبحت غير واضحة من الناحية العلمية، فضلاً عن تماهيه الأدبي والثقافي، إلا أنه لضرورات التمييز أفضل استخدام الانتماء أو الاتجاه السياسي. وبهذه

---

(٤٨) يشير الكاتب حسن العلوي إلى ان الجواهري عاش حياته مهاجماً واضعاً رجليه في سعير العذاب، ماطاً شفتيه إذا رأى عفر الجباه متكالبين على الحياة.
راجع الخاتمة المؤثرة التي كتبها العلوي لكتابه "الجواهري: ديوان العصر" والتي أسماها "خلف الأوراق"، فباستثناء مقدمة علي جواد الطاهر لم يدوّن مهدي المخزومي أو صلاح خالص أو نقّاد آخرون من الاتجاه الأقرب إلى الجواهري، كتباً أو أبحاثاً عن الجواهري. ص٣٦٨.

المناسبة أود أن ألفت نظر القارىء إلى الظاهرة التي رصدها الاستاذ حسن العلوي، والتي تنسحب أيضاً على الشاعر المبدع والمجدد في القصيدة "الشعبية" المكتوبة بالعامية العراقية، مظفر النواب، حيث ان الكتاب الوحيد الذي صدر عنه كان للأستاذ باقر ياسين، و لم يكن ياسين من الاتجاه السياسي الذي يمثله النواب(٤٩) . إضافة إلى دراسة مطبوعة (محدودة الانتشار) ولكنها مهمة للدكتور هاشم العقابي في لندن، وهو الآخر لم يكن في الاتجاه السياسي، الذي كان يمثله النواب. فهل ثمة مصالحة ثقافية بعد احتراب سياسي لم يكن له مبرر، أم ثمة عنصر جذب ديالكتيكي لوحدة وصراع الاضداد، باستعارة مجازية للمفهوم الماركسي، أم ثمة رؤية أوسع لقضية الثقافة، التي لا تُحصر باتجاه سياسي أو فكري، أو نظام حكم أو معارضة، انها مفهوم أشمل يتعلق بالجمال والاحساس والتذوق وبالتالي التعبير عن حاجة حقيقية.

ومع ذلك فإن هذا التقدير ليس وحيد الجانب، فقد سبق للباحث التراثي المبدع الاستاذ هادي العلوي أن اشرف على إصدار مجموعة دراسات عن الجواهري في عام ١٩٦٩، ساهم فيها الروائي جبرا ابراهيم جبرا والكاتب ابراهيم السامرائي والكاتب داود سلوم والكاتب سليم طه التكريتي، والشاعر فوزي كريم، إضافة إلى الباحث هادي العلوي.

كما ان الأستاذ عبد الكريم الدجيلي أصدر كتابه الأول عن الجواهري "الجواهري شاعر العربية" في عام ١٩٧١. وقد اثار الكتاب في حينه دهشة الأوساط الأدبية والثقافية في العراق، بل زوبعة من النقد، لما عُرف عن الدجيلي، كونه صديقاً حميماً للجواهري، وأحد رواته الأساسيين، وإذا به يحاول أن يدوّن "عثرات" الجواهري، بلغة أقرب إلى الانتقام، منها إلى الموضوعية، ناهيك عن عدم التزام معايير البحث العلمي، فضلاً عن انها خلت

(٤٩) انظر باقر ياسين ـ مظفر النواب: حياته وشعره، مطبعة دار الحياة، دمشق، ١٩٨٨.

من "المودة" المعهودة، التي كانت تشكل نسيج علاقته بالشاعر، مما دفع الكاتب حسن العلوي للقول، ان الدجيلي جعل "الجواهري ضحيته، فذبحه من الوريد إلى الوريد". ويضيف في كتابه الثاني (الجواهري ــ رؤية غير سياسية)(٥٠) "انه كان يعبر عن حالة الخوف المشوب بالانانية فظهر في كثير من الفصول، ليس بشخصية الراوي والمؤرخ والأديب، بقدر ماكان يمثل شخصية من يتعقب خطوات صاحبه، ويضع عثرته تحت المجهر". والسبب في ذلك هو رغبة الدجيلي في تفادي ظهوره بمظهر المنحاز لصديقه ممالأةً لأهواء طائفية بغيضة واعتبارات سياسية متخلفة تميزت بها السلطة على نحو خاص.

وكتب الاستاذ هادي العلوي دراسة أخرى، عن الجواهري(٥١) وهو من "معسكر" الجواهري، باستعارة المصطلح.

وأود أن أشير إلى أن "معسكر" العلوي (الاخوين حسن وهادي) أو الدجيلي أو السامرائي أو جبرا أو سليم طه التكريتي أو سلوم أو فوزي كريم أو المخزومي أو علي جواد الطاهر أو غيرهم، هو "معسكر" الشعر، ولنستبدل مرة أخرى، كلمة "معسكر" ذات الوقع العسكري الثقيل، بكلمة: واحة الشعر، أو بستان الأدب، أو حقل الإبداع، فهي الأقرب عندي للتعبير. باختصار محبي الأدب والثقافة والإبداع بتعبير آخر!!

إن كتاب حسن العلوي الثاني، هو استكمال وإضافة إلى كتابه الأول. وكتب العلوي الاهداء "إلى العلامة الاجتماعي الراحل الدكتور علي الوردي، صفحات من الجواهري". ومن القضايا الجديدة، التي تناولها، علاقة الجواهري بالنساء والضفادع

---

(٥٠) انظر: حسن العلوي ـ الجواهري ـ رؤية غير سياسية ـ مصدر سابق ـ ص٥٠.

(٥١) بمناسبة بلوغ الجواهري التسعين: عن ذلك الصاعد في دروب القرن العشرين، مجلة "الهدف" الفلسطينية في عددها الصادر في ١٩٩٠/٣/٢٥. وكتب الاستاذ هادي العلوي دراسة أخرى في مجلة البديل (اواسط الثمانينات) التي كانت تصدرها "رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين" حالياً رابطة المثقفين الديمقراطيين العراقيين.

بعنوان "نساء وضفادع ـ فحل الشعراء أم فحل النساء" وذهب العلوي الى القول: "و لم أعرف امرأة كانت معجبة بشعره على كثرة من سألت من النساء الجميلات خلال أربعين عاماً" وهو ماأخالفه فيه، ذلك أن حياة الجواهري، وحتى الآن كانت تزخر بالنساء، المتحلقات حوله، سواء في بغداد أو المربد في البصرة أو في براغ أو دمشق. كما أضاف العلوي إشارات جديدة عن الأصدقاء والخصوم، والعلاقة بين الجواهري والتويجري، وزياراته إلى السعودية، ونبوءات المستقبل والموت.

ومن الجدير بالذكر، ونحن بصدد الحوارات أن أشير إلى أن الاستاذ حسن العلوي كان قد دوّن في متن كتابه الأول "الجواهري ـ ديوان العصر" وفي العديد من هوامشه (المصادر) ماوفرته التسجيلات من مادة حية، وهي في الواقع جزء من الحوارات التي اقتبس منها بأمانة علمية مشهودة، معززاً مصادره الأخرى ومعرفته ولقاءاته المباشرة والطويلة مع الجواهري. لكن تلك "التسجيلات"مع حوارات وقصاصات سبقتها ولحقتها، لم تر النور لظروف قاهرة، عمدت أن أؤجل نشرها في كتاب خاص، وفيما بعد أن أعيد صياغتها، لعدم الرغبة في التقاطع، خصوصاً وأن بعضها متداخل.. إلى جانب ضيق الوقت وعدم التفرغ ومشاغل الرحيل إلى براغ ومنها إلى لندن. وفي براغ ولندن، ومن ثم في دمشق أيضاً خلال زياراتي أضفت الكثير إليها، ودونت أحاديث وحوارات جديدة، لتؤلف الجزء المستكمل من هذا الكتاب.

كنت أكتشف في كل لقاء مع الجواهري شيئاً جديداً وسراً مغايراً. وفي كل مرة أعيد قراءة شعر الجواهري، اكتشف أشياء كثيرة جديدة، حتى وان كنت قد قرأت القصيدة من قبل مرات عدة . وهكذا كنت أطّلع باستمرار، على معلومة ثرية لديه، أو دلالة جديدة في المعاني والإيماءات البلاغية أضيفها إلى خزيني، الذي بدأ يكبر، ومرة بعد أخرى أشعر أن الوقت قد حان، لكي أضع هذه الحوارات أو جزءاً منها أمام القارىء، بإضافة شيء جدير به، مختلف ومتميز، عما جاء في المقابلات واللقاءات الصحفية، التي سبق للجواهري أن أجراها على امتداد عمره

المديد وحياته الأدبية الحافلة(٥٢) وقد حاولت أن أركز على بعض القضايا التي لم يتناولها الجواهري سابقاً أو لم يتوقف عندها طويلاً.

* كيمياء الشعر!

يستفز الجواهري القارىء ويستحثه على الانغمار والمشاركة معه في عملية خلق وبناء القصيدة وتركيبها، وفي عملية التفاعل مع الأحداث والقضايا لدرجة أن القارىء والمستمع (المتلقي) لا يمكنه الفكاك، بل سرعان مايؤخذ بالتدريج أو على نحو خاطف، ليدخل مختبر الجواهري وينشَدَّ إلى تفاصيله، وليرى كيف يستحضر القصيدة مثل مايستحضر الكيميائي الدواء! أو كيف يستنطق الحرف مثلما يفعل غوّاص ماهر في اصطياد اللآلىء والمحار من أعماق البحر.

وإذا جاز لي القول ان "المختبرية" هي سمة الشاعر الكبير، مهما امتلك من قدرات إبداعية ولغوية وكيفما كانت تقنياته وأدواته الشعرية، سواء كان شعره عمودياً أم من الحداثة الشعرية، فالروح المختبرية، التي أنجبت أنشودة مطر السياب هي التي جمعت بين الأوزان لتوليد موسيقى ذات إيقاعات جديدة. و لم تأتِ تلك الخلطات لدى الشاعر بدر شاكر السياب عفوياً وإنما كان يتأبط كتاب "العروض" من جهة ويحاول التجريب من جهة ثانية. وبفضل هذه الروح المختبرية والتجديدية الحقة ولد نمط إيقاع جديد مايزال جلّ الشعراء منذ الخمسينات وحتى الآن يقتدون نموذجه ونموذج رواد الحداثة الشعرية الأوائل كالسياب والبياتي ونازك الملائكة وبلند الحيدري من الجيل الأول وأحمد عبد المعطي حجازي وأدونيس وسعدي

---

(٥٢) حين نشرت حلقتين من حوارات مع الجواهري في صحيفة "الحياة" (مصدر سابق) هاتفني الصديق الشاعر الراحل بلند الحيدري، مبدياً إعجابه وتشجيعه. وهنا انتهزت الفرصة فطلبت منه أن يقرأ المخطوطة بعد اكتمالها ويقوم هو بتقديمها إلى القراء العرب، فرحّب بذلك بأدبه الجم وكياسته المعهودة وتواضعه المشهود قائلاً: "هذا يشرفني" واتفقنا على التفاصيل، لكن المرض قد داهمه بعد أيامٍ فدخل المستشفى لاجراء عملية قسطرة قلبية، صاحبتها مضاعفات سريعة، لم تمهله طويلاً، فرحل ركن هام من أركان التجديد الشعري في العراق والوطن العربي وخسرت الثقافة رائداً من روّادها.

يوسف ومحمود درويش ومحمد بنيس وصلاح عبد الصبور وشوقي بغـدادي وعلي الجندي وممدوح عدوان وغيرهم من الذين تبعوهم.

الشعر عند الجواهري كالمدينة والقصائد كالبيوت، ورغم التواصـل الحضـاري في المدن والبيـوت، فإن لكـل مدينـة خصوصيتهـا وشخصيتها وتفردهـا ونمـط حياتهـا ومزاجها. ولكل بيت حرمتـه وخبايـاه وفسيفسـاءه والوانـه ورائحتـه ونسـاءه وبخـوره وعطره. والشعر عند الجواهـري، كـالنهر والقصيـدة مثـل النسـاء بجدائـل أو بدونهـا، تستحم في نهر الجواهري، متشابهة أو مختلفة، مثل الشواطىء والجزر ومياه السـواحل، لكل قصيدة مذاقها وجمالها وطعمها مثلما لكل بحر سفنه ومراسيه ونكهته!

وقصيدة الجواهري، رغم كلاسيكيتها، إلا انها ليست من ذلك النوع المفخّـم، المتصعِّر، التخديري، الذي يصل إلى نوع من الادمان، على تعاطي نوع من العقاقـير أو المخدرات. انها شامخة دون تعالٍ وأبيّة دون تعجرف، سلسة ومطواعة ومتدفقـة، لكنها جديرة بالتأمل لا تمنح نفسها بسهولة أو قـد يصـح القـول انهـا مـن "السـهل الممتنع" فحين تقرأ القصيدة تشعر ان حرارتها بدأت تنتقل إليـك أو انـك في أتونهـا بل انها لا تستدير لتتركك وحدك، بعد أن أوقعتـك في شباكها. انهـا تظـل عالقـة بذهنك وتسمع موسيقاها شـجية مـلء أذنيـك. ومـع ذلـك فانهـا تحتـاج إلى جهـد ومعرفة وقدرة على الاحاطة بجوانبها ورغم انها تمتد إلى أعماق التاريخ، فهـي تطـل بطلعة بهية تتناسب وظروف الحاضر، بل تنعجن معه بشكل يؤهلها للعيش في كنفه ولا تبدو غريبة وان كانت تتصل بالماضي السحيق.

والجواهري كما يقول صـلاح عبـد الصبـور يمثـل المرحلـة الذهبيـة الأخـيرة في الشعر العمودي الكلاسيكي. وقد سبق لسعدي يوسف أن قال انه الحلقة الذهبية في سلسلة الشعر العمودي وهو الرأي الذي قال به عبد الوهاب البياتي أيضاً(٥٣).

(٥٣) يقول الشاعر عبد الوهاب البياتي "بالنسبة لي أعتبر الجواهري فاتحة الشعراء العموديـين... أقرأه بشغفٍ منذ بداياته إلى نهاياته...". انظر: عبد الوهاب البياتي ـ ماذا يبقى بعد الطوفان ـ اعداد عدنان الصائغ ومحمد تركي النصار، نادي الكتاب العربي، لندن، ١٩٩٦، ص٢٤٦.

* **فضاءات وبحور:**

إن شعور الجواهري بأن بيئته البطيئة، المسترخية، بحاجة إلى نقلة نوعية، تغيير جذري، عملية "تثوير" كي تُستنهض وتقاوم، جعله لا يذعن للقارىء، بل كان على الدوام يريد أن يصدمه كي يفيق ويرى معه مايرغب أن يشاهد: عوالم وبحور وفضاءات أخرى، أي عملية تبصير وتنوير وأحياناً أقرب إلى الاستفزاز، لهذا فهو يتخطى الحدود ويتجاوز الممنوعات ويتمرد على الواقع ويدعو الجمهور كي يحذو حذوه في عملية إبداع وخلق تغدو كلّية، لتصبح مثل الضرورة، الحرية، الحاجة. فمن يصدق أن الجواهري في العشرينات، وهو في البلاط الملكي يقول:

أنا ضد الجمهور في العيش والتفكير، طرّاً وضده في الدين(٥٤)

وإذا كان الجواهري ظاهرة أدبية متميزة، ذات أبعاد فكرية تنويرية فهي تحمل في طياتها الكثير من التناقض، المقترن بالاصالة والتفرد.

وفي كل تحولاته، صعوده ونزوله يتركنا الجواهري، مع أشياء وافرة للاسترجاع الفلسفي والنفسي.

ويقودنا للبحث في أدق التفاصيل، فيغوص في أعماق الذاكرة والوجدان في محاولة لتبديد النسيان، وهو الأمر المحبب لمن يرغب التوغل في عمق المشكلة الانسانية وسبر أغوارها.

---

(٥٤) أعتقد أن الجواهري يقصد أنه ضد بعض التفسيرات للدين، التي حاولت أن تستغله لتعطيل طاقات المجتمع ومنع إنطلاقته ولحاقه بركب المجتمعات المتقدمة. وكان الكثير من قصائده يفيض بالايحاءات والمثل الانسانية التي تشكل جوهر الدين، كما هي قصيدته عن "الحسين" (ع) وغيرها. وقد فسّر الجواهري في وقت لاحق موقفه للمؤلف مثلما دار في حوار بينه وبين الملك فيصل الأول بالقول: نمط الحياة عندي كما أتصور وأتخيل غير ماعندهم من أنماط وبنفس المستوى "بصدد التفكير" بل "وبواو العطف" أيضاً، فلست أنا ممن لا يملكون فكرة أو تفكراً ولكنني خلافهم في نمط التفكير والتفكّر و(الدين) مقرون بواو العطف أيضاً، فحاشاي أن أمسّ جوهر الدين، ولكن الدين المتلاعب به والمزوّر عليه والمحرف عنه.
قارن أيضاً: الجواهري "ذكرياتي"، ج١، مصدر سابق، ص٢١٦.

* جواهريات العربية!

لقد بات البحث في شعر الجواهري وأدبه، من الأمور المعقدة نظراً لغنى التجربة وتنوعها وتعدد صورها الفنية. فهو يمسك بالريشة، ليرسم باللغة، أجمل الألحان، وتكاد موسيقاه تعزف بانفعالات القصيدة وانتقالاتها وذبذباتها الداخلية، وتتوزع في دروب الفن، خصوصاً وانه يتقن حرفة الشاعر ويتطلع نحو الشفق، مبحراً ضد التيار ومعه أحياناً، متمكناً من أدواته، مطوّعاً اللغة لتستجيب لجمالية القصيدة، حتى بلغت اللغة على يده مستوىً وبعداً راقيين، مرهفة، مشذّبة، مصقولة وبالغة الدلالات والتحديد، وذات إيقاع درامي جديد وخاص، وانعكاس ميثولوجي في أحيان غير قليلة، حتى كأنك تعيد اكتشافها على نحو لم يكن مألوفاً عند الكثيرين، بمن فيهم أولئك الذين يملكون ثروة لغوية كبيرة.

ويعود مثل هذا الأسلوب الشعري، الجمالي الأخاذ إلى قدرة الجواهري على استنطاق مكنونات اللغة العربية وتفجير ينابيعها بناءً وتركيباً، على نحو يمكن القول معه إنها من "جواهريات العربية" القابلة للرفد والتجديد وكذلك بطبيعة الموضوعات التي عالجها الجواهري بجميع المستويات الوطنية الداخلية والقومية العربية والإنسانية الكونية. وشاعرنا الجواهري بحكم كونه "حالة شعر" فناً ومزاجاً، لا يكتفي بالذاكرة فحسب، بل تشكل التجربة أحد أركان انتاجه الإبداعي. والمبدع الكبير بشكل عام هو أقرب إلى دودة قز تنسج أنواع الحرير الفاخر، بخلق وإبداع باهرين، في حين يتحول بعض الشعراء إلى بائعي سجاد مهما بلغت درجة نفاسته لا يصل إلى منزلة الخلق وصيرورة البناء وتصبح عندهم الذاكرة أهم من التجربة والعادة أهم من المعايشة، وهما ألد أعداء الموهبة وأخطرها على الشاعر.

* جدليات الضد:

تظهر الأبعاد الرمزية في شعر الجواهري على نحو شديد في جدليات الضد وديالكتيك التناقض في المكان والزمان، في التنويع والتوحيد بشكل ديناميكي حي، وليس من قبيل المتناقضات المتجاورة فحسب، بقدر ماهو تعبير عن هواجس الجواهري وقلقه ورؤيته الشاملة للأشياء والظواهر في إطار نظام فلسفي كامل وتصوير للضعف الانساني الممزوج بظاهرة القوة، للجمال والقبح، للخير والشر، للحزن والفرح. وهنا يمكن الاشارة إلى "كلكامش" البطل الاسطوري بقوة العضلات وضعفه الانساني وإلى بطل شكسبير في الملك (لير) وإلى الأبله في رواية دستويفسكي وإلى "حب الحياة بحب الموت يغريني" للجواهري التي تصور التناقض والضعف الانساني في آن واحد، أما عن الأبعاد الرمزية للشاعر فالرمز يوسع المفاهيم بما يضفي عليها من ألوان وأشكال، فالشجرة أو الحمامة قد تصبح عشرين شجرة أو عشرين حمامة بما يستطيع الرسام أو الشاعر أن يضفي عليها من ألوان (أوراق الشجرة وثمارها مثلما هي ريش الحمامة وألوانها) فالبحر لن يصبح بحراً حتى لو كررت كلمة ماء بعدد أمواجه، لكن الشاعر بهواجسه عن العطش والملح، عن البوصلة والنجوم، عن اللآلىء والمحار والكواسج وسمك القرش يستطيع أن يصوّر لك بحراً أوسع من أية خريطة، يقربك أو يبعدك عنه وقد لا ينطبق هذا على الجواهري إلا ان بعض أبياته قد نحت منحىً ذا بعد رمزي أحياناً، أما جمع المتناقضات فهي السمة المميزة لشعره.

يـــامديمي: وصـــبّ لي قدحـــاً   أَلِـــسُ الحـــزن فيـــه والفرحـــا

وهكذا جمع الحزن والفرح في كأس واحدة، تلك التي يريدها من النديم، وهو جدل الحياة المقترن بجدل الموت:

واركـــبُ الهـــول في ريعـــان مأمنـــةٍ   حب الحياة بحـب المـوت يغريـني

وفي ذلك إبراز لعنصر الإرادة الانسانية الهادفة والطامحة إلى حب الحياة مع مايخالجها من تحديات للموت واستعداد للاقتحام. وبقدر عشق الجواهري للحياة وتعلقه بها وبكل جنونها، يبدي الاستعداد لاغراء التحدي، للموت في سبيل الحياة. ولنقتبس مرة أخرى هذه المقطوعة الشديدة البلاغة والتأثير والبعد الفلسفي لتأكيد الفكرة التي ذهبنا إليها، وذلك حين يقول:

أزح عن صدرك الزبدا - ودعه يبث ماوجدا
أأنت تخافُ من أحدٍ أأنتَ مصانعٌ أحدا
أتخشى الناسُ أشجعهم يخافك مغضباً حردا
ولا يعلوك خيرهمُ ولست بخيرهم أبدا

ورغم الحزن الكلاسيكي، "الحسيني" ببعده الملحمي إذا جاز التعبير، فالجواهري يمتلك قدرة عجيبة على تذوق مباهج الحياة في جميع مساحاتها التخيلية منها والواقعية.

* شيطان الشعر!

كان هناك من يريد أن يبقي الجواهري حبيس العشيرة، يعتمر العمامة ويقرأ الفقه وينتظم في حلقات الدرس "التقليدية" مع الجماعة، وبهذا المعنى يظل أسيراً للتقاليد وقوتها التي تفرض نفسها في مدينة كانت تحفل بالكثير من العصبيات والقبليات والحروب والمعارك الأهلية والمحلية التي تنخرها. فإضافة إلى المعارك بين محلاتها الأربع: العمارة والحويش والبراق والمشراق، كانت ثمة معارك طاحنة شهدتها المدينة بين "الشمرت" و"الزقرت"، إضافة إلى تحالفات واصطفافات تتوزع عليها أجنحة المدينة منذ عهد العثمانيين وفي اعوام الاحتلال والانتداب البريطاني، خصوصاً المواقع المهمة لرجال الدين والتجار ووجوه وأعيان المدينة.

لكن الجواهري رفض العيش في "السبات" أو على "المؤجل" كما يقال. وأراد أن يعيش الحاضر الماثل، وفي كل لحظة لم يقبل العيش على ضفة

الصحراء، بروحه النضرة الخضراء وألوان مشاعره الجياشة وقدرته العالية على الاندهاش بالجديد والادهاش في الحين ذاته. انه مسحور بفوضى خاصة، لم يألفها أبناء جيله، وله في الوقت نفسه سحر دائم، فبقدر رفضه البيئة المغلقة والتقاليد القديمة، فإنه ينتمي إلى المدينة بكل ماتعني الكلمة من معنى،... إلى تراثها الثقافي والأدبي وتاريخها العريق ومدارسها ودواوينها وإلى كل مايشدّ الانسان من قيم متوارثة ومثل عليا. ويحق للمدينة (النجف) أن تفتخر به كواحد من أبرز رجالها العظام.

لقد رفض الجواهري القيم الملتبسة، الزائفة، الباعثة على الاستكانة، في مجتمع تتجاور فيه، بل وتتداخل حد التشابك البداوة من جهة وتتجاذبه الحضارة من الجهة الثانية على حد تعبير المبدع الكبير الراحل علي الوردي في تحليله الاجتماعي للمجتمع العراقي والشخصية العراقية، اقتفاءً لأثر ابن خلدون ونظريته الاجتماعية حول "الصراع بين البداوة والحضارة": التي قام الوردي بتجديدها وتطويرها وتقديمها بما يتناسب مع مفاهيم النصف الثاني من القرن العشرين. وحيث الاختلاط بالزوار والقادمين والتأثر والتفاعل معهم، فقد كان الجواهري من القلائل الذين يتابعون مايكتب في الشرق العربي، بما فيها حركة التجديد في الفكر خصوصاً وانها تخطو خطواتها الاولى في العالم العربي عبر كتابات جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وشبلي شميل وسلامة موسى وآخرين.

*** الحبوبي:**

شهد العراق حركة أدبية مبكرة، ساهم فيها محمد سعيد الحبوبي، الشاعر ورجل الدين، الذي تأثر بحركة جمال الدين الافغاني وقاد الثورة ضد الاحتلال البريطاني. وكان من أبرز شعراء تلك الفترة والفترة التي تليها محمد مهدي البصير (الذي كان يلقب بشاعر ثورة العشرين) وعبد المحسن الكاظمي وأحمد الصافي

النجفي وجميل صدقي الزهاوي ومعروف الرصافي وعلي الشرقي ومحمد رضا الشبيبي وغيرهم ولكن الجواهري الذي قد يكون أصغرهم سناً، كان أبرزهم شعراً، فقد بزّ جميع اقرانه ومعاصريه وتقدم عليهم.

كان الجواهري معجباً كثيراً بالحبوبي، ويذكر انه يوم التقاه لأول مرة وهو يزور والده في البيت، سقطت أقداح الشاي من يديه رهبة وخشوعاً للشاعر ومنزلته. ويعتبر الحبوبي والملا كاظم الخراساني علمان من أعلام النهضة الأدبية وهو ما يؤكده الجواهري في مذكراته(٥٥) .

وبالمناسبة، فللحبوبي غزليات رقيقة وموشحات شهيرة منها قوله في مصطفى كبّه (عميد أسرة آل كبه):

هزّت الزوراء أعطاف الصبا ... وصفت لي رغدة العيش الهني
فاْرْعَ من عهدك ماقد سلفا ... وأعد يافتنة المفتتن

ويقول الحبوبي في قصيدة ياغزال الكرخ الشهيرة:

ياغزال (الكرخ) وا وجدي عليك ... كاد سري فيك أن يُنتهكا
هذه الصهباءُ والكاس لديك ... وغرامي في هواك احتنكا
فاسقني كأساً وخذ كأساً إليك ... فلذيذ العيش أن نشتركا
وإذا جدْتَ بها من شفتيك ... فاسقنيها وخذ الاولى لكا

ان الجواهري منذ بدايات تفتحه إنساناً حالماً، وظل حالماً، وهو يعتقد منذ وقت مبكر، ولربما منذ شبابه، انه ولد لدور آخر، فلديه إحساس بأن من يخالطهم كانوا في عالم آخر، في حين كان هو يلتهم الكتب ويحلم ويتأمل، ثم بدأت موهبته الشعرية بالظهور. وكان يعتقد حتى قبل أن يجرؤ على النشر، ان الشعر السائد ليس هو الشعر الحقيقي والمقام العالي والحرف العميق. وكان

(٥٥) انظر: الجواهري "ذكرياتي"، مصدر سابق، ص ٧٣ ــ ٧٧ وكذلك حديث خاص مع المؤلف على شريط تسجيل.

شعوره انه ذاهب إلى الضفة الأخرى بمقاييس خاصة مبتكرة للشعر الحقيقي. فالحرف عنده فكرة وبدأت هذه الفكرة تنضج وتتشكل معها الحروف، حتى بدأت مدينته "النجف الأشرف" تضيق به، بأسواقها الصغيرة وحاراتها المتراصة والسور الذي يطوّقها، بما يسبب كل ذلك من حصار للنفس وضيق للمزاج. ويقول في احدى المرات كيف يتسنى لي أن أكتب وأنا بعمامتي الصغيرة وعباءتي الخفيفة، لا أستطيع أن أجلس في مقهى لأتناول قدحاً من الشاي، إذ لم يكن ذلك مألوفاً، فما بالك وأنا في بدايات العمر!؟(٥٦)

ان الشاعر يضيق ذرعاً بالمكان وبالزمان وأحوالهما باستمرار، فتراه يتحالف مع الغائب "المنتظر" ويصبو إلى المحال أحياناً، وإذ يؤول الشاعر ويعيد تركيب مفرداتها على غير سنّة أهلها والقائمين عليها فإنه يلقي بكلماته إلى الأرض، تاركاً للغير تأويلها ثانية، بينما يمضي هو غير معني كثيراً بشرّاح المقاصد ومفسري المعاني، حيث أن التحقق الوحيد له هو قصيدته، كما ذهب المتنبي بالقول:

أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويُختصمُ

أما الجواهري فيقول وهو في بدايات شبابه:

هو الدهر قارعه يصاحبك صفوه ... فما صاحب الأيام إلا المقارع

بمثل هذا النمط من التفكير بدأ الجواهري خطوته الاولى في عالم التحدي المثير، وظل حتى يومنا هذا وهو يدلف نحو عامه المائة.

* بغداد ومفاتيح الشعر:

في بغداد وصلت شهرة الجواهري قبله "فنابغة النجف" كرست له صحافة بغداد الكثير، وقرأ قصائده أدباء ومثقفون ربطتهم به علاقات عميقة، وتدريجياً

---

(٥٦) حديث خاص مع المؤلف، مصدر سابق.

بدأت مفاتيح الشعر العربي الكلاسيكي تنتقل إلى يديه باعتراف الشاعر معروف الرصافي، الذي أسماه "رب الشعر" في قصيدة حيّاه فيها ومطلعها:

أقول لرب الشعر مهدي الجواهري　　إلى كم تناغي بالقوافي السواحر(٥٧)

وذلك رداً على قصيدة الجواهري:

أجب أيها القلب الذي لست ناطقاً　　إذا لم أشاوره ولست بسامع(٥٨)

وكان الجواهري قد كتب قصيدة أخرى مهداة إلى الرصافي أيضاً في ١٥ أيار (مايو) ١٩٤٤ نشرت في صحيفة "الرأي العام" وقدّم لها الجواهري بالمقدمة التالية: في عزلة موحشة وهو يدلف إلى الثمانين موقرة بأثقال الاحساسات المرهفة يقضي أيامه الأخيرة في غمرة النسيان في عزلته والأهل والشوق في البلد الذي ناغاه وناجاه وأثار في جنباته شعاباً مظلمة يقول في مطلعها:

تمرست "بالاولى" فكنتَ المغامِرا　　وفكرتَ "بالاخرى" فكنت المهاجرا

وقد أجاب الرصافي عنها بقصيدة مطلعها:

بك اليوم لابي أصبح الشعر زاهياً　　وقد كنت قبل اليوم مثلك شاعرا

وكان الجواهري قد رثى الرصافي بقصيدة عنوانها "معروف الرصافي" تلاها من دار الاذاعة العراقية ونشرت في صحيفة "الأوقات" البغدادية في ٢٠

---

(٥٧) تصدّى الصحفي نوري ثابت صاحب صحيفة "حبزبوز" الساخرة للجواهري لأنه كما يدعي رشح نفسه لامارة الشعر، في حين كان ثابت يميل إلى الرصافي، لكن الرصافي هو الذي رشح الجواهري لامارة الشعر، بل جعله رباً له (أي للشعر).
انظر: عزيز الحاج ـ أبو هريرة الموصلي: ذو النون أيوب ومسيرته، دار رياض الريس، ط١، تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠، ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٥٨) نشرت قصيدة الرصافي في شباط (فبراير) ١٩٤١ وذلك بعد أن حركته قصيدة الجواهري "سواكن السجون" والتي نشرت في صحيفة "الرأي العام" في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٤١.

آذار (مارس) ١٩٥١ بمناسبة الذكرى الخامسة لوفاة الرصافي، ويقول في مطلعها:

لاقيت ربَّك بالضمير وأنرتَ داجية القبورِ

وإذا كان الجواهري يميل إلى الرصافي لكنه لم يكن ميّالاً للزهاوي. ومثلما كان يقدّر شوقي، لكنه يفضل عليه حافظ ابراهيم، فبعض هذه الاعتبارات لا علاقة لها بالشعر وإنما لتقديرات شخصية.

ينقل الأستاذ هادي العلوي رأياً عن الشاعر المجدد الكبير بدر شاكر السياب حين يقول: "... ان أحمد شوقي يقف كالقزم إزاء الجواهري العملاق!" ويضيف العلوي متسائلاً: هل هو تقييم إقليمي؟ ثم يجيب: السياب شاعر كبير فهو أعرف من غيره بالشعراء. ويواصل العلوي: ولو ان تقزيم شوقي لا يأتلف مع الانصاف، لكن الجواهري عملاق فعلاً وينتمي إلى مدرسة شوقي كرائد للشعر العمودي الحديث. والكلام مايزال لهادي العلوي "... والجواهري يعرف لشوقي مكانته وان كان لا يحبه"(٥٩).

أما الأستاذ حسن العلوي فيذكر ان الجواهري "يحب في الزهاوي شكوكه ونزعته التحررية ويداعبه في غزلياته أو في مسامراته، وكان من مريديه في مجلسه بإحدى مقاهي بغداد"(٦٠).

والمقصود هنا ماورد في قصيدة "جربيني" بخصوص الزهاوي (١٩٢٩) حيث يقول الجواهري مشيراً إلى الزهاوي:

عن يساري أعمى المعرّة و"الشيخ" الزهاوي مقعد عن يميني

ويعلّق الزهاوي بنكتة معروفة حول هذا البيت بقوله: شدّ مايعجبني فيه ان الجواهري لم يكتف بانزالي في جهنم وإنما جعلني مقعداً فيها أيضاً، فقد كان الزهاوي مصاباً بشلل خفيف في رجليه(٦١).

(٥٩) انظر: هادي العلوي، مجلة الهدف، مصدر سابق.

(٦٠) انظر: حسن العلوي ـ الجواهري ديوان العصر، مصدر سابق، ص٢٥٦.

(٦١) الجواهري في العيون من أشعاره، مصدر سابق، ص/٩٠/.

ومن الجدير ذكره ان الزهاوي حمل بعض المتناقضات الصارخة، فهو من المتحمسين للسلطان عبد الحميد وبخاصة ابّان حرب الدولة العثمانية مع اليونان ١٨٩٧ والقائل:

لك طأطأت دول الضلال رقابها ... قدها فسيفك قد أذل صعابها

فاليوم صارَ الدينَ فيك مؤيدا ... ولدولة الاسلام كلَ هابها(٦٢)

بل الأكثر من ذلك انه أصدر كتاباً عام ١٩٠٤ للدفاع عن السلطان عبد الحميد بعنوان "الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق" ولكنه في الوقت نفسه أحد أبرز المؤمنين بالحضارة الحديثة وبنظرية داروين، حتى ان بعض المعممين أخذوا يدعونه "زنديقاً" بينما أصبح في نظر "الأفندية" فيلسوفاً(٦٣).

وكانت مجلة "المقتطف" قد نشرت مقالات متسلسلة لشبلي شميل في شرح نظرية داروين "أصل الانواع" التي يرجع فيها أصل الإنسان إلى القرد وتحوّله إلى إنسان بسبب العمل والذي يستند إليه انجلز في كتابه "أصل العائلة".

يقول علي الوردي: اثنان من الذين تولعا بالمطبوعات المصرية الأول في بغداد (جميل صدقي الزهاوي) والثاني في النجف (هبة الدين الشهرستاني). وحين وصلت المجلة إلى النجف، انبرى بعض علماء الدين بالرد والتفنيد لنظرية داروين خصوصاً آغا رضا الاصفهاني والشيخ جواد البلاغي، وألفا كما يذكر الوردي "كتباً ضخمة بأسلوبهم الجدلي" وأرسل أحدهم كتابه في

---

(٦٢) انظر: جعفر الحلي - سحر بابل وسجع البلابل، صيدا، ١٣٣١هـ، ص ٥٢ ـ ٥٣ نقلاً عن كتاب الدكتور علي الوردي "لمحات من تاريخ العراق الحديث" ج٣، بغداد، ص٣١.

(٦٣) ظهرت في العراق شريحة اجتماعية جديدة أطلق عليها "الأفندية" ويصفهم المؤرخ لونكريك بأنهم من الذين يعرفون القراءة والكتابة، ويحاولون تقليد الأوربيين والتكلم بالتركية واحتقار العشائر والفلاحين والاكثار من ذكر المصطلحات "الحديثة" وينسب إليهم إضافة إلى التعجرف الرشوة وغيرها.

انظر: S.H. Longrigg - Four Centuries of Modern Iraq; Oxford; 1925; P.26 - 28.

نقد نظرية داروين إلى شبلي شميل في محاولة لاقناعه بسقم هذه النظرية واعلانه تركها، لكن شميل أرسل جواباً مقتضباً هذا نصه: "عذرك جهلك والسلام"(٦٤) .

وإذ ذكرت ذلك استطراداً فلأن الجواهري في وقت لاحق كان قد قرأ لشبلي شميل ولفت انتباهه اتجاهه الاشتراكي ورغبته في تحقيق العدالة الاجتماعية، كما سيرد ذكره في الحوارات مع المؤلف في القسم المخصص لذلك من الكتاب.

وبالمناسبة فقد نشأ الزهاوي والجواهري نشأة دينية، وكلاهما كان يعتمر العمامة وقاما بخلعها بعد ذلك (الزهاوي في كهولته والجواهري في بداية شبابه). وكانا يميلان للتجديد الاجتماعي وشديدي الاعجاب بالعلوم الحديثة ويريدان من الدين أن لا يتقاطع معها بل يتكيف معها ويتوافق مع خط التطور. وكلاهما نادى بتحرير المرأة ورفع الحجاب عنها. وكان الزهاوي قد دعا لتحرير المرأة في عام ١٩١٠ وذلك قبل حركة حسين الرحال التجديدية، والذي يعتبر من الرواد الأوائل للفكر الاشتراكي في العراق، بل أبرزهم، وقبل جدالات السفور والحجاب في صحيفة "الصحيفة" وقد حدثت حول الزهاوي ضجة كبرى حين نشر مقالة في صحيفة "المؤيد" المصرية ندد فيها بالحجاب وذكر بعض المظالم التي تتعرض لها المرأة وأعادت نشرها مجلة "تنوير الأفكار" البغدادية، كان قد أججها رجال الدين وعلى رأسهم السيد مصطفى الواعظ، الذي تدخل لدى الوالي ناظم باشا فعزل الزهاوي من وظيفته في كلية الحقوق، التي كانت تسمى "مدرسة الحقوق" عند تأسيسها عام ١٩٠٨ كأول كلية في العراق، تبعتها كلية الطب عام ١٩٢٧، وكان الزهاوي يومها يعمل مدرساً لتدريس مادة "الأحكام العدلية". كما رد عليه الشيخ محمد

(٦٤) انظر: علي الوردي ـ لمحات من تاريخ العراق الحديث، ج٣، مصدر سابق، ص٩.

سعيد النقشبندي بكتاب عنوانه "السيف البارق في عنق المارق" وهو بمثابة تحريض على استباحة دم الزهاوي(٦٥) .

وإذا كانت ثمة أوجه تشابه كبيرة بين نظرة الزهاوي الفلسفية ونظرة الجواهري، إلا أن الفارق كبير بينهما، إذ أن الجواهري كان شديد الاعتزاز بموقفه الوطني، حساساً من علاقته مع الأجنبي، بعيداً عن الحكام حتى وان كان موظفاً لدى الملك فيصل الأول أو نائباً في البرلمان، في حين ذهب الزهاوي لامتداح البريطانيين بعد الأتراك(٦٦) .

ويمكن القول ان الزهاوي كان متحرراً، متنوراً فكرياً واجتماعياً إلا انه محافظ ورجعي في مواقفه السياسية، وهذه هي إحدى مفارقاته وتناقضاته، بينما ظل الجواهري منسجماً في تحرره الاجتماعي والسياسي والفكري وان كانت تناقضاته نابعة من هواجسه وقلقه وإرهاصات روحه.

*** ثلاث سلطات:**

تركت البيئة النجفية الحادة تأثيرها على الجواهري، فكان عنيفاً حد السيف أحياناً، وفي الوقت نفسه أكسبه الشعر وحب الجمال، الرقة حد الوداعة. كان صلباً شديداً من جهة، وليّناً مجاملاً من جهة أخرى، بما يقترب من التناقض بين الخشونة والرقة.

إن مجتمعاً مزدوجاً له مسرح علني وآخر سري، تحكمه قوانين الحجاب ومنع الاختلاط، لابد وانه يحمل هوية مزدوجة ومتناقضة. وكان البعض فيه يسترخي ويستسلم للرقص على إيقاع مفكّك الالحان، أما البعض الآخر

---

(٦٥) انظر: علي الوردي ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج٣ مصدر سابق، ص ١٧٩ ـ ١٨١.

(٦٦) حاول الزهاوي تبرير موقفه في مدح السلطان عبد الحميد الشديد الاستبداد، وذلك في عام ١٩١٦ في رسالة إلى صديقه هبة الدين الشهرستاني، بالخوف من استبداده وبطشه. انظر: يوسف عز الدين ـ في الأدب العربي الحديث، بغداد، ١٩٦٧، ص٦٢.

فكان يستشرف أفق التغيير ويتطلع إلى عوالم أخرى بعيدة حالمة فيتمرد ويعاني ويشقى، لكنه يحمل بذرة التجديد والأمل، قصيدة للتحدي وأخرى للحب كالجواهري. إذ ان الرقص المجنون في مسرحين متعارضين لا يمكن التوفيق بينهما كان يعني الانفصام، فالمسرح الأول فيه من التقاليد البالية والثقيلة الشيء الكثير، الذي يكاد يكبّل الشاعر ويحجر على أحلامه وعالم آخر يطمح إليه الشاعر، لا يريد له حدوداً، بل يدفع الأفق لينكشف عن سر هذا الكون وتتفجر مكنونات صدره، غضباً وحباً وازدهاراً... انه عالم القصيدة، الحرية، شوق الاحساس الانساني بالوجود، بدون أقنعة وبلا وجوه تنكّرية، فيه طموح لحرية التعبير والمساواة، وحق اختيار الحكام، لا كجرم محقر وإنما بمعرفة واجبة ومبررة.

كان الجواهري يتطلع إلى عالم جديد يشبع فيه الانسان ويستطيع فيه، أن يقول رأيه حقاً وفعلاً، لا كما يريده الحكام، بل كما يستطيع هو فيه أن يروي ظمأه إلى المعرفة والثقافة، كحاجة روحية للحرية الموازية لرغيف الخبز.

كان يلاحظ ويرى الكوميديا، حيث يلبس الكبار الأقنعة ويتزينون بما يريده السيد والحاكم، يدورون في الفراغ دون محرك أحياناً.

لقد كان الجواهري يعيش في ظل ثلاث سلطات، سلطة الحكومة وسلطة الثيوقراطية الدينية وسلطة ثالثة هي سلطة التقاليد والقيم الموروثة، وكان عليه الخروج على كل هذه الدوائر الثلاث. التي تظل تلاحقه كظله كما يروي.

فسلطة الدولة أكسبته التحدي وسلطة الثيوقراطية الدينية دفعته للتحرر وسلطة التقاليد وجهته لفكرة الحداثة. ولم يكن مايذهب إليه انزلاقات لسان، وحتى انزلاقات اللسان في عالمنا العربي لا تحمي المرء من قدره، الذي يحدده الحاكم، فما بالك وهي قصف ثقيل، وأعاصير لا تهدأ وبراكين غاضبة لا تعرف لها قراراً، وسيول جارفة تنحدر من جبل شامخ.. طبيعية كانت أم

صناعية، فقوة الكلمات تبقى هي الأمضى ولا مضاء للثانية من دون الاولى وقديماً قال المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

إن المواطن في بلداننا العربية والعراق على وجه التحديد صار يشعر أن من ضرورات مواصلة حياته المحافظة على لسانه من الانزلاق، والويل له إذا تعرض إلى زلة لسان، فترويض اللسان أمر في غاية الأهمية، قبل التفكير وعمل الدماغ، فما بالك بالشاعر، والمفكر، الذرب اللسان، المتمرس في التحدي والمجبول عليه. ان السماء تحكم بقوانين مختلفة غير الموجودة في الأرض، والأخيرة مليئة بالصراعات والنعرات والأحقاد والحسد والتآمر وهي مثال المجتمع العراقي والنجفي ومن ثم البغدادي. ورغم معرفة الجواهري بنواقص مجتمعه العراقي والعربي، التي لم يكن ليفلت منها، لكنه حاول توظيف إبداعه على نحو مناقض، وبالقدر الذي كانت نقاط الضعف والوهن في المجتمع واضحة وجلية، كان الجواهري يحولها إلى عناصر قوة والهام وتحدٍّ، بل المزيد من الرفض وذلك كان جدل حياة وشعر الجواهري. يقول الجواهري:

ولم أرَ في الضدائدِ من نقيضٍ إلى ضد نقيضٍ من ضريبِ

لم يستطع الزمن رغم عاداته، أن يروضه أو يطوعه أو يحتويه، فقد تمكن سلطان الشعر منه، وامتلكه بكل معني الكلمة، هكذا كان صعباً وظل غير قابل للتدجين، رافضاً، بل تراه أحياناً، يتصدر الصفوف. سلاحه الشعر في الهجوم وحين يتراجع، هو درع وقايته من تقلبات الزمن وغدر الأيام وهجومات الأعادي وكبوات وعثرات الذات.

برحلته الشعرية المديدة، اختزن الجواهري، سيرة رجال ومبدعين وتاريخ كفاح "صاعداً ونازلاً" على حد تعبيره. كان شاهداً وحاضراً في ذاكرة أجيال وفي تفاصيل أحداث وقضايا.

ومن البيئة النجفية، بيئة الدواوين التلقينية، ذات الموروث والتقاليد العريقة والقاسية، حلق الجواهري في الأفق الشاسع، مثل نسر رفرف بجناحيه فوق بغداد، بعد أن عايش فقهاء النجف وزامل وتتلمذ على أيدي نخبة منهم وربطته علاقات صداقة معهم، وكان يتطلع نحو دمشق وبيروت والقاهرة، حيث حركة التنوير التي قادها جمال الدين الافغاني(٦٧) وعبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبده، ثم ليستريح في باريس قليلاً، وليبدأ رحلة طويلة قاربت ثلاثة عقود ونصف كانت محطتها الرئيسية براغ الذهبية وبعدها دمشق الأليفة.

رحيل متقطع لكنه متواصل، ظل مصحوباً بحنينه إلى الوطن، بل حمل حنين الوطن في قلبه حتى صارا متلازمين لبعضهما. فقد كان يجر في ثنايا الأحداث ولا يعرف المرسى إلا على شاطىء الشعر. مسافراً تفيض منه الألوان، كقوس قزح، في سماء من الشرق تتراقص كواكبها في عذوبة ورقة متميزة، وتدور كخبز "تنور" عراقي طازج، لتتدفق مثل دجلة والفرات.

ورغم اغتراب الجواهري، هذه السنوات الطويلة، لكنه لم يكن شاعراً مغترباً، مثل شعراء المهجر مثلاً، الذين أنتجوا أدباً خاصاً، متميزاً، عُرف باسم "أدب المهجر"، بل ظل الجواهري، يعيش، بل يسمع، نبض بيئته، مجتمعه، بلغته وبنائه الفني وتركيبة قصيدته.

ورغم بعض الجوانب السلبية، التي كانت عنصراً ضاغطاً على الجواهري، سواء في نشأته الاولى، أو في تأثيرات وترسبات البيئة، التي طالما اشتكى منها، إلا ان الجواهري، كغيره من النجفيين، أخذ الكثير من عناصر القوة والمعرفة التي وفرها له

(٦٧) رثى الجواهري المفكر الاسلامي جمال الدين الافغاني بقصيدة نشرتها صحيفة "الرأي العام" في ١٦ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٤ وذلك أثناء مرور رفاته من تركية في طريقه إلى أفغانستان، يقول في مطلعها:

هويت لنُصرة الحق السُهادا فلولا الموت لم تُطِق الرُقادا

المجتمع النجفي رغم تناقضاته، فخلفه تراث فكري ونظري وفلسفة عميقة وفقه وأدب وشعر، تلقاها ورضعها مع الحليب وهي تشكل جزءاً حياً من البيئة النجفية ذات البُعد العربي والاسلامي، وهي تعكس التناقض والصراع الفكري والاجتماعي، الذي يعيشه المجتمع النجفي. ورغم الطابع المحافظ والمنغلق للنجف في أكثر مظاهره الاجتماعية، لكنها على حد تعبير الراحل السيد الدكتور مصطفى جمال الدين، تجد انفتاحاً في المجتمع الأدبي، فهناك صخب الشعر وانفتاح الفكر، وبهذا المعنى فهي لا تختلف عن غيرها من مراكز الدراسات الأدبية والفكرية.

ويرجع الدكتور جمال الدين ظاهرة "الفكر المنفتح في المجتمع المنغلق" إلى عاملين، أولهما: القراءات المتنوعة، فالنجف حسب تعبيره (مدينة قارئة) تتصل ـ رغم انغلاقها ـ بالعالم الخارجي عن طريق الكتب والصحف والمجلات، التي تردها بانتظام، ومن مختلف البلدان "كالعرفان" و"البرق" من لبنان، و"ألف باء" و"مجلة المجتمع" من دمشق، و"الكاتب المصري" من مصر، وكثير من صحف العالم العربي والاسلامي. "كما صدرت في النجف نفسها صحف ومجلات ليست على الشكل المتحفظ، الذي يعيشه مجتمعها كمجلة (النجف) و(الفجر الصادق) (والراعي) و(الهاتف) و(الاعتدال) و(الغري) و(الرابطة) وغيرها".

وجدير ذكره الاشارة إلى مجلة "العلم" التي أصدرها هبة الدين الشهرستاني أحد أكبر المجددين وجريدة "الفرات" للشيخ باقر الشبيبي، التي كانت لسان حال الثوار ضد الاحتلال البريطاني.

وكان الشيخ علي الشرقي وهو يكبر الجواهري سناً وقريبه، يعتبر من الذين دعوا للتجديد الفلسفي والاجتماعي، بعيداً عما هو سائد من ركود. ويقول في تساؤلاته الفكرية وهواجسه التشكيكية، التي لا تخلو من جرأة في زمانها:

فيا جانب البحر الذي أنا غارقٌ بلجّته هل ثمَّ من جانب ثاني

وفي مناسبة أخرى، وهو يشعر بالتميز والاستقلالية في التفكير:

أقـول وقـد سـألتني الرفـاقُ أأنـت علـى وضعنـا خـارجُ!؟

وإذا كانت تلك المحاولات التجديدية في البناء الفكري والفلسفي فإن الجواهري، كان يسعى للتجديد والتحديث في الفكر والاجتماع والسياسة وفي بناء وتركيبة القصيدة، تلك التي أعطته "شهادة التمرد" باستحقاق.

أما العامل الثاني في الانفتاح الفكري في النجف، فيعتبره السيد جمال الدين "ثقافة الوافدين"، أي التفاعل والاختلاط والحوار، بين طلبة المدارس الدينية من شتى الأقطار الاسلامية(٦٨).

وتعتبر النجف "... ملتقى العروق والأجناس والقوميات، وبحكم الاختلاط والتعايش والمصاهرة... لا تعرف التمييز ولا الطائفية..." فقد كان فيها إضافة إلى العربي الأصيل، الايراني والافغاني والتركي والباكستاني والهندي والتبتي وغيرهم من الأقطار الاسلامية والعربية مثل سورية ولبنان والبحرين والسعودية (الاحساء) ودول الخليج العربي، ممن قدموا للدراسة وتلقي العلم في جامعتها الشهيرة، التي مضى على تأسيسها نحو ألف عام... فهي مركز اشعاع فكري وأدبي، وفوق كل ذلك فهي تحتضن قبر الامام علي، وفيها أكبر مقبرة في العالم تعرف باسم مقبرة وادي السلام، كما يؤمها سنوياً مئات الآلاف من المسلمين للزيارة وللاطلاع على معالمها التاريخية وبنائها الحضاري وانتاجها الثقافي(٦٩).

ظل الجواهري عنيداً أمام السؤال، بل انه ظل يواجه أسئلة بلا إجابات، تشكل جزءاً من حيرة الشاعر وشكوكه وهواجسه، ضعيفاً أمام نزوة الشعر وإغراء القصيدة، وسيلته في التعبير ليحلّق فيها إلى عوالم أخرى، يطوّعها حيث يريد. والجواهري معمر مثل لبيد العامري ومنفي مثل المتنبي ومفكر كالمعري وهو القائل

---

(٦٨) انظر: الدكتور مصطفى جمال الدين، الديوان، مصدر سابق، ص ٢١ ـ ٢٥

(٦٩) انظر: أمسية للمؤلف في ديوان الكوفة بلندن، في شباط (فبراير) ١٩٩٤ بعنوان "بعيداً عن أعين الرقيب ـ محطات بين الثقافة والسياسة" وقد نشرت بكراس خاص صدر عن دار الكنوز الأدبية، بيروت، ١٩٩٥، ص١٩.

في قصيدته في المعري والتي القاها بمناسبة المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري بدمشق ونشرت في صحيفة "الرأي العام" في ٥ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٤.

قفْ بالمعرَّةِ وامسح خدَّها التربِا ... واستوحِ من طوَّق الدنيا بما وَهَبا

ثم يقول:

على الحصير... وكوز الماء يرفده ... وذهنه... ورفوف تحمل الكتب
أقام بالضجة الدنيا وأقعدها ... شيخ أطلَّ عليها مشفقاً حَدِبا
بكى لأوجاع ماضيها وحاضرها ... وشام مستقبلا منها ومرتقبا
وللكآبة ألوان، وأفجعها ... ان تبصر الفيلسوف الحر مكتئباً
لثورة الفكر تاريخ يحدثنا ... بان ألف مسيح دونها صُلبا

* **خصومات:**

في سفره المديد، واجه الجواهري، خصومات كثيرة، وأثيرت حوله وجهات نظر متضاربة.

والواقع فإن شخصية تجمع هذا القدر من التفرد الفني والتمايز الشخصي وخصوصية التحدي والاستقلالية والجرأة والتناقض، لابد وأن تكون عرضة للنقد والحسد والغيرة. فالطائفيون، صنفوه حسب هواهم، بتحدره الشيعي، بحكم النشأة، لدرجة ان البعض اعتبره "شاعراً شيعياً"، حيث صدر أمر بفصله من وظيفة معلم ابتدائي، بعد رفض تعيينه بوظيفة مدرس ثانوي عام (١٩٢٧)، لكن الملك فيصل الأول سارع بتعيينه في تشريفات البلاط الملكي لحفظ التوازن المختل بسبب نهج العزل السياسي الذي اختطته الدولة العراقية منذ تأسيسها. وأفصح ساطع الحصري(٧٠) مدير المعارف آنذاك ان سبب فصل

(٧٠) ينظر البعض من زاوية أخرى عند تقييم الدور الذي لعبه ساطع الحصري، حيث يتم استحسان أفكاره التربوية وأطروحاته القومية. وقد صدر في أواخر الثمانينات كتاب يتحدث عن فلسفة ساطع الحصري عن دار التقدم في موسكو. وفي هذا الصدد يقول الكاتب عزيز

الجواهري، يعود إلى قصيدة كان قد نشرها الشاعر، يتغزل فيها بمصايف ايران الجميلة، قبل تعيينه، مما اعتبر تشكيكاً بالهوية العربية وبالمواطنة العراقية، يستوجب معها "نبش" الوثائق للبحث في جنسيته، وفقاً لقانون شرّع على أساس مختل أصلاً، برقم (٤٣) في عام ١٩٢٤.وحمل معه بذرة التمييز أو جرثومة الطائفية "قانونياً" وذلك قبل تشريع القانون الأساسي (الدستور) في عام ١٩٢٥. وظلت الدولة العراقية تعاني من ظاهرة العزل والتمييز، التي استفحلت على نحو صارخ في السنوات العشرين الأخيرة، وبخاصة خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية(٧١) .

ويذكر ان الجواهري كتب خمس قصائد خلال اصطيافه (الأول والثاني) في ايران في العشرينات. القصيدة الاولى كانت صيف ١٩٢٤ وقد أهداها إلى صديقه محمد رضا ذهب (في النجف) ويقول في مطلعها:

أحبابنا بين مَحاني العراقْ كلفتمُ قلبي ما لا يطاقْ

الحاج "كان ساطع الحصري موضع نقد وتجريح بعض القوى المعارضة والتيارات الطائفية، ولكنه استحوذ على اعجاب وحب معظم المتنورين ومنهم ذو النون أيوب إذ صار من مريديه...".

انظر عزيز الحاج: أبو هريرة الموصلي، مصدر سابق.

بينما يذهب كثيرون إلى ان الحصري نفسه متهم بالطائفية وهو امتداد للمدرسة التركية ـ البريطانية في العراق بعد الاستقلال بل ان البعض يرجع استشراء الطائفية في العراق إلى الدور السلبي الذي لعبه الحصري. انظر: العلوي، حسن ـ كتابيه "التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي" لندن، ١٩٨٨. و"دولة الاستعارة القومية" دار الزوراء ـ لندن، ١٩٩٣.

(٧١) حول الدستور العراقي: انظر محاضرتنا في لندن بدعوة من المنتدى العراقي، آذار (مارس) ١٩٩٢. وحول قانون الجنسية وقضية المهجرين العراقيين: انظر كتابنا "عاصفة على بلاد الشمس" دار الكنوز الأدبية، دمشق، ١٩٩٤، ص ٢٢٣ ـ ٢٣٥. انظر كذلك محاضرتنا في ديوان الكوفة، لندن ١٩٩١/٤/١٧ بعنوان "اشكالية حقوق الانسان وقضية المهجرين العراقيين". كذلك بحثنا المنشور في صحيفة الحياة ١٩٩١/٤/٢٨ بعنوان "المهجرون العراقيون والقانون الدولي".

ويعبّر فيها عن شوقه وحنينه إلى بلده العراق، شاكياً آلام الغربة حين يقول:

يكفيكم من لوعتي أنني | في فارس أشتاق قطر العراق
لاسوحَها وهي جنان زَهَتَ | بكل مارقَ جمالا وراق
تنالَ من شوقي وهل سلوةَ | لمن قضى الله له أن يَشاق؟

أما القصيدة الثانية (في سفرته الاولى)، فهي مفعمة بالشوق أيضاً للعراق ويقول فيها:

أقول وقد شاقتني الريح سحرةَ | ومن يذكر الأوطانَ والأهلَ يشتَقِ

أما القصيدة الثالثة، فهي بعنوان الريف الضاحك، التي نشرتها بمجلة "العرفان" في عام ١٩٢٥. وكانت القصيدة الرابعة قد نظمها خلال سفرته الثانية ١٩٢٦ وأهداها إلى صديقه النجفي، الشيخ جعفر النقدي، وعنوانها "على دربند" يتحدث فيها عن مصايف "شمرانات" الشهيرة شمال طهران (ايران) ومنها مصيف دربند ونشرتها بمجلة "العرفان" أيضاً في كانون الثاني (يناير) ١٩٢٧ ومطلعها:

أحبَتنا لو أنزل الشوقَ والهوى | على قلب صخرٍ جامدٍ لتصدَعا

أما القصيدة الخامسة، فقد كتبها وهو عائد إلى العراق وهي بعنوان "الخريف في فارس" ويقول في مطلعها:

ياهائجين لخريف فارسِ | ماتصنعون لو أتى ربيعهُ

وتبيّن الصور الفنية التي استوحاها الجواهري من مصايف ايران مدى الشوق الذي اعتصر قلبه إلى بلده العراق وأهل العراق وهو يصطاف في ايران.

وهو مايفنّد ماذهب إليه الحصري، من محاولة الجواهري التعرض للعراق والنيل منه ويبدو إنه استند في فصل الجواهري من وظيفته على البيتين التاليين اللذين لا يُشمُّ منهما أية إساءة للعراق وشعبه:

لي في العـــراق عصابـــة لولاهـــم ماكـــــان محبوبـــاً إليّ عـــــراقُ
لا دجلة لولاهم وهـــي الـتي عذبـت تـــــروقُ ولا الفـــــرات يـــــراقُ

ولم تفلح كل دعـوات الجواهـري الوحدويـة، وقصـائده وآراؤه ومواقفـه القومية العربية منذ ثورة العشرين ولحد الآن، أن تمحو آثار محـاولات الإسـاءة إليـه ذات البعـد الطـائفي منـذ أواخـر العشـرينات ولغايـة الآن فكـانت تنـام وتستيقظ حسـب الظـروف والأجـواء السياسـية ورغبـات ومصـالح الحكـام ودوائرهم، بحيث يصبح التهديد بنزع الجنسية أو التعريـض بالانتمـاء العروبـي أو الولاء الوطني القومي شيئاً جاهزاً لمهاجمة شاعر ليس مـن المبالغـة القـول أن فضله لكبير ليس على العراق وحده، بل على الأمة العربية ولغتها الجميلة.

أشير هنا إلى أن الجواهري بُعيـد سـفرته الاولى وقُبيـل سـفرته الثانيـة إلى ايران هو القـائل بحق الشـيخ مهـدي الخـالصي الـذي نفـي إلى ايـران في عـام ١٩٢٣، وتوفي فيها عام ١٩٢٥ حسبما يذكر الشـيخ محمـد مهـدي كبـة في مذكراته الموسومة "مذكراتي في صميم الأحداث"(٧٢):

رُدّي إلى أوطانـــــه نعشـــــــــه لا تدفـــني في فــــارس يَعرَبـــا
لا تدعـــي فـــارس تختصـــهُ فـــالولد الـــبرز لمـــن أنجبـــا

ولعمري في ذلك وحده الدليل الكـافي علـى مشـاعره الوطنيـة والعروبيـة الجياشة فهو إنمـا يخـاطب أولي الأمـر الذيـن نفـوا الخـالصي عقابـاً لـه ولثـورة العشرين بعد الانتداب البريطاني على العراق ويطـالبهم بـأن يـردوا نعشـه إلى العراق وهو يرفض أن يُدفن جثمان هذه الشخصية العربية في ايران.

*** آمنت بالحسين:**

وربما اعتبر البعض قصيدة الجواهري "آمنت بالحسين" التي ألقاها في كربـلاء في ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ في ذكرى استشهاد الحسين (ع)، والمنشورة في

---

(٧٢) انظر: محمد مهدي كبة، مذكراتي في صميم الأحداث، بيروت، ١٩٦٥.

صحيفة "الرأي العام" يوم ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) في العام ذاته استمراراً لتشيّعه ولتمذهبه. في حين لا تخص شخصية الحسين طائفة أو مذهباً، وإنما هي ببعدها الملحمي لكل المسلمين، بل ملك للانسانية جمعاء، فكل طالب عدل ورافض ظلم يجد في الحسين مثله الأعلى وهو ماعبّر عنه الجواهري(٧٣) .

ومن الجدير بالذكر الاشارة إلى أن خمسة عشر بيتاً من قصيدة "الحسين" قد كتبت بالذهب الخالص على الباب الرئيسي، الذي يؤدي إلى الرواق الحَسيني الشريف(٧٤) ، وجاء في مطلعها:

فداءٌ لمثواك من مضجعِ — تنوَّر بالأبلج الأروع
بأعبق من نفحات الجنا — ن روحاً، ومن مِسكِها أضوع
ورعياً ليومك يوم "الطَفوف" — وسقياً لأرضكِ من مصرع
وحزناً عليك بحبس النفوس — على نهجِكَ النيِّرِ المهْيَع

* اليسار:

كانت القوى التقليدية والمحافظة في المجتمع العراقي تنظر إلى الجواهري باعتباره "ممثلاً" للتيار اليساري ـ الشيوعي، بل هو لسانه الفصيح وصوته القوي والحاضر دائماً حين تستكمل ظروف الوثبة أو تنضج شروط الانتفاضة، وبحكم دفاعه عن المظلومين والفقراء. وكانت قصائد الأربعينات، وبوجه خاص قصائد سواسبتول وستالينغراد وغيرها الأكثر إفصاحاً ومجاهرة حين اشتدت المعارك الضارية ضد

---

(٧٣) راجع: الدكتور ابراهيم العاني "دراسة عن قصيدة الجواهري بخصوص الحسين" (ع) مجلة النور، لندن، العدد ٥٠، تموز (يوليو) ١٩٩٥.

(٧٤) يعكف المخرج العراقي الفنان قاسم حول على كتابة سيناريو فيلم سينمائي عن الحسين (ع) تمهيداً لاخراجه وهو أول فيلم يتناول مأساة الشهيد الحسين. ويحاول المخرج بعد تهيئة المستلزمات التوثيقية والفنية والموافقات الضرورية، أن يقدم رؤية عصرية وحضارية عن تلك المأساة الانسانية والبطولة الملحمية. انظر: نشرة الكوفة، العدد الأول، حزيران (يونيو) ١٩٩٦. كذلك: حديث خاص مع المؤلف في لاهاي (هولندا) تموز (يوليو) ١٩٩٦.

القوات الألمانية الغازية واستبسلت المدينة وقاعدتها البحرية استبسالاً هزّ الشاعر من الاعماق. ففي قصيدة سواستبول ١٩٤٢ قال:

يـــا "سواســـتبولُ" ســـلامُ لا ينـــــل مجـــــدَكِ ذام

أو قصيدته عن "ستالينغراد" التي نظمها عام (١٩٤٣) ممتدحاً ستالين في فترة كان مجرد اسمه يعني احتسابك على جبهة اليسار حيث يقول في مطلعها:

نضــت الــروح وهزتهـــا لـــواء وكســـته واكتســـت منـــه دمـــاء

إلى أن يقول في صمود المدينة وزعيم الدولة السوفيتية ستالين:

يـــا "ســـتالين" ومـــا أعظمَهـــا في التهجـي أحرفاً تـأبى الهجـاء
أحـــرفٌ يســـتمطر الكـــون بهـــا انعتاقـــاً وازدهـــارا، واخـــاء

ثم يمضي للقول:

يـــاعروس "الفلَـــغِ" والفلغـــا دمٌ ساءت البلـوى فأحسـنت البـلاء
صُبِـــغ "الـــدون" دمـــاءين همـــا بُعـدُ بـين الرجـس والطهـر التقـاء
وجـــرت أمواجـــــه حاملـــــة فوقهـا الضديـن صُبحـاً ومسـاء
وعلـى الجرفـين "عظمـان" همـا رمـز عهديـن انحطاطـا وارتقـاء

و لم يكتف الجواهري بتمجيد ستالين وصمود المدينة، بل عـرض بطريقته الديالكتيكية التناقض علـى ضفـتي نهـر الفولغـا، فمـن الجهـة الاولى، الجيـوش النازية الغازية ومن الجهة الثانية، الجيوش "السوفيتية" المدافعة، والعظمـان همـا هتلر وستالين، أما العهدان فهما النازية والاشـتراكية ويقـرر الجواهـري نهاية الحرب قبل حسـمها بـأكثر مـن عـامين، حـين يؤكـد انحطـاط العهـد النـازي وارتقاء العهد الاشتراكي، بنبوءته وانحيازه.

و لم ينس في هذه القصيدة أن يذكر تولستوي وكذلك رواية الام لمكسيم غوركي حين يقول:

"أم غوركـي" ليـت عنـدي وحيـه لأوفي (نبتـــك) اليـــومَ الثنـــاء

يـا "تولسـتوي" ولم تذهـب سُـدى ثـورة الفكـر ولا طـارت هبـاء

وإذا كانت مثل تلك الأسماء تنطبع في أذهان الناس، حتى قبل أن يطلعوا على "الأدب السوفيتي"، الذي شاع بعد ثورة ١٤ تموز (يوليـو) ١٩٥٨، فإن أسماء المدن والأماكن السوفيتية قد انتشرت مثل هذه الأسماء في قصائد الجواهري، حتى أصبح اسم سواستبول شهيراً، مثلما هو اسم مدينة خاركوف وروستوف والقفقاس، وكذلك أصبحت كلمات مثل "الأنصار" والسلام ووسام الشهادة، كلمات كثيرة الاستخدام في الوسط السياسي وفي الشوارع والجامعات. لقد كتب الجواهري ١٩٦ قصيدة قبل سواستبول (قصيرة وطويلة) لكن سواستبول القصيدة السابعة والتسعين بعد المائة انفردت بالجو الخاص من خلال التراكم اللغوي والتزاحم الحركي والموسيقى الصاخبة.

*** عروبيات:**

حين استخدم الجواهري خزينه الثوري بطاقته القصوى لحشد مفرداته اللغوية وقد طغت قصائد، مثل سواستبول وستالينغراد أو "ألقت مراسيها الخطوب" التي نشرها في ٨ أيار (مايو) ١٩٤٥ وهي آخر قصائد الحرب على قصائد مثل وادي العرائش في زحلة (١٩٣٤) أو يوم فسطين (١٩٣٨):

يـومٌ مـن العمـر في واديـك معـدودُ مستوحِشـاتٌ بـه أيـامي السُـودُ

أو شاغور حمّانا أو لبنان (١٩٣٩) التي كتبها في الثلاثينات والتي يقول فيها:

أرجعـي ماسـتطعت لي مـن شـبابي ياسـهولاً تدثـرت بالهضـاب

غسـل البحـرُ أخمصيْهـا، ورشّـت عبِقـاتُ النـدى جبـاه الروابـي

وكذلك قصائد الأربعينات أو مايسميه الأستاذ حسن العلوي (السدس العبقري) مثل قصيدة "بنت بيروت" التي نشرها الجواهري في عام ١٩٤٢ وهي مهداة إلى عمر فاخوري التي يقول في مطلعها:

ياعذبــة الــروح يافتانــة الجســـد يــابنت "بــيروت" ياأنشــودة البلـــد

أو قصيدة يافا الجميلة التي ألقاها في الحفل التكريمي الذي أقيم على شـرفه في المجمع الثقافي في يافا ونشرتها صحيفة "الـرأي العـام" في ١٦ آذار (مـارس) ١٩٤٥ والتي يقول في مطلعها:

بـ"يافـا" يـوم حُـط بهـا الركـابُ تَمَطـرَ عـارضٌ ودجـا سـحابُ
ولــفّ الغــادةَ الحســناء ليـــلٌ مريـبُ الخطـوِ ليـس بـه شـهاب

وكذلك على قصيدة وعد بلفور التي ألقاها الشاعر في بهو الأمانة ببغداد، في ذكرى وعد بلفور ١٩٤٥ ويقول في مطلعها:

خــذي مسـعاك مُثخَنَـةَ الجـراح ونـامي فـوق داميـة الصفـاح

إلى أن يقول:

أأم "القـدس" والتـاريخ دامِ ويومُـكِ مثـل أمسـكِ في الكفـاح
ومهـدُك وهـو مهبـط كـل وحـي كنعشـك وهـو مشـتجرُ الرمـاح
و"وادي التيه" إن لم يـأوِ "موسـى" فقد أوى "الصليب" علـى "صـلاح"

أما السبب الآخر في إشكاليات الجواهري، إذا جاز التعبير، فقد أتـاه مـن الوسـط الأدبـي ذاتـه. فاتجاهاتـه التجديديـة في القصيـدة العربيـة الكلاسـيكية وقدرته الفائقة على التطوير واستلهام المعاني، قد عرضته للحسـد والكيـد مـن الوسـط المحـافظ، الـذي ينظـم علـى الطريقـة التقليديـة، فضـلاً عـن اقتحاميتـه الاجتماعية، التي تخطى بهـا الحـدود المألوفـة في زمانـه وفيمـا بعـد زمانـه، مما عرضـه للنقـد وربمـا للتجريـح، وذلـك لمواقفـه التقدمية، ونظرتـه الاجتماعيـة التحررية وبالتالي فلسفته إزاء الحياة والكون والمجتمع، كانت كلها من أسباب خصوماته على حد تعبير الأستاذ هادي العلوي.

*مناسبات ومفارقات!

ثمة مناسبات لا تخلو من طرافة ناهيكم عن مرارة أيضاً وربما مفارقات مصحوبة بشيء من ألم، خصوصاً ماتركته في نفس الشاعر، من خيبة وانكسار. ففي النصف الأول من السبعينات تعرض الجواهري إلى حملة نقد شديدة بإيحاء وربما بإيعاز من الحكومة العراقية إلى بعض الصحفيين العاملين في الصحافة اللبنانية وذلك إثر زيارته إلى المغرب وإلقائه قصيدة هناك لم يستسغها المسؤولون العراقيون، والقصة وما فيها ان موسى أسد الكريم صديقنا في براغ عرّفه بأحد العراقيين المغتربين الذين يعيشون في المغرب وهو من عائلة الوردي الكاظمية المعروفة ومتزوج من فرنسية، الذي بادر بدعوته إلى الرباط وذلك خلال زيارة كان يقوم بها إلى العاصمة التشيكية وبعد تردد وانتظار حزم الجواهري أمره مستقلاً الطائرة إلى الرباط ليفاجأ باستقبال مهيب حيث اعتبرته وزارة الدولة للشؤون الثقافية ضيفاً عليها وهو الذي كان يرغب بزيارة شخصية وهناك ألقى قصيدته المشهورة:

سماحاً إذ شكا قلمي كلالا   وإن لم يُحسن الشعرُ المقالا
وإن راحت تـَعاصيني القوافي   بحيث الفضلَ يَرتجلَ ارتجالا

وكأن الجواهري يستبق الحملة التي نُظمت ضده فيما بعد تحت شعارات زائفة ولأغراض محددة، لهذا تجده، يواجه هؤلاء الذين استغلوا زيارته للمغرب وإلقاءه هذه القصيدة بالقول(٧٥):

(٧٥) القصيدة كانت بعنوان: "تحية: ونفثة غاضبة" والقيت بمسرح محمد الخامس في الرباط يوم ٢٠ ايلول (سبتمبر) ١٩٧٤.

وقلتُ لحاقدين عليَّ غيظاً | لأني لا أحبُّ الاحتيالا
هَبّوا كلَّ القوافل في حماكم | فلا تهزّوا بمن يَحدو الجمالا
ولا تدعوا الخصام يجوزُ حدّاً | بحيث يعود رَخصاً وابتذالا
وما أنا طالبٌ مالا لأني | هنالك تاركٌ مالا والا
ولا جاهاً، فعندي منه إرثٌ | تليدٌ لا كجاههمَ انتحالا
ولا أنا من يلوكُ دمَ الأضاحي | يلم جلودها للسحت مالا(٧٦)

وكانت الحكومة المغربية قد اهتمت به اهتماماً خاصاً، من أعلى المقامات السياسية إلى شتى الهيئات الثقافية والاجتماعية والشعبية، مما اثار حفيظة بعض الكتّاب الذين أخذوا يتحرشون بالشاعر ويشون نقداتهم ضده وأتذكر انه كتب رسالة إلى احدى الصحف اللبنانية رداً عليهم وكانت رسالة شديدة اللهجة ضمّنها تعريضاً بهم وبمن أوعز لهم عملية التحريف. وتفسير الجواهري انه قابل المعروف والاحسان والتكريم بالشكر والامتنان وهي إن تأتي على لسان شاعر، تأخذ شكل قصيدة وهو أمر طبيعي، لكن صديقه موسى أسد الكريم قد يكون أحد الذين ثنوه عن نشر رده على بعض الصحفيين ومن يقف وراءهم. إلا أن أجواء غضبة الجواهري ظلت مسيطرة عليه، فنشر في عام ١٩٧٥، قصيدة بعنوان "آليتُ" وهي رداً على تلك الحملة "المأجورة" على حد تعبيره، وجاء في مطلعها:

آليتُ أبردُ حرَّ جمري | وأديلُ من أمرٍ بخمر

إلى أن يقول:

ومبارزينَ سلاحهم | أن لست ندٌّ ذوات ظفر

(٧٦) نظم الشاعر قصيدة بعنوان "طنجة" وذلك خلال زيارته إلى المغرب يقول فيها:

لله درك "طنجُ" من وطن | وقفَ الدلالُ عليه والغنج
الليلُ عن جفنيك منطلقٌ | والصبحُ عن نهديك منفرج
تتخالف الالوانُ في شفق | ويلمها غسق فتمتزج

أمنـــوا بعصمـــــة صـــافح عـــن كاشــفي السـوءات نكـــر
مثـــل "الفواحـــش" يحتميـــ ـــن بفحشـــهن، بـــأي ســـتر
مســـــتبعدين توارثــــوا حقـــب التملـــك، والتســـرّي
ومُســـخرين فهـــم لديـــ ـــك وهـم عليـك! لقــاء أجــر

ويبدو لي أن الجواهري ضمن تلك الأجواء الاقتحاميـة المتحدية نظـم قصيدته "أزح عن صدرك الزبدا" التي نشرتها مجلة الرابطة الأدبيـة في النجـف تشـرين الثـاني (نوفمبر) ١٩٧٥ تلك القصيـدة الـتي ينتقـد فيهـا الجواهـري عصـره المليء بـالزيف والخداع ويسمو بنفسه متعالياً بكبرياء الشعر والتي يعتبرها "من أعز قصائده إليه".

أزح عـــن صـــدركَ الزبـــدا ودعـــه يبـــث مـــاوَجَدا
وخــل "البـــوم" ناعبـــةً تقـــيءُ الحقـــد والحســـدا
مخنثـــة فـــإن ولـــدت علـــى "ســـقطٍ" فلـــن تلـــدا
ســـينهي "الفجـــرُ" وحشـــتها ويُلحقهـــا بمـــن طـــردا

وأعتقـد أن قصيـدة "رسـالة الى محمـد علـي كـلاي مـن محمـد مهـدي الجواهري" قد نظمت في تلك الأجواء والانفعالات. ففي مقدمتها قال الشاعر "تلاكم وخصمه فهزمه، فحاز إعجاب العالم وملايينه".

يقول فيها:

ياســيدَ "اللكمـــات" يَسْـــحرُها ذهبـــاً، بذهـــنٍ منـــه مشـــبوبِ
نحـن الرعيـةَ.. عشـت مـن مَلِـكٍ بمفـاخر "العضـــلاتِ" معصـــوب
كـن حيـث أنـت تجئـك صـاغرةً دُفـعُ اللهّـى، والزهـو والطيـب
تسـعى لـذي بَطَـر وقـد زويـتْ عـن نـابغٍ، أسـيانَ مغلـوب

وفي أواسط السبعينات، حيث كان وفد قد وصل إلى براغ، وأتذكـر إنـه ضـم نعيـم حـداد ود. مهـدي الحـافظ وعزيـز شـريف وآخريـن. وفي فنـدق الانتركونتيننتال، بعد الحديث عن مياه الفرات والتوتر بين سورية والعراق، بدا الجواهري مستفزاً وهنا بادر بالحديث معلقاً على عزيز شـريف، بـالقول "بيـني

وبين الجماعة وكان يقصد نعيم حداد (أبو عروبة) ماصنع الحداد، ومع ذلك فالأمر كما ترى، بعد العجاف السبع (الإشارة إلى سنوات الغربة الاولى) فماذا بينك وبين النظام السوري؟ فامتص عزيز شريف غضب الجواهري بابتسامة وصمت. وبتقديري كان الجواهري وربما آخرون قد يكون من بينهم عزيز شريف أيضاً، ممن يريدون تلطيف الأجواء بين سورية والعراق، بينما كان بعض "الحزبيين البعثيين" يرغبون في تصعيد حدة التوتر تزلفاً للقيادة في العراق، التي تعتبر تلك مسألة مركزية وثابتة في التثقيف السياسي.

بدأ الجواهري يكثر من زيارته إلى دمشق منذ أواخر السبعينات، وخلال الميثاق القومي بين سورية والعراق وجهت له الدعوة من قبل وزارتي الثقافة والارشاد القومي والاعلام، واقيمت له حفلة تكريمية كبرى في سينما الحمراء، وألقت فيها الدكتوره نجاح العطار وزيرة الثقافة كلمة قالت فيها عن الجواهري: "حين نقول الجواهري، نقول كل هذا: المعجزة والصحراء. والكلمة والبدع والسر الذي لا نبلغ أن نأتي بمثله، لا بالملك ولا بالمال أو الجبروت.. مهيباً تراه، عملاقاً كالأسطورة وغريباً كالخارق من الأشياء، على وجهه يتشهى ألق موهبة...". وقد القى الجواهري قصيدته "دلفت إليك":

دلفتُ إليك يفضحني كغوبي — ويسخرُ من شبابيَ والمشيبِ

ويخاطب نجاح العطار بالقول:

أسيدتي "نجاح" إليك أهدي — تحيات الأديب إلى الأديب
إلى ريحانة الأدب المصفى — ترفّ بواحة الذهن الخصيب
عرفتُ عميم فضلك من بعيد — وزرتُ كريم نَبلك من قريبِ
وطابقت السَّماعَ على عِيان — وجانست الاهابةَ بالمَهيب

ومنذ أواخر السبعينات عاد الجواهري إلى منفاه وزار عدداً من البلدان العربية واستقر حقبة من الزمن في دمشق بضيافة الرئيس حافظ الأسد وبرعاية

مباشرة من الدكتورة العطار وأحمد اسكندر وزير الاعلام وباهتمام خاص من صابر فلحوط مدير وكالة سانا ونقيب الصحفيين السوريين وصديقه الخاص. وأقام بضعةأشهر خلال عامي ٨١ ـ ١٩٨٢ في أوتيل الشيراتون، وخلال لقاء خاص ضم أحمد اسكندر وصابر فلحوط وافق الجواهري وكان عائداً من عدن على ماأتذكر على الإقامة المتصلة في دمشق تلبية لدعوة كريمة من رئاسة الجمهورية العربية السورية، حيث خصص له قصر في الروضة "فيلا الايرياني سابقاً" ليقيم فيها مع عائلته منذ أواسط عام ١٩٨٢.

في أوائل الثمانينات اقتنع الجواهري بزيارة "جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية" بعد دعوات كثيرة وجهت إليه. أخيراً لبى الدعوة وصادف ذلك بعد دعوة خاصة كانت قد وجهت إلينا من رئاسة اليمن، لحضور المؤتمر الذي عقده مجلس السلم العالمي، في عدن بخصوص مخاطر الوجود العسكري في الخليج، وذلك في إطار "اللجنة الوطنية العراقية للسلم والتضامن" وضم الوفد عامر عبد الله والدكتورة نزيهة الدليمي وأنا، وكانت هذه اللجنة قد أعادت نشاطها بعد أن أجرت تعديلات جوهرية على طابع القوى والشخصيات التي تمثلها وسعت لاحتلال مكانها في مجلس السلم العالمي، في حين كانت "المنظمة الرسمية" مازالت ممثلة في المجلس في الوقت الذي رُفِض طلب تقدمنا به لقبولنا بحجة عدم ازدواجية التمثيل وتهرّب بعدها شاندرا رئيس المجلس من مقابلة وفدنا بعد حضور الوفد الرسمي الذي رأسه د. عصام عبد علي (وزير التعليم العالي السابق) واقتصرت المقابلة القصيرة معنا على المجاملات.

كان الجواهري يسأل عن الجو في عدن، وعن الطبيعة وعن الكتاب والرئاسة وغيرها. ولقي التشجيع منا على زيارته لاعتبارين الأول لموقف اليمن المشرف آنذاك من المعارضين العراقيين، حيث استقبلت المئات منهم وللتسهيلات التي قدمتها للعمل والدراسة والعلاج والجوازات وغيرها، فضلاً عن مساعدات أخرى. أما الثاني لاعتقادنا بأنها كانت تمثل "نموذجاً" يمكن أن

يتحول باتجاه تحقيق العدالة والتقدم. وما كنا ندري أن ثمة رواسب وعقداً وموروثاً لا يمكن تخطيه بسهولة وبهذه السرعة، فتحولت التجربة إلى دورات اقتتال وعنف وغدر راح ضحيتها بشر وكفاءات وموارد أضرت باليمن الجنوبي كثيراً، والتي حاولت الخروج من أزمتها بالالتئام مع الشمال وللتخلص من حالة الذبول التدريجي لتعود إلى التقسيم الجارح ثم إلى اصطفافات جديدة سبب في مضاعفاتها الاحتراب العشائري والمناطقي والجهوي، وكان عاملاً أساسياً من عوامله قوة التقاليد القديمة والبالية والموروث المتأصل، والمصالح الضيقة والمتضاربة حيث لم يمس التغيير سوى القشرة الفوقية لتدخل القبائلية والعشائرية في صلب الانتماء السياسي ولتفعل فعلها.

ذهب الجواهري إلى عدن وهو محمل بانطباعات أقلها إيجابي وإذا كان ثمة سلبيات فهي للجو الطبيعي ولقسوة الحياة، لكن المحذور قد حدث، فلم يكن أحد من المسؤولين باستقباله واكتفى العراقيون (المنظمة الشيوعية) باستقبال بسيط له من المسؤولين هناك. وعندما أجريت الاتصالات، كانت المبررات تتعلق ببعض الاشكالات داخل اليمن وبالتحديد في اتحاد الكتاب آنذاك، ويبدو ان النار كانت تغلي تحت الرماد كما يقال، حتى اندلعت أحداث ١٣ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٦ وراح ضحيتها نحو ١٠ (عشرة) آلاف قتيل. بصراع "القبائل الماركسية" كما أُطلق عليه في حينها.

ورغم ان الجواهري خلد عدن بقصيدة رائعة، لكن مرارته وانطباعاته ظهرت فيما بعد!

مِن مَوْطن الثلجِ زحّافاً إلى عدن ... خبت بي الريحُ في مهرٍ بلا رسنِ
كأسي على صهوة منه يصفقُها ... ماقيّضَ الله لي من خلقهِ الحسن
من موطن الثلج من خضر العيون به ... لموطن السمرِ من سمراء ذي يزن

مـن كـل ملتفـة الكشــحين ناعمــةٍ ميـادةٍ مثـل غصــن البَانــةِ اللــدن
ياللتصــابي.. الا ينفـكُّ يجذبــني على الثمانين جـذب النـوق بـالعَطَنِ(٧٧)

عندما عاد الجواهري من رحلـة عـدن، بـادرني بالسـؤال بطريقتـه: أهـذه عـدن "الجميلـة"! أهـي اليمـن السـعيد! أهـو حلمكـم الثـوري!! كونـوا إذن حالمين.. ربما بكوابيس أو سعالي قد تطلع من البحـر.. لا أدري فلسـت أريـد مثل هذا الحلم.. أنا حلمي أخضر وليس رمادياً.. انه عشقي في براغ. قلت له في "موطن الثلج".. من"خضر العيون" قال نعم فـأكملت "لموطـن السـمر مـن سمراء ذي يزن" قال "خليها إلك" أي انها من حصتك!!.. فهمـت ان الزيـارة لم تكن موفقة، ومن ثم تداعيات الاستقبال الأول وبعدها علمـت أن الرئيـس السابق علي ناصر محمد لم يستقبله، لأنه كـان في زيـارة خـارج اليمـن، لكنـه عاد قبل يومين من عودة الجواهري إلى دمشق، دون أن يحدد موعداً للقاء.

وبغض النظر عن بعض الملابسات، فقد كـان الجواهـري يقـرأ الأحـداث قبل الآخرين.. أهي فراسة شاعر، أم نباهة متوجـس عركتـه التجربـة وصقلتـه الحياة أم شكوك مثقف يريد أن تدقق كلماته وخطواته وقائع وحقـائق وليـس مجرد شعارات. كان الجواهري كلما غضب على بعض إجراءاتنا يبـدأ بـالتندر على "جماهيرنا" و"أوسع الجماهير" و"من أنتم". والطريقـة الوحيـدة للتخلـص من الدخول في مناقشته وهو بمزاج متكدر، هو الاتفاق معه.. وحتـى الاتفـاق معه لا يكفي أحياناً، ليعود ويناقش مـن الموقـع الآخـر (المضـاد).. كـل ذلـك يضفـي عليـه نكهـة خاصـة، أصبحـت جـزءاً مـن شـخصيته وخصوصـاً لمـن يعرفه!!.

ومـن المفارقـات الأخـرى أن وجهـت سـفارة كوريـا الديمقراطيـة دعــوة للجواهري، لزيارة كوريا في الثمانينات والتقاه السكرتير الأول في السفارة في

(٧٧) نشرت هذه القصيدة في صحيفة "الثوري" العدنية بتاريخ ١٩٨٢/٣/٦.

براغ بعد دمشق، لترتيب برنامج الزيارة والوقت المناسب والأماكن التي يرغب بزيارتها، مع التسهيلات الكبيرة التي تتضمنها الزيارة.. وبعد حرج حسبما علمت أبدى المسؤول الكوري، رغبته متمنياً على الجواهري بأن ينظم قصيدة بحق "الزعيم المحبوب من أربعين مليون نسمة "كيم ايل سونغ" بالتلميح أو بالاشارة.. وهنا تغيرت مشاعر الجواهري، الذي كان يرغب بزيارة كوريا للاكتشاف والمعرفة، بأن وجه سؤاله إلى ابن أخته السيد رواء الجصاني بالقول "كلي وين تصير كورية"؟ أي أين تقع كورية؟. وكأنه يجهلها، وقام من مقعده منهياً الزيارة للسفارة بالشكر وأبلغهم انه سيتصل بهم لاحقاً.. ولم يتصل وذهبت المحاولات والاتصالات سدىً.

إن حساسية شاعر كالجواهري، لا يفهمها السياسيون على طريقة صاحبنا الكوري وللأسف فهم كثيرون. وباعتقادي لو تمت الدعوة وسافر الجواهري فلابد أن تترك هذه الزيارة تأثيرها عليه، ليحولها فنياً إلى قصيدة، وسيلته للتعبير عن الإحساس بالجمال والامتنان والخير والظواهر الطبيعية والمجتمعية الايجابي منها والسلبي. فمثلاً حين زار بلغاريا بدعوة من اتحاد الأدباء البلغار، أمضى يومين في مصيف فارنا الساحلي على البحر وهزه الميناء الجميل، فنظم قصيدة جميلة بعنوان يومان في "فارنا"(٧٨)

أشرق الفجر فوق "فرنا" فأضفت	**فوقهُ سحرها الخفي وأضفى**
واستطاب الرمل النديُّ بساطاً	**فمشى ناعم الخطى يتكفا**
ونديمي وجه صبوحٌ وكأسٌ	**غودرت في مزاجه الصرف صرفا**
ألـف "الفنُّ" صورة منكِ تنـا	**هـت من الحسن لَطفاً وعُنفَا**

وكذا الحال في قصيدته عند زيارة أثينا "سجا البحر" أو قصائده عند زيارة ايران، التي سبقت الإشارة إليها أو وادي العرائش أو يافا الجميلة:

---

(٧٨) نشرتها صحيفة "الثورة" البغدادية، العدد ١٥٢٢ في ٢ آب (أغسطس) ١٩٧٣.

بـ"يافا" يوم حُط بهـا الركـابُ تمطـر عـارضٌ ودجـا سـحابُ
ولـفَّ الغـادة الحسـناء ليـلٌ مريـب الخطـوِ ليـس بـه شـهاب
وعاريـةَ المحاسـن مغريـاتٍ بكـف الغيـم خيـط لهـا ثيـاب
كـان الجـو بـين الشـمس تزهـى وبـين الشـمس غطاهـا نقـاب(٧٩)

ومن المفارقات الأخرى علاقـة الجواهـري بالشـاعر مظفـر النـواب، فقـد كـانت تمتـاز بـالمودة والاعجـاب. فـالنواب يكـنّ احترامـاً كبـيراً وخاصـاً للجواهري ولمنزلته الابداعية والثقافية ولموهبتـه الشـعرية الريادية. والجواهـري يعتبر النواب أبرز الشعراء الشعبيين المجددين، كما ينظـر باعجـاب إلى مواقفـه النضاليـة. وظـل حبـل الـود بـين الطرفـين متيناً طيلـة السـنوات الماضيـة وإن اقتصرت اللقاءات على المناسبات أحياناً في براغ وطرابلس.

بعد خروج مظفر النواب من السجن إثر عملية الهـروب الشـهيرة الـتي تم تنظيمها في خريف العام ١٩٦٧ من سجن الحلّة، توجه إلى الريف بعد اختفاء وتنقـل للمسـاهمة في عمليـات "الكفـاح" المسـلح" آنـذاك.. وبعـد ١٧ تمـوز (يوليو) ١٩٦٨ أعيد إلى وظيفتـه حيـث كـان قـد فُصـل منهـا بعـد ٨ شـباط (فبراير) ١٩٦٣، لكنه اضطر للهجـرة إلى خـارج العـراق إثـر تجـدد عمليـات الاعتقال والارهاب.

وفي العام ١٩٧٠ زار مظفـر النـواب بـراغ لبضعـة أيـام وخـلال وجـوده ضمتنا حفلة في مطعم "اوفليكو" (محل البيرة السوداء الذي احتسى فيه نابليون البيرة عندما احتل براغ في أوائل القرن التاسع عشر. والطريف ان الساعة الـتي تزين واجهة المطعم قد أوقفت عقاربها وظلت واقفة لحد الآن لتحمل توقيـت احتلال نابليون للعاصمة الجيكية وهو تاريخ مشـوب بـالمرارة) وألقـى النـواب

(٧٩) ألقيت هذه القصيدة بدعوة من المجمع الثقافي بيافا ونشرت في صحيفـة "الـرأي العـام" في ١٦ آذار (مارس) ١٩٤٥.

بعضاً من قصائده في جلسات خاصة وغنى ومعه الصديق الصحفي جعفر ياسين.

التقى مظفر النواب بالجواهري، في مقهى سلوفانسكي دوم الشهير الذي كان مقراً للجواهري، يرتاده كل يوم تقريباً. وهناك دارت الكؤس حيث تزدان براها "براغ" وكأنها "حلم العذراء في يقظتها" جامعة كل الفصول والجمال والحُسن والفتنة.

أعلى الحَسنِ ازدهاءً وقعت ... أم عليها الحسنُ زهواً وقعا؟

يا لصيف مُمتعٍ لو لم يكن ... غيره كان الفصولَ الأربعا

ممطر آناً.. وريان الضحى ... مُزهرِ آناً.. وذاوِ سَرِعا

ثم يصف الجواهري فاتنات براغ في قصيدة آهات بقوله:

مرَّتِ الأسرابُ تترى.. مقطعٌ ... من نشيد الصيف يتلو المَقطعا

وتفتحن على رأد الضُحى ... حُلماً أشهى، وصحواً أمتعا

وتقاسمن الصبّا مَيْعَتَه ... وشَذاهُ والهوى والمَتعا

وتخففنَ فما زدن على ... ما ارتدتْ "حواء" إلا إصبعا

رَحْمتا "لابن زُريقٍ" لو رأى ... فَلَكَ الأزرارِ ماذا إطلعا(٨٠)

في مقهى سلوفانسكي دوم علقت فاتنة من اللواتي يعشقهن الجواهري بالشاعر مظفر النواب، الذي كان وسيماً وما يزال رغم شيخوخته، وهنا انتبه الجواهري للحكاية، فسأل النواب.. بأية لغة تتكلم معها فأجابه النواب "بفرشاة الرسم" وبالمناسبة فالشاعر النواب إضافة إلى كونه شاعراً مجدداً من الطراز الأول وخصوصاً في القصيدة الشعبية العراقية، فإنه رسام وله اذن موسيقية وهو مُغن جميل. وفي يوم من الأيام اقتحم الجواهري خلوته، مداعباً

(٨٠) يقصد الجواهري ابن زريق الشاعر العباسي والإشارة الواردة هنا إلى البيت التالي:

استودع الله في بغداد لي قمراً ... بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

بملحته الشهيرة بعنوان "فاتنة ورسام" مهداة إلى محمد المصباح الذي عُرف في الحال "مظفر النواب" ونشرت القصيدة بعد حين وضمتها "العيون" أيضاً.

وقال "محمد المصباح" يوماً لفاتنة من الغيد الحسان
من "الجيك" السواحر لست تدري بهن المحصنات من الزواني

فقالت

غداة غد وفي المقهى الفلاني

فقال:

بمرسمي حيث استتمت من الرسم المعاني والمباني

فقالت

لا.. ومن أعطاك ذهنا وعلمك التفنن في البيان
أداة الرسم تحملها سلاحا على فخذيك مشحوذ السنان
ولكن كل ماتبغيه مني خفوتَ الضوء في ضنكِ المكان

والتقى الجواهري كما حدثني أيضاً، النواب مرة أخرى بعد سنوات طويلة، وكان ذلك في ليبيا أواخر الثمانينات، حيث زارها الجواهري، بعد دعوة وجهت له وإلحاح شديد خصوصاً بعد نظم قصيدته ياأمتي.. ياعصبة الأمم! لمناسبة العدوان الأمريكي ضد الجماهيرية الليبية التي ألقاها في قاعة المحاضرات الكبرى بمكتبة الأسد يوم ١٩٨٦/٤/١٦ وفي "اسبوع الثقافة العراقية". وقد نشرت لأول مرة في "العيون" وهي مؤلفة من ١٥ بيتاً. يقول فيها:

اني لأسألَ "قادة" آذنا يتخارسون بحجة الصمم
فيم الحياة ــ ترى ــ إذا عَرِيَت من أخذ ثار عن دم بدم؟
يتفرجون على مقابحَهم! إذ يدّعون محاسن الشيم
فلئن تعابثت الجيوش بهم فلديهم جيشٌ من الكلمِ

*** عبرة واعتبار:**

لقد هجر الجواهري زيّه التقليدي الأول، لكنه كان محافظاً على لغته وبناء قصيدته، الـتي تحمـل عبـق التـاريخ وزهـو الثقافـة العربيـة ـ الاسـلامية واتجـه الجواهري إلى اليسار فتحدث عن التجديد والثورة وتحرر المـرأة ونشـر التعليـم والعدل الاجتمـاعي، قبـل أن يكـون اليسـار قـد بـدأ خطواتـه الاولى أو لربمـا بالتوافق معها.

ومع انه عانى مـن التمييز الطـائفي إلا أن رد فعلـه لم يكـن طائفيـاً طيلـة حياته و لم تعرف الطائفية مكاناً إلى قلبه.

ظل الجواهـري متمـرداً، ومـع ذلـك ظلـت دواوينـه تمـلأ حتـى المكتبـات التقليدية المحافظة جداً، والتي لا تحمل سوى كتب الانســاب ومختـار الصحـاح وتاريخ الطبري ودواوين طرفة بن العبد والشعراء الجاهليين، مثلمـا تتصـدر في الوقت نفسه مكتبات حديثة وعصرية إلى جانب بوشكين وتشيخوف ورامبـو وروفائيل البرتي ولوركا ونيرودا وغيرهم.

ورغم تمرده ومحاولاته التصدي للموروثات الباليـة فقـد وجـد طريقـه إلى أكثر وأشد الناس محافظة وتقليدية، حيث لا تستغني أوساط كثيرة عن قـراءة قصيدة "آمنت بالحسين" المنقوشة فوق الضريح الطاهر.

ومـع انـه أحـد فحـول الشـعر العربـي الكلاسـيكي فـإن دعـاة "الحداثـة" وخصوصاً الحداثة الحقيقية، التي جاءت وليدة حاجة فعلية وليسـت مصطنعـة، كانوا يقـدّرون مكانتـه ويعـترفون لـه بالسـبق، بـل حتـى الداعـون إلى تفجـير الماضي والتنكر له بـأخضره ويابسـه، بمبدعيـه وجواريـه، بواحاتـه وصحاريـه، كانوا يصفقون له أيضاً، فأية حاجة تدفع بهؤلاء حيث يرفضون تاريخاً بأكله، ويقفون مع هذا الراكب مهرة امرىء القيـس والمرتـدي حلّـة المتنبـي والداعـي مثل أبي العلاء المعري، غير الشعر والإبداع والقدرة على التعبير عن حاجـات

واقعية وفعلية تتساوق مع التطور رغم انتمائه إلى الشعر الكلاسيكي، خصوصاً وانه ظل وفياً لموهبته عاملاً على صقلها وبلورتها.

ومع ان الجواهري كان مع ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ روحاً وإبداعاً لكنه كان مع فيصل الأول ورجاله، ولم يكن مع قاسم وحكمه بعد تبخر أحلام الثورة. وإذا كان مع قاسم ١٩٥٨، فمن الطبيعي أن لا يكون معه ١٩٦١. ومع انه كان عربياً صميمياً، فقد ملأت دواوينه مكتبات الأكراد أيضاً. وظل غطاء الرأس (الطاقية)، الذي يرتديه (العرقجين وهي كلمة فارسية دارجة في العامية العراقية) مطرزاً بكلمة كردستان، كما كان شعره عنوان التواصل والأخوة العربية ـ الكردية.

وفي كل مرة كنت أزور فيها الأستاذ جلال الطالباني، سواء في دمشق أو كردستان (منطقة نوكان بالقرب من الحدود العراقية ـ الايرانية في أعالي الجبال) أو في أربيل أو شقلاوة فيما بعد، كنت أرى دواوين الجواهري تزيّن صدر المكتبة العامرة وكذلك لشخصيات كردية كثيرة.

ومع انه قارب على المائة عام، إلا ان روح الشباب ظلت كامنة فيه، وهكذا ظل عنفوان الشباب يغالب شيخوخته.

نزق الشباب عبدته   وبرئت من حلم المشيب

وهو المنشد في جمع طلابي وشبابي:

أزف الموعد والوعد يعنّ   والغد الحلو لاهليه يحن

البديع المبدع أن يلحقكم   في مضامير الصبا عود مسن

وما زال لسان حاله يردد عشقه الأبدي للنساء واحتفاءه بهن في كل الأوقات، زينة المجلس التي لا يحلو السمر من دونهن

حييتهن بعيد هنه   من بيضهن وسود هنه

وحمـــدت شـــعري أن يـــرو   حَ قلائـــداً لعقـــود هنـــه[81]

ومع كونه عراقياً صميمياً ورائداً من رواد الوطنية الاولى، فهو في الوقـت نفسه شاعر العرب الأكبر، عربي العقـل والهـوى والمشـاعر، تتلقفـه العواصـم العربية وتفاخر به، غير آبهة بعراقيته المتميزة والمتحسسة.

الجواهري خارج قواعـد التصنيـف التقليديـة، الوطنيـة والقوميـة والدينيـة والمذهبية والمدينية والعشائرية والجهوية.. انه شاعر تجاوز زمانه ومكانه وتلـك ميزته الاولى وخطوته الواثقة في سلم المجد!

---

(81) انظر البيت الأول مـن قصيـدة "لبنـان يـاخمري وطيـبي" الـتي نظمهـا عـام ١٩٦١ تكريمـاً للشاعر الكبير بشارة الخوري (الأخطـل الصغـير). أمـا البيـت الثـاني فهـو مـن قصيـدة "أزف الموعد" التي ألقاها في مؤتمر اتحاد الطلبة العـام في ١٦ شـباط (فـبراير) ١٩٥٩ في قاعـة سـينما الخيام ببغداد. أما البيتان التاليان، فهمـا مـن قصيـدة "حييتهـن بعيدهـن" الـتي القاهـا في بـراغ بمناسبة يوم المرأة العالمي ٨ آذار (مارس) العام ١٩٦٢.

الفصل الرابـع

حوارات ولقاءات

* ولادة القصيدة وهبوط اللحظة الشعرية

* أبا فرات.. كيف تولد القصيدة لديك!؟

** بولادة القصيدة، أشعر إنني أولد من جديد. قد تكون ولادة عسيرة، ومع كل قصيدة أشعر انني أكتب الشعر لأول مرة. (أي وا لله) وأتعجب من ذلك، مثلما هو البطل المسرحي حين يواجه الجمهور. ففي كل مرة يشعر بالرهبة. وحين تكتمل القصيدة أشعر بالنشوة. وبالمناسبة فانني أغني وألحن القصيدة. كنت قد اعتدت على ذلك في النجف منذ البدايات. فحين كانت تداهمني القصيدة، أنزل إلى السرداب (القبو)، أحدو ثم أطرب وأدخل بعدها في ملكوت الشعر، في عالمه السحري وعندما يكتمل البناء متجملاً بالشكل أعود إلى نفسي وأضحك معها أحياناً.. أحقاً انني كنت هنا!!.

يخيل لي وأنا أرقص في باحة القصيدة ان شيئاً من الجنون قد مسّني أو ان نوعاً من الخبل قد اعتراني. إن شيئاً ما يحدث لا أعرف كنهه حين تنتابني

الحالة وأدخل مملكة الشعر. أحياناً تراودني حالة هيجان وصراخ حتى تهدأ روحي باكتمال الولادة. في بغداد كان جارنا السيد محمد نجيب الربيعي رئيس مجلس السيادة العراقي بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ يتعجب هو وأهله على الذي يجري في بيتنا أحياناً إذا ماصادف وداهمتني القصيدة. وعندما كانت شياطين الشعر أو ملائكة الفن تنزل علي فلا أريد لأحد أن يقطع سلسلة أفكاري وإلا أنفجر، أريد عالمي الخاص لا أريد لأي كان أن يشاركني فيه، حتى العائلة أدعوها لتذهب لأي مكان.

* لكن كيف تكوّنت شاعريتك؟! وكيف صُقلت؟

** الشاعرية تولد في الارحام مذ كنت جنيناً، كنت أسكن في حضرة الشعر. بيتٌ شعري كان يمسك بقيثارته أكثر من رمز وكاد الشعر يتملكني منذ الصغر ورغم ان العائلة كانت ترغب بأن أدرس الفقه، إلا ان الشعر تمكن مني. كنت حفظت دواوين كثير من الشعراء فقد كان برنامجي اليومي هو "حفظ الشعر". حفظت ديوان أبي العلاء المعري وكنت شديد الاعجاب بالبحتري وقرأت البيان والتبيين وكذلك كتب ابن المقفع وغيرها. ولم يكن عمري يزيد على ١٢ عاماً . كان شعوري مذ كنت طفلاً انني أحلّق في فضاءات أخرى وأطير إلى عوالم جديدة.

* أبا فرات... كيف تهبط عليك القصيدة؟ ثم كيف تظهر بعد ذلك!؟

** الأمر مختلف حسب المكان والزمان. لكن الاستلهام الذاتي مهم جداً، كما يفعل الرسام حين يستخدم الألوان ويطوّع الريشة. أو كما يفعل الروائي حين يصف المكان ويبني شخصياته وحبكته الدرامية... الأمر يلاحقني حتى يكاد يهبط علي بدون إرادة. فتراني أغنّي بحرقة وحرارة. وحين تأتيني إشارة (غامضة) أتفجر غضباً ويملأ المكان جنوني. ورغم أنني قريب من السياسيين، إلا انني لست سياسياً بالمعنى المألوف (الاحترافي)، فأنا لا أعرف التكتيك أو

"الدبلوماسية"، أقول قصيدتي وأمشي، وليكن مايكون. أتريدني أن اقول لـك يأتيني "الوحي"؟ لا أدري ماذا أسميه؟ فقد تفجرت "دجلة الخير" بملحميتها المعروفة، كلها في ليلة واحدة في براغ. تصور ليلة واحدة تفجر في داخلي ينبوع لا يرضى بالتوقف، حتى اكتملت... فماذا تسمي ذلك!؟

حَيّيتُ سفحَكِ عن بعدٍ فحيّيني ... يا دجلةَ الخير يا أمَّ البساتينِ

حييتُ سفحَكِ ضمآناً ألوذ به ... لوذ الحمائم بين الماء والطينِ

يادجلة الخير يانبعاً أفارقُهُ ... على الكراهة بين الحين والحينِ

انـي وردتُ عُيونَ الماءِ صافيةً ... نبعاً فنبعاً فما كانت لتروريني

* المتناقضات الاجتماعية، البيئة النجفية، التقاليد القاسية.. كيف انعكست عليك وأنت تتخطى الحواجز والمحرمات؟

** بالطبع فإن تلك القيود الثقيلة تركت تأثيراتها. لكنني استفدت من الخيال القرآني الذي يفرضه الوسط الديني، فهو يحضرني باستمرار ولا أستطيع الفكاك منه. فهو جميل ومغر في الوقت ذاته. "جنة تجري من تحتها الأنهار" تصورا، "الحور الحسان"، و"طور سنين وهذا البلد الأمين" والتين، والزيتون والعنب وما تشتهي، كان هذا هو الأفق الذي أصبو إليه، حتى إذا ماذهبت إلى ايران للاصطياف لأول مرة في العشرينات كانت الجبال الشاهقة تهزني. أما البيئة النجفية فكانت وراء قصائدي. فالحرمانات والتزمت ولّدت لدي مفهوماً إنسانياً نقيضاً ورغبة في التغيير، وهو مارافق قصائدي. ولابد هنا من الاشارة إلى الفسيفساء الحضاري والثقافي لمدينة النجف، بحكم الاختلاط لأقوام وشعوب وآداب متنوعة.

* ابا فرات.. هل تكون مأزوماً حين تأتيك اللحظة الشعرية؟

** التأزم خاصية الشاعر، خصوصاً المبدع، المتميز. خذ مثلاً دعبل الخزاعي، ابن الرومي، المتنبي، الرصافي. أشعر إن في داخلي غضباً خلاقاً،

نتيجة تأزم عارم وجارف ومضيء. حتى في الغزل تكاد تتلمس حرارتي. وأنا أقول قصيدة غزل، فتراني عاشقاً مولهاً بكل معنى الكلمة.

*** التناقض وسمة التحدي!**

* أعود إلى التناقض، فهل هي سمة ملازمة للجواهري؟ فمن قصائد الاقتحام الثورية إلى قصائد المديح، أم أن "حب الحياة بحب الموت يغريني" على حد قولك.. كيف تجعل حب الحياة متلازماً بحب الموت!؟ هل هو ديالكتيك الطبيعة، كما نسميه أم ماذا؟

** أنا ابن المتناقضات والتعارضات على كل المستويات. وأرغب في أن يقرأني الناس، ويعرفوني بذلك. لانني ولدت في بيئة متناقضة، ولذلك ترى الصعود والنزول وهي حالة إنسانية، ولكنني رغم ذلك لم أكتب يوماً بهدف الانتفاع، أو المديح لغرض الحصول على الكسب، ولو فعلت ذلك لكنت اعترفت به صراحة دون وجل أو خوف من أحد.

إذا كان "الجواهري" يُعرف بالشاعر الناري، الثوري، الاقتحامي، المتوثب، فأنا قمت بكتابة سبع قصائد بحق الملك فيصل الأول. وفعلت ذلك بإرادتي ودون رغبة في الحصول على طمع أو جاه أو مال. أنا قمت بذلك، لأنني كنت أعتقد بذلك وشعرت إنني أوفي ديناً في عنقي، خصوصاً وانه وقف معي، ضد النعرات العصبية والطائفية، التي حاولت النيل مني ومن انتمائي الوطني. ولهذا رداً للجميل، قلت ماقلت في الملك الجليل، انتصاراً للحق بعد حادثة ساطع الحصري الشهيرة. وهذا الشعور الذي صاحبني كان إحساساً بالجميل وعمل الخير.

وفي الوقت نفسه ضقت ذرعاً بالبلاط الملكي، الذي لم يسعني وتركت النيابة وفرّطت بالوزارة، التي كانت الاشارات تأتيني لدخولها كمرحلة لاحقة، فقد قررت الوقوف في صف الناس مرة واحدة وإلى الأبد. وقررت أن أكون

شاعراً لا وزيراً أو حتى رئيساً للـوزراء. وكـان بعـض مـن لبـس العمامـة قـد وصل إلى الوزارة، في حين انني نزعت العمامة بقناعة ورفضت عوامل الرخـاء والاغراء والسلطة والابهة والمنافع واخترت أن أكون محمد مهدي الجواهـري. اخترت الشعر وكسبت نفسي والعالم، وهكذا سار شلال حياتي.

كان الخروج من الدائرة الصعبة (البلاط) يسبب احراجاً لي. كان بقـائي، يعني اندثاري. وفي خروجي وجدت عوالم فسـيحة، ضاجـة بالحيـاة والحركـة والتناقض أيضاً

عجيـــــبٌ أمــــرك الرجـــــرا ج لا جنفــــــاً ولا صـــــــددا
تضيـــــقُ بعيشـــــة رغــــــد وتهـــوى العيشـــــة الرغــــدا
ولا تقــــــــوى مصــــــــامدة وتعبُـــدُ.. كـــل مـــن صمـــدا

أليس عجيباً هذا التناقض. دخلت المجلس النيابي وأنا بعمر ٢٩ سنة (قبـل السن القـانوني) وتعرضـت خـلال حيـاتي لحمـلات شـتم لاذع، دنـاءات وأراجيف، لكن ذلك ديدني في الحياة، حيث كنت متحدّياً، معتداً بنفسي:

أزح عـــن صـــــدرِكَ الزَّبــــدا ودعـــــهُ يبـــــث مـــــاوجدا

إلى أن أقول:

أأنـــت تخـــاف مـــن أحــــد أأنـــت مصـــــانعٌ أحـــــدا
أتخشـــى النـــاس أشــــجعهمْ يخـــــافك مغضبــــاً حَـــردا
ولا يعلـــــوك خـــــــيرهمُ ولســـتَ بخـــــيرهم أبـــــداَ

* تعرض الجواهـري خـلال حياتـه إلى حملتـين كـبيرتين حسـب الكـاتب حسن العلوي الاولى ترافقت مع الأيام الاولى لبدء تدفق النفط للتصدير في بئر باباكركر (كركوك) ١٩٢٧ حين كان شاباً، متمرداً، اسـتهدفوا نـزع هويتـه الوطنية والقومية، والثانية بعد ثورة ١٤ تمـوز ١٩٥٨، حـين اعتـبر في مقدمـة معسكر اليسار العراقي، لكن التحدي كان ملازماً لأبي فرات؟ هل انك تفكر

في اختيار خصومك؟ وكيف تحدد المعركة؟ وماهي شروطها؟ أم ان المعركة كانت تُفرض عليك!؟

** أنا أعيش في صميم الاحداث. أتأثر بها وأؤثر فيها. فأنا من الناس. وما كانوا يتأثرون به، أتفاعل معهم، وأحاول أن أعبر عن تأثرهم بطريقتين. عندما حدثت وثبة كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨، ضد معاهدة بورتسموث، ووقعت معركة الجسر الشهيرة، وسقط أخي جعفر، الذي استشهد كنت أجد نفسي بعد سبعة أيام، وفي جامع الحيدر خانه (١٤ شباط/ فبراير) اقرأ:

أتعلم أم أنت لا تعلمُ — بأن جراح الضحايا فمُ
فمٌ ليس كالمدعي قولةً — وليس كآخر يسترحم
يصيحُ على الموقعين الجياع — أريقوا دماءكُم تَطعموا
ويهتفُ بالنفر المهطعين — أهينوا لئامكم تَكرموا

الفترة التي سبقت ثورة ١٤ تموز كانت حامية، حيث فُرضت الأحكام العرفية وأعدم بعض القيادات اليسارية لأول مرة (فهد وصحبه) وتم تأسيس الحلف التركي ـ الباكستاني ومركزه بغداد، والذي عرف باسم "حلف بغداد" بدعم من الغرب. كان التوتر والمواجهة ملازمة لتلك الفترة. وأشهد با لله، أن بعض الهوامش كانت غير قليلة قياساً للعهود التي تلت ذلك.

قصيدة هاشم الوتري "ايه عميد الدار" في حزيران (يونيو) ١٩٤٩ أثارت ضجة كبرى ولها قصة خاصة، فقد ألقيت بمناسبة انتخاب الدكتور هاشم الوتري (وهو عميد الكلية الطبية العراقية) عضواً للشرف في الجمعية الطبية البريطانية. وكان الجو السياسي محتدماً وجاءتني الدعوة للمشاركة، لكنني تظاهرت بعدم القبول، ولكنني كنت أرقص وراء التلفون وكنت أقول جاءت "ياهله بيهه"، فقد كنت قد عزمت على المواجهة. وعلى سطح الدار كنت منبطحاً، وأحدو، كما هي عادتي، وعندما وصلت المورد الذي يبدأ بـ"ايه

عميد الدار شكوى صاحب ..... طفحت لواعجه، فناجى صاحبا" حتى هتفت زوجتي "أم نجاح" (عوافي أبو فرات.. أُكلْه) باللهجة العراقية.أي تلقّاها. ليكن مايكون وأنت تدخل المعركة وتقبل التحدي. حتى أقول:

حشدوا عليّ المغريات مسيلة ... صغراً لعابُ الأرذلينَ رغائبا
بالكأس يقرعها نديمٌ مائلاً ... بالوعد منها الحافتين وقاطبا
وبتلكم الخلوات تَمسخ عندها ... تَلَعُ الرقاب من الضباء ثعالبا
وبأن أروح ضحىً "وزيراً" مثلما ... أصبحتُ عن أمر بليل "نائبا"
ظناً بأن يدي تَمَدُّ لتشتري ... سقط المتاع، وأن ابيع مواهبا

أو قصيدتي في القاهرة عام ١٩٥١:

"خلي الدم الغالي يسيل ... إن المَسيل هو القتيلُ
هذا الدمُ المطلولُ يخـ ... ـتصر الطريقُ به الطويلُ"

أو قصيدتي في مؤتمر المحامين العرب، الذي انعقد في بغداد في العام ذاته، والتي أثارت ردود فعل حادة من جانب الحكومة العراقية، حيث أقامت الدعوى على مدير الصحيفة المسؤول المحامي عبد الرزاق الشيخلي، كما أقامتها علي، لكنه تم الافراج عنا. ومنها:

سلامٌ على جاعلينَ الحتو ... فَ جسراً إلى الموكب العابرِ
سلامٌ على مُثقَل بالحديد ... ويشمخ كالقائدِ الظافرِ
كأن القيودَ على معصميه ... مفاتيحُ مستقبلٍ زاهرِ

أو القصيدة التي ألقيتها في دمشق بمناسبة الاحتفال التأبيني للشهيد عدنان المالكي عام ١٩٥٦، واضطررت بعدها إلى البقاء في دمشق، لما أثارته من إشكالات والتي أقول فيها:

خلفتُ غاشية الخنوع ورائي ... وأتيتُ أقبسُ جمرة الشهداءِ

إلى أن أقول:

أضحيـة الحلـف الهجـين بشـارة لـكَ في تكشـفِ سـوءة الهَجنـاء
إسطورة "الأحلاف" سوف يمجّها التا ريـخ مثـل خرافـة "الحلفـاء"

أعود إلى سؤالك، هـذه العنـاصر كلهـا ميـدان للتحـدي. ولكـل قصيـدة ظروفها ونشأتها. لكنني أنا بطبعي حاد ومتأزم ومتوتر كمـا أخـبرتك، وكمـا تعرفني، وهو ماينعكس على حالتي لرد الفعل. أحياناً يلتقي توتـري الشـخصي مع التوتر السياسي، فـتراني أهلـل في داخلـي، اقـول قصيدتـي وليأتِ بعدهـا الطوفان. ورغـم الإساءات ومحـاولات النيـل مـني، فأنـا القـائل عـن نفسـي أو مخاطباً نفسي، متحدياً:

تسـامي فـانك خـير النفـوس إذا قيـس كـل علـى مـانطوى
وأحسـن مـافيك ان الضمـير يصيـح مـن القلـب: انـي هنـا!

أنا أبدأ المعركة، أفرضهـا عليهـم، ومـن لا يسـتحق أن يكـون خصمـاً لي أهمله، ماذا تريد أن تقول إنني مغرور، متعال.. نعم فأنـا ارفـض أن أنـزل إلى ساحة معركة لا يتمتع بها الخصم أو العدو، بالمؤهلات، التي تجعله خصمـاً أو عدواً لي. وبحضـور كبـار مسؤولي الدولـة في حفـل تكريـم الدكتـور هاشـم الوتري قلت واصابعي تؤشر إلى المقاعد الأمامية:

أنـا حتفهـم ألجُ البيـوتَ عليهـمَ أغـري الوليـدَ بشـتمهمْ والحاجبـا
خسـئوا: فلـم تـزلِ الرجولـةَ حُـرةَ تـأبى لهـا غـير الأمـاثلِ خاطبـا
والأمثلـون هـمُ السّـوادُ: فديتهـمْ بـالأرذلين مـن الشُـراةِ مناصبـا
بمملكـين الاجنـبي نفوسَـهُمْ ومصعديـنَ علـى الجمـوعِ مناكبـا

وكانت إيذاناً لمعركة كبرى، خصوصاً واني كنـت أشـعر بأزمـة نفسـية، فالتقطت الأزمة السياسية، لكي أعبّر عن الأزمتين.

* هل لي ياشاعرنا الكبـير أن اسـأل عـن الأزمـة النفسـية؟ هـل يمكـن أن توضح؟

** كنت قد وصلت إلى حافة الفقر الحقيقي. و لم أكن أجد مايسدّ الرمق مع العائلة. وكنا نستدين، لنأكل، بسبب الحصار، الذي فرضه الحكام عليّ، بسبب مواقفي، فقررت أن ارفع صوتي، لأقرعهم ولأدعو للاجهاز عليهم، والثورة ضدهم. ولا أخفيك سراً إذا قلت لك ان زوجتي "أم نجاح" قالت ربما مسّه شيء من الجنون، وهي تعرف انني قررت الاقتحام. وكنت قد حضّرت نفسي للاعتقال بعد إلقاء تلك القصيدة. ولكنني عندما وصلت استقبلني حاكم التحقيق، وهنا كانت الدهشة، أو المفاجأة، عندما أخبرني، انه معجب بشعري. ليس هذا فحسب، بل انه يحفظ بعض أشعاري. وهنا فتح أدراج مكتبه، وأطلعني على بعض القصائد المحفوظة في ملف خاص، كان قد تم "كبسها" اي وضع اليد عليها، عند مداهمة بيوت الشيوعيين واليساريين، باعتبارها أحد المستمسكات الجرمية. وأتذكر قصيدة "عالم الغد" التي كانوا يتغنون بها، كانت ضمن الملف.

ورغم الضجة التي عملتها قصيدة هاشم الوتري "ايه عميد الدار"، فقد استبقوني في التوقيف "فقط" وذلك من باب "الاحتراز" وبكل احترام وأدب. وأقولها الآن ان وزراء ذلك الزمان وساسته، لم يكونوا من النوع الذي يستمرىء كتابة التقارير أو الظهور بمظهر القبح، الذي نصادفه هذه الأيام، ويكاد يكون إحد المشاهد المفتعلة أو الملفقة، ولكنها المأساوية. واقولها الآن، رغم انني ناصبت الحكام العداء، الا ان الوحيد، الذي تجرأ على وضع القيد في يدي كان "الزعيم" عبد الكريم قاسم.

* قبل أن اسأل عن المماحكة مع عبد الكريم قاسم، هل حدث مايشبه الفجوة أو الفراغ في موقفك خلال قصيدة "التتويج" أيار ١٩٥٣ لنقل بوضوح أكثر، انها خارج السياق، وهو ماحاول الخصوم النفاذ منه. هل لك أن تبين ملابسات الموقف للقراء!؟

** قلت لك، انني تركت "المناصب" واخترت الشعر ومعه الصحافة. وفي كل ماقلت وما كتبت لم أغتصب ضميري، ولم أشعر انني أقول عكس قناعاتي. مع ان هذه القناعات تتغير بالطبع، أستثني من ذلك مرة واحدة، فقد "اغتصبت ضميري" بكتابة قصيدة مدح عند تتويج الملك فيصل الثاني، لكنني بعد أيام عدت فكتبت قصيدة "كفّارة وندم" وهي ملحمة شعرية ذاتية، وكأنني أريد أن اعلن براءتي، بعد مراجعة قاسية للنفس في الخمسينات.

ستبقى - ويَفنى نيزكٌ وشهابُ ــ عروقٌ أبيّات الدّماء غضابُ

وبعد نحو عام كتبت:

خبت للشعر أنفاسُ أم اشتط بك اليأسُ

كهذا كان خياري مع الناس، ضد الحاكمين ولم اشأ أن تؤثر تلك الكبوة على مساري المعروف وبجرأة وشجاعة واجهت الموقف.

* ولكنك ياأبا فرات، عدت وكتبت قصيدة لابن البكر (الرئيس العراقي السابق) محمد. وكذلك كتبت قصيدة للبكر وصدام. بم تفسر ذلك؟ وكيف تبرر مايذهب إليه الخصوم؟

** الجماعة كرّموني في حينها، وعوملت بشكل خاص. وقد كتبت بدافع "الوحدة الوطنية" والتئام الشمل، بل ان ظروف المرحلة والواقع السياسي، كان يفرض بعض التوجهات. ولم أكن في حينها خارج مزاجي وطموحي. أما حول الشاب "محمد" نجل الرئيس البكر، فقد قتل في حادث سيارة. وقد ربطتني به علاقة خاصة، ولم أقل كلمة واحدة يشمّ منها رائحة التملق وكتبت رثائية له عام ١٩٧٨.

تعجل بشّر طلعتك الافولُ وغال شبابك الموعود غولُ

*هجائيـــات

* هجائيات الجواهري نارية، كما هو في حبه أيضاً، هل تعطينا أبا فـرات صورة عن تلك الهجومات ضد تهجمات الأعداء والخصوم..؟

** أعتقـد ان القصـائد ذاتهـا تعطـي هـذه الصـورة. ففـي قصيـدة هاشـم الوتري، رأيت كيف اضع الخصوم في زاوية، وأوجـه السـهام عليهـم. وكـان أقطاب الحكم قد أُخذوا أخذ الذين كفـروا. وقـد مضيـت في إلقـاء القصيـدة حتى النهاية. أما لو كنا في هذه الأيام، فقد يكون مـن البيتـين الأولـين، يُـنزل الشاعر أو الخطيـب وقـد يغيـب. بعـد أن أكملـت القصيـدة، مزقـت أوراقـي ورميتها. وغادرت وإذا بي في معتقلي، في مديرية التحقيقـات الجنائيـة، أفاجـأ بوفد من الشباب المتنور ومعه "قصاصات من القصيـدة الممزقـة، مجموعـة مـن حديقة المسبح الذي شهد الاحتفال".

خذ قصيدة "كما يستكلب الذيبُ" بعـد أن أغـرى فريـق مـن الحـاكمين بعض طلاب المجد الكاذب مـن المـأجورين والحاسـدين لشـتمي فكتبـت هـذه القصيدة، التي أقول فيها:

عـدا علـيّ كمـا يسـتكلبُ الذيـبُ ... خلـقٌ ببغـدادَ أنمـاطٌ أعـاجيب

وبعد هذا المطلع أقول:

تسـعون كلبـاً عـوى خلفـي وفوقهـم ... ضـوء مـن القمـر المنبـوح مسـكوبُ

وقبل ألفٍ عوى ألفٌ فمـا انتقصـتْ ... "أبـا محسّـد" بالشـتم الاعـاريب

أو كما قلت في قصيدة ياابن الثمانين:

يا "ابن الثمانين" كم عولجت مـن غصَص ... بالمغريـات فلـم تشـرق، ولم تمِـل

كـم هـزّ دوحـك مـن "قـزم" يطاولـهُ ... فلـم ينلـه، ولم تقصـر، ولم يَطـل

وكـم سـعت "إمّعـاتٌ" أن يكـون لهـا ... ماثار حولـك مـن لغـو، ومـن جَـدل

ثَبتْ جَنانك للبلوى، فقد نصبت   لك الكمائنُ من غدرٍ، ومن خَتَلِ

* جنرال وشاعر:

* أبو فرات، نعود إلى العلاقة مع "الزعيم" عبد الكريم قاسم وقصة المنفى!

** من أكثر القضايا إثارة، هو علاقة شاعر بجنرال قائد ثورة أو انقلاب. تعرفت على عبد الكريم قاسم في لندن. وقد رافقني إلى طبيب الأسنان، لمعالجة أسناني، عندما كان هو في دورة عسكرية. والتقيته في السفارة العراقية آنذاك. ومرت الأيام وسمعت بنبأ "الثورة" وإذا بي أفاجأ بصورة رجل كنت قد نسيت ملامحه، فإذا به "الزعيم" الذي أطلق عليه "الأوحد" فيما بعد، وركبه الغرور حد التعسف.

يمكن أن تتعجب إذا قلت لك ان "الزعيم" كان كثير التهيب في علاقته مع الأدباء وكان أول بيت زاره في العراق، بعد الثورة، هو بيتي وقد تكررت الزيارات. وعندما بدأت الأمور تسوء وبدأ يركب رأسه وينفرد بكل شيء كتبت مقالة في الصحيفة التي كنت أصدرها "الرأي العام" بعنوان: ماذا يجري في الميمونة؟ والميمونة قرية في جنوب العراق تعرضت لهجوم بوليسي، انتهكت فيه الأعراض. وصادف أن قابلنا الزعيم عبد الكريم قاسم في وزارة الدفاع، باسم الهيئة الادارية لاتحاد الأدباء وكان يحضر معي السيد الحبوبي، والدكتور صلاح خالص والفنان يوسف العاني والدكتور المخزومي والدكتور علي جواد الطاهر. وإذا بالزعيم يخاطبني "... استاذ الجواهري: ماذا يجري في الميمونة؟..." وقد كنت أخشى مثل هذه المواجهة لأنني كنت أتحاشاها، ولم أحدد المعركة بعد. فأجبت بأدب وقلت له "سيدي الزعيم أنا لا أستطيع أن أدافع عن نفسي كثيراً في هذا الموضوع". أسألك فقط سؤالاً واحداً، هنّ بناتك وأظنهن جئن إليك وعرضن ماتعرضن له..." بمعنى انني لم أكتب ذلك

عبثاً. وقد أحرج "الزعيـم" فهـو لا يستطيع أن يقـول لي نعـم ولا يرغـب أن يقول لي: لا. وأخذ يتهـرب. والغلطـة الكـبرى الـتي ارتكبتهـا حـين قلـت لـه "أثورة وبشرطة نوري السعيد؟" فخرج عن حلمه لأول مـرة. وبـدون تفكـير منه حسبما أظن قال لي: أنت من بقايا نـوري السـعيد! كـان يفـترض بـي أن اقول له، أنا فلان، أول من كنت تحاول مصاحبته في لندن، وأول من زرته في البيت، وقد كنت آنذاك أنا الغالب في هذه المعركة، لكنني لم أقل له ذلك، بل قلت له هل تـأذن لي بـالخروج ياسيادة الزعيـم؟ وأردفـت بـالقول بمـا نصّـه: "أتحداك وأمام الجالسين... أتحـداك وأشـرت لـه بـاصبعي.. نعـم أتحـداك مـرة أخرى..." وأعتقد انني أرفقتها بيا سيادة الزعيم عبد الكريم.

* وهل كانت هذه الحادثة، هي السبب في مغادرة العراق.. إلى المنفى؟

** رب ضارة نافعة، مثلما يقولون. رحم الله عبد الكريم قاسـم، فلـو لم تكـن لـه معنـا هـذه القصـة، فقـد كنـا قبعنـا في العـراق، والله العـالم ماكـان سيحدث لنا في السنوات السوداء. لكنه اضطرنا إلى "التشـرد" عـن الوطـن في خريف ١٩٦١، وربما للتشرد الموعود وهي حسنة وربما كفّارة عن كل مافعله معنا، قبل التشرد أنا وزوجتي "أم نجاح" وبنتينا خيال وظـلال. وكنـت بحكـم علاقاتي مع اتحادات الأدباء، ونقابات الصحفيـين في الـدول الاشـتراكية فقـد أمّنت مقاعد دراسية لأبنائي في صوفيا وموسكو وبـاكو وبـراغ، جزاهـم الله ألف خير. وكهذا كان مصير فرات وفـلاح ونجـاح وكفـاح. رحـم الله عبـد الكريم قاسم، حـين رمانـا خلـف الحـدود وكأننـا "بُـردٌ إلى الأمصـار عجلـى ترزم".

* زمهرير الغربة أم فردوس الحرية

* إذا كان قاسم زعيم السلطة السياسية، فأنت زعيـم السـلطة الثقافيـة في العراق، على حد تعبـير حسـن العلـوي. رئيـس اتحـاد الأدبـاء ورئيسـاً لنقابـة

الصحفيين وشاعر العرب الأكبر كما تكنّى! كيف عشت خلف الحدود؟ ماذا كان هناك؟ زمهرير الغربة أم فردوس الحرية؟

** الاثنان معاً.. كان هناك الفردوس المفقود والموعود معاً. كانت براغ الذهبية، مدينة الابراج والجمال. صحيح اننا دفعنا أثماناً باهظة من كراماتنا المهانة، ومن شماتة الشامتين، وتشفّي المتشفين، ولكننا مع جفاف الغربة، كسبنا حريتنا وحلاوة الحياة!

* وهل تفكر بجسد المرأة عند كتابة القصيدة؟

** في براغ كتبت قطعة شعرية أسميتها زوربا، وهي مستوحاة من رواية "زوربا". كان ذلك عام ١٩٦٩. ومما قلته:

وارتمت من شفق دامٍ
على الأرض جراحُ...
وجراحْ
وتهاوت فوقه..
من مِزَق الغيم...
صبيّاتٌ ملاحْ

إن الذي أطمح إليه تحت السطح، هو الأعمق والأغزر والأبهى.. انه النشوة الروحية، وهي حالة الحب، التي تسكن الروح والعقل. ولقاء العقل والروح والجسد، يعطي ملمحاً آخر للنشوة والسعادة والحب. وإذا كان زوربا، يحب الحياة، ويريد الاستمتاع بكل دقيقة فيها، فأنا اريد أن اتنفس بملء رئتيّ كل لحظة وليس كل دقيقة. أريدها لحظة جنونية بكل محتوياتها. والمرأة عندي صورة الفرح الذي يتذهب مثل وهج الشمس. كنت كهذا وقد أعطتنا براغ الكثير وقلت فيها:

أطالتِ الشوطَ من عُمُري — أطالَ اللهُ من عُمرك

ولا بُلِغـــــتُ بالشـــــرِّ ولا بالســـوء مـــن خـــبرك

* معشوقات الجواهري:

* هل لنا أن نتحدث عـن نسـاء الجواهـري! معشـوقاته.. أنيتـا الباريسـية وبارينا البوهيمية وماروشكا التشيكية!؟، هل ندخل الخصوصيات أبا فرات؟

** أنت ترمي شباكك وتستنطقني، بالطبع بما أحبه. فأنيتا من بنات السين من باريس لها عينان زرقاوان، كزرقة السـماء أو البحـر، في وجهها شـحوب خفيـف وعندمـا كـانت تحتسي كـأس الكونيـاك، كـانت خدودهـا تتـورد! استهوتني وأنا جالس في مقهى. فأخبرني أحد الطلاب العرب، بأنهـا كـانت تتابعني، وانها سمعت عني الكثير، وهي معجبة. وكانت نظرتي تنم عن ارتيـاح لا يخفيه شيء. لقد ابدت رغبة في التعرف بـي. وصاحبتهـا مـدة مـن الزمـن. وكانت هي سبباً في محاولتي تعلّم الفرنسية. وكـان ذلـك مدخـلاً لمـا سـيأتي. وصـل حـبي معهـا إلى الجنـون. وكـانت هـذه المـرأة غريبـة الأطـوار وتحمـل المتناقضات.. ليست تماثلني في المتناقضات، بل في الاختلاف والتكـامل، الـذي يصل حد الشذوذ والغرابة. كانت امرأة كورسيكية (من مقاطعـة بـين إيطاليـا وفرنسا) فيها بعض العادات القديمـة. كـانت صادقـة، وكعـادة الاوروبيـين في ذلك الزمان، تحاول الايحـاء، فـإذا لم تسـتطع تلبيـة الموعـد أو الطلـب، تقـول "ربمـا" وعليـك أن تفهـم، انهـا لا ترغـب في الكـذب. كنـا نتفـاهم ببعـض الكلمات الفرنسية، إضافة إلى الانكليزية، التي كان إلمامها بها مثل إلمامي وهو ماساعدنا على الانطلاق، ومحاولة إفهام كل طرف للطرف الآخر. واستمرت العلاقة ثم انقطعت وتواصلت. ورغم انني كنت من جـانبي مستمراً في حـبي، إلا انها بدأت تخفت تدريجياً. وعندهـا عرفـت أن النسـخة الأصليـة ضـاعت وبمعنى عليك البحث عن بدل ضائع!

* هل كتبت فيها شعراً؟ وهل إن قصيدة أنيتا هي لها؟

** نعم كانت ملحمة آنيتا

انـي وجـدت "انيـتَ" لاحَ يهُزنـــي طيــفٌ لوجهــك رائــع القســمات

ألق "الجبين" أكاد أمسـح سـطحه! بفمـــي، وأنشِـق عطــره بشـــذاتي

إلى أن أقول:

حسـبي وحسـبك شـقوةَ وعبـادةَ أن ليـس تفـرغَ منـك كـأسُ حيـاتي

* وبالمناسبة فقد نشـر شـاعرنا الجواهـري هـذه القصيـدة الـتي كتبـت في أواخر عام ١٩٤٨ وأوائل عـام ١٩٤٩ بالمقدمـة التاليـة "كـان حبـاً عارمـاً لا يريد - ولا يقدر لو أراد - ان يقف عند حد. وكان كأنه يتفجر عـن "ينبـوع" خفي ثجّاج.. وكان سر الخفاء في هذا الينبوع.. رغبات! وآلام! ومطـامح!.. ظلت طوال ثلاثين عاماً، هي عصارة العمر الزاحف! يسحق بعضها بعضاً..!. حتى لو وجد هذا الينبوع المختنق منفذاً بديلاً عنه لمـا اختلـف الأمـر بكثـير!. لقد كان هذا الحب من "الفورة" و"السورة" بدرجة أن صاحبه كـان لا يـرى في ملامح المرأة التي أحب إلا مايراه العازف المتجرد في أنغام قيثارته مـن أنهـا طريق للتعبير وشعار للانطـلاق.. علـى هـذا الضـوء تلتقـط الصـورة الصادقـة لقصيدة ... أنيتا".

ابا فرات هل هذه هي القصيدة الاولى؟ أم تبعتها قصائد أخرى؟

** نشرت قصيدة شهرزاد، وهو مرقـص باريسـي مسـتوحى مـن الخيـال الشرقي وحكايات "ألف ليلة وليلة". وأقول فيها بخصوص أنيتا:

ان وجه الدجى "أنيتا" تجلى

عن صباح من مُقلتيك أطّلا

أما المقطوعة الثانية مـن قصيـدة انيتـا "ذكريـات" فقـد نظمـت بعـد فـترة القطيعة واقول فيها:

لا تمـرّي "أنيــتُ" طيفــاً ببــالي مــالِطيفٍ يســمٌ لحمـــي ومــالي؟

وكانت المقطوعة الثالثة بعنوان "فراق". وحملت المقطوعة الرابعة اسم "وداع" وقد كتبتها في باريس في ١٣ شباط (فبراير) ١٩٤٩.

"أنيتُ" نزلنا بوادي السباعْ بواد يذيب حديد الصراع
يُعيِّرُ فيه الجبانُ الشُجاع "أنيت" لقد حان يوم الوداع

* ابا فرات، ومن كان بدرجة حب "أنيتا".. هل كانت بارينا أم ماريا "ماروشكا" اسم الدلع والتحبب.!؟

** كانت بارينا.. لها عالم خاص، ساحر ومثير. عشقتها فترة تقارب الثلاث سنوات. كانت "بنت عجيبة مثل أسطورة. وجه مضيء وجسد افعواني رغم الأحزان".. أقرب إلى الخيال.. تجعلك تصدق ماتقرأه في الأساطير. كان إحساسي نحوها، انني أمام شيء مختلف من النساء، تعارفنا في براغ، وهي بوهيمية، وأقرب إلى الحياة البوهيمية (التي تقول ان غرفة كان يتقاسمها عدة أشخاص يعيشون فيها، يأكلون ويجوعون ويحبون بطريقتهم الخاصة).

والدة بارينا، كانت يابانية وجدّتها على ماأعتقد انكليزية، من اصل ياباني، ولم أكن أعرف عن والدها أي شيء.. لم تحدثني عنه. ومن خلال الأحاديث المتأخرة عرفت انه قضى نحبه، اما منتحراً أو مقتولاً، بظروف غامضة. وصادف أن تعرفت عليه قبل يومين من انتحاره أو موته. عند موته ذهبت لتقديم العزاء إلى بارينا، واكتشفت ان الشقة ممتلئة بالتحف الصينية والساعات الذهبية. وقلت مع نفسي كيف احتفظ الرجل بما لديه مع علمي بانه مات معوزاً! وفهمت من بارينا انه لم يمس هذه الأشياء لانها من أم بارينا، حفاظاً على ذكراها. لكن بارينا بددت ذلك بسرعة على حياتها البوهيمية، وعلى أصحابها، دون ندم أو أي أسف.

شعرت فيما بعد ان بارينا، تبددت، طارت، تلاشت.. لا أدري إلى أين؟

* هل عوضت ماريا "ماروشكا" مكان بارينا؟

** كانت "ماريا" شيئاً كهربائياً اجتذبتني نحوها، من أول نظرة، كما يقولون. كنا "أسرى" الحب. جاءت مع صاحبتها، التي ربطتني بها علاقة حب عابرة. وفجأة بعد أن دخلت إلى الشقة، أخذتها بالأحضان، حتى ان المسكينة، التي جاءت لتعرفها بي، وكانت قد تأخرت لدفع أجرة التاكسي، فوجئت بحالة الانسجام التي بيننا. فقد رأت ماروشكا وكأنها حمامة تعود إلى عشها، ويزقزق معها، ذلك الطائر الشريد، الذي ظل يغني حتى عادت معشوقته!

* ماذا فعلت الأولى؟

** اكتفت بنظرة حزن وربما سقطت دمعة هادئة، لكنها حارة، على خدها. لا أدري الآن، كيف أُخذت، رغم ان علاقتي مع صديقة ماروشكا كانت بسيطة.. لكنها أصيبت بالدهشة، حين رأت هذا الغرام والانسجام. صحيح انها لم تكن مثالية، لكنها أخذت على حين غرّة، كما يقال.

عندما تعرفت على ماروشكا، لم تكن تتصور هي ومن معها، انني اكتشفت الآن النموذج، "الموديل"، الذي كنت أبحث عنه لسنوات طويلة. كانت تتصور نزوة شاعر. أو هكذا تصور البعض. ماروشكا إنسان مختلف. فهي لا تشبه بارينا وليست مثل أنيتا. هي ببساطة امرأة طبيعية، غير متكلفة، حلوة المعشر، وديعة ودافئة، فيها الكثير من مزاج الشباب وحماسته وعنفوانه ومرحه. ومع ذلك لم تكن صريحة دائماً. كانت مراوغة. انها عالم مختلف. تضحك حين تراوغ وتندم، ثم تمطرك بحب لا مثيل له وتعود وتكرر المراوغة.

* هل كانت قصيدة لّمي لهاتيك لمّا، لها، فهي توحي بالفترة الذهبية لماروشكا؟

** نعم، فقد نظمت هذه القصيدة في براغ، عام ١٩٧٢. ونشرت في عام ١٩٧٣.

لَمّـــي لهـــاتيك لَمّـــا   وقربـــي الشّـــفتين

لَمّـــا علـــى جمرتـــين   بـــالموت ملمومتـــين

يـــاحلوة المشـــربين   مـــن أيـــن كـــان.. وأيـــن

مـــن صنـــعِ كـــذبٍ ومَيْـــنِ   سمّوْهُـــا زهرتـــين

* هذه القصائد تذكر، بقصائد "جرّبيـني" و"النزغة" عندما كنت لا تزال في البلاط الملكي. هل يمكن أن تحدثنا عن ذلك، خصوصاً وانها شكلت عاصفة من الانتقادات والاحراجات لك لدى الملك فيصل الأول، وكانت بحق جرأة لا مثيل لها وعنصر تحدٍّ لا نظير له!؟

** قبل قصيدة "جربيني" كانت قصيدة "الرجعيون" التي كتبتها بعد معارضة بعض علماء الدين لفتح مدرسة للبنات في النجف، بدعاوى "دينية". وقد نشرت القصيدة في صحيفة "العراق" ٢٦ آب (أغسطس) ١٩٢٩، والتي أقول في مطلعها:

ستبقى طويـــلاً هـــذه الازمـــات   إذا لم تقصـــر عمرهـــا الصدمـــات

إذا لم ينلهـــا مصلحـــون بواســـل   جريئـــون فيمـــا يدّعـــون كفـــاة

وقد أحدثت تلك القصيدة ضجة كبرى، واستدعاني الملك فيصل الأول، الذي سببت له إحراجاً كبيراً. تصور هذا الموقف، ان بعض رجال الدين كانوا مقربين من الملك فيصل الأول وأنا كنت عنده من المقربين. لكني شعرت بمحاولة البعض منع تأسيس مدرسة للبنات في النجف، وكأنني في صميم الغضب والثورة. وا لله كنت في ليلة واحدة أنظم قصيدة "الرجعيون" وقد نشرتها صحيفة العراق، باسمي الصريح. بينما نشرت جربيني، باسم

مستعار، ولكنه لا يختلف بشيء عن اسمي الصريح، لأن بغداد ومثقفيها صاحوا "هذا الجواهري" وحتى الملك فيصل الأول، عارف باسمي المستعار.

* وأي اسم مستعار كنت تختار ياأبا فرات؟

** ابن سهل الأندلسي أو طرفة بن العبد. أما البقية فكانت باسمي الصريح وربما كان ذلك لسوء الحظ أو لحسن الظن، خصوصاً واني من العوائل الدينية الاولى في العراق. ومن يصل إلى درجة الافتاء والاجتهاد، فعليه أن يدرس كتاب "جواهر الكلام".

ومن المفارقات ان صاحب جريدة العراق، صديقي رزوق غنام، وهو من محبي نوري السعيد والمقربين إليه، لكنه كان جريئاً ونظيفاً، تعرض إلى المضايقة بسبب نشر قصائدي. لقد اشتعل الشعر في رأسي. و لم أبالي بأني كنت في البلاط. قال لي الملك فيصل الأول بعد أن دخلت عليه كرب (باللهجة الحجازية) أي اقترب: ابني محمد. فقلت له أنا فاهم منذ أن طلبتني. قال ماهذا؟ قلت وا لله سيدي هذا الذي حصل. قال الملك، لا تنس ابني محمد (الجواهري) انني مسؤول. فهل تعلم انني تلقيت برقيات من النجف تقول لي، كيف يحصل ذلك، وهو عندك (أي الجواهري). هل تعلم أن ذلك غير محتمل. قلت له نعم، وأدركت وعبّرت عن ذلك بالحرف الواحد، سيدي اسمح لي ألا أثقل عليك بعد الآن. فزّ الملك وقال ماذا تقصد؟ قلت له: أن لا أسيء إليك بعد هذا. فقال لي ارجع مكانك.

لكنني عدت ونشرت بعدها قصيدة جربيني. لا أدري الآن هل يأنس بها الانسان بعد هذه العقود الثقيلة من السنين. وقبل قصيدة جربيني كانت "النزغة" أو ليلة من ليالي الشباب، التي نشرت في صحيفة العراق، هي الأخرى، في ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٩. وكانت ثورة على التقاليد حيث قلت فيها:

كـم نفـوس شـريفة حساسـة سـحقوهن عـن طريـق الخساسـة
وطبـاع رقيقـة قـابلتهّن الليـالي بغلظـةٍ وشراسـة

إلى أن أصل إلى مايلي:

قـال لي صـاحبي الظريـف وفي الكف ارتعاش وفي اللسان انحباسة
أيـن غـادرت "عِمّـةً" واحتفاظـاً قلتُ: اني طرحتهـا في الكَناسـة

وبعد أيام نشرت قصيـدة جربيـني في صحيفـة العـراق ٢٣ تشـرين الأول (اكتوبر) ١٩٢٩، وكانت خروجاً على كل ماهو مألوف.

جربيـني مـن قبـلِ أن تزدريـني وإذا مـاذممتني فـاهجريني
ويقينـاً سـتندمي علـى أنـك مـن قبـلُ كنـتِ لم تعرفيـني

ثم أقول:

أنـا ضـد الجمهـور في العيـش والتفكـير طـراً، وضـده في الديـن
كـل مـافي الحيـاة مـن مُتـعِ العيـش ومـن لِـذةٍ بهـا يزدهيـني
التقـاليدُ والمداجـاة في النفـوس عـدوٌ لكـل حُـر فطـين

وأواصل القول:

"إلطميـني" إذا مَجُنـتُ فعمـداً أتحـرى المَجـونَ كـي تلطِميـني
وإذا مايدي استطالت فمن شعرك لطفـاً بخصلـةٍ قيديـني
مأشدَّ احتياجـةِ الشـاعرِ الحسّـاسِ يومـاً لسـاعة مـن جنـون

ولم تكن الثورة ضد قصيدة "عريانة" التي نظمتها عـام ١٩٣٢، أقـل مـن الثورة ضد جربيني. لكن الفرق، هو انني كنت في البلاط في الاولى.

أقول في عريانه:

أنـتِ تدريـن انـني ذو لَبانَـهْ الهـوى يسـتثير فيّ المَجَانَـهْ
وقـوافي مثـل حُسـنك لمـا تَتَعرَّيـن حّـرة عُريانـه

وإذا الحــب ثــار فيَّ فــلا تمــ ـنــعُ أيُّ احتشـــامه ثورانـــه

إلى أن يقول:

والثديـــين كـــل رمانـــة فـــر عـــاءَ تهـــزأ بأختهـــا الرُمانـــه

عاريــاً ظهـرك الرشيق تحـــب الـــ ـعـــين منـــه اتســـاقه واتزانـــه

السيرة والسنوات العشر الاولى:

* هل تحدثنا عن الطفولة والنشأة!؟ وكيف انطبعـت صـورة ذلـك العـالم الطفولي في مخيلتك؟

** أنت تعلم ان هذه المقدمة مطلوبة مـني ومـن العجـب أن أشـير إلى ان هذه المرحلة عند المؤرخين وأصحاب السير والمذكرات مـن الكُتّـاب والأدبـاء أسهل ماتكون عندهم. لكــن الأمـر مختلـف معـي "العجيـب ان هـذه المرحلـة كـانت عنـدي أصعـب مرحلـة" أسـتطيع الحديـث عـن العشـرينات وحتـى التسعينات بكل سهولة ويُسر وطبيعية وبأمانـة وصـدق أقـول ان هـذا يتكـرر معي حين أريد الحديث عن العشرة الاولى من حيـاتي. أخشـى ماأخشـاه هـو الحديث عن سنوات الطفولة فإليها تعود العُقَد والرواسب واختلاط الايجابيات بالسلبيات والمحاسن بالمساوئ وفيها الكثير من الأضداد.

* الكثير من أصحاب السِيَرْ والمذكـرات لم يكتبـوا سـيرهم ومذكراتهـم كما هي، لكنهم كتبوا كما ينبغي أي سير "محسنة" وهذا خلـل وقصـور بـين الواقع والتصور وأنا آمل وأتوقع أيضاً أن يكون الأمر مع أبي فرات مختلفاً، إذ اعتدنا على طريقته التلقائية الواضحة والتي لا تخلو مـن تعنيـف للنفـس أحيانـاً وفيها جرأة كبيرة وهذا مهم جداً. هل لي أن أسمع رأيك ابا فرات!؟

** أنا شـريكك في الواقـع في هـذا الموضـوع، وبانصـاف وبـدون تحـامل قرأت كل ماكتب من هذا القبيل وقرأت أحســن مافيهـا، بعبـارة أخـرى عـن

الشخص الذي في نظري وفي نظر الكثيرين وأنت واحد منهم انه على مستوى من المسؤولية، فما وجدت شيئاً و لم أجد صديقي ـ رحمه ا لله ـ في مذكراته بل وجدت شيئاً آخر في هذا الكتاب الضخم الذي يشبه سيرته وحياته.. "فتشت، كثيراً فلم أجده، لكني وجدت مايصح أن ينطبق على اشخاص كثيرين".

* من المقصود ياأبا فرات؟

** المقصود هو المرحوم كامل الجادرجي وأنا أحبه ويحبني كثيراً رغم اختلاف الرأي في كثير من الأمور حتى على صفحات الصحف، لكن في الواقع لكل حق حقه ومعياره عندي وهذا ماأعتز به في مذكراتي التي كتبتها وحتى في كتاب "الجمهرة"(٨٢) عندما وصلت إلى المجلد الأخير الذي يتحدث عن المعاصرين أنصفت بصريح العبارة خصماً سبق له أن تعرض لي بتحرشات وتعريضات لأنني مسؤول عما اقول وانني أكتب إلى الناس ولست أتحدث في مجلس خاص بحيث أرد على محاولات الاساءة. أردت أن تعفيني عن ذكر الأسماء ولكن المقصود بذلك الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي(٨٣).

---

(٨٢) صدرت مذكرات الجواهري بعنوان "ذكرياتي" عام ١٩٨٨، مصدر سابق. أما كتاب الجمهرة فقد صدر في دمشق أيضاً، عن وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية بتاريخ ١٩٨٥.

(٨٣) بعد جفاء دام سنوات بين الجواهري والبياتي عادت علاقتهما إلى الصفاء، وحضر البياتي حفلاً تكريمياً للجواهري في دمشق، وتحدث بكلمات رقيقة بحق الجواهري وكتب قصيدة رائعة في ذكرى ميلاد الجواهري:

"في سنواتِ الضوء والبؤس
رأيت في مرآته نفَسي
خرجت من معطفه يافعاً
لأحمل الشمسَ إلى الشمس
قلت له: يا أبتِ هاهنا
يعتنق السهمان في القوس
شعرك كان الزادَ والماء فيَ
عراقنا الطاعن في الحبس".

أورد ذلك كشهادة، فالهدف عندي فيما أكتب وفيما أتحدث عن الآخرين، بما يسرك ويسر الكثيرين كما أعتقد، وذلك بالأسلوب المؤتمن، الذي كتبته وبآخر مايمكن أن يكتبه أي أحد عن نفسه. وأنا لا أتفاخر بذلك.. لماذا؟ فكرت في نفسي بأنه لو كان هناك عندنا في المستوى الثقافي والأدبي في المجتمعات العربية، كلها ودون استثناء، من هو جدير بمهمة النقد لكي يتولى هذه الأمور وضمن اعتبارات جمالية لما احتجنا إلى كتابة مذكراتنا.

النقد الذاتي والمعيار الأخلاقي

* هل تعني المعايير الأخلاقية؟

** بالضبط، المعيار الأخلاقي المألوف في العالم الحضاري مفتقد لدينا وفي عالمنا العربي والشعوب النامية (هذه صيغة ملطفة والمقصود هي الشعوب المتخلفة) ونحن يجب أن نعترف بصراحة بذلك، هناك قلة ممن يكونون مسؤولين عن الحرف والأمانة والنزاهة لأن طبيعة مجتمعاتنا فيها الكثير من الافتراءات والكذب، وأنا أقول ذلك بصراحة، فلدي الكثير من السلبيات وهي حصتي من ترسبات مجتمعاتنا. أعود إلى القول لو كان هناك نقاد بالمعيار الأخلاقي والأدبي وهذه أضعها بين قويسات، لكان أغناني وأغنى الكثيرين عن كتابة المذكرات، ولهذا تراني بصراحة أريد تجنب الوقوع في الفخ وتلاحظني أتحرج كثيراً، لكنه الواقع القائم الشاخص فقد كشفت عن نفسي وبنفسي بسبعة مجلدات دون تفخيم للذات، بل كنت كما أنا أحب وأتحدى وأرد الجميل وأذكر المعروف، حتى وان اختلفت أو اختصمت أو أخطأت أو تطرفت. وأشدّد مرة أخرى لو كان هناك الناقد النظيف والأديب النزيه والكفؤ وبالمعيار الأخلاقي الذي تحدثت عنه، لكان قد أعفاني من كتابة المذكرات وكل شيء فيها موجود في المجلدات السبعة.

* النقد الذاتي ومحاسبة النفس سمة الذين يتحلون بالشجاعة والصميمية وهي سمة الكبار الذين يصارحون جمهورهم، وقد يكون تواضعاً حين يتحرج الانسان عند الحديث عن موهبته وكفاءاته... ماذا تثير فيك مثل هذه الارهاصات؟ أو التداعيات؟ أين سلبيات الجواهري؟

** أريدك أن تتذكر شيئاً مشابهاً لما قلته عن المتنبي العظيم فقد انتقد نفسه وكشفها وعنّفها في موارد الغضب قد يكون ذلك غير معروف كثيراً أو لا يتردد على أفواه الناس. لقد ابتلى المتنبي بكافور مثلما ابتلينا أنا وأنت وغيرنا بمن ابتلي بهم بما يضطرنا الواقع أو مجتمعاتنا بأن نبتلى بهذا الموقف أو بهذا الشخص أو بهذه المرحلة "وان نقول مالا يستحق وأن نندم على ذلك وأن نكفّر عنه" فالمتنبي العظيم له غضبات نادرة فحين ترك سيف الدولة وقصد كافور وكيف كان ذاك وكيف كان هذا، ثم كيف ندم على ذلك بالقول:

وغادرتُ خير الناس طراً بشرِّهم وأصدقهم طرّاً بأكذبهم طرّاً
فعاقبني المخصي بالغدر جزيةً لان رحيلي كان عن حلبٍ غدرا

أستطيع في هذا الميدان أن أعدد لك الكثير من الشواهد والنقدات والغضبات وأنا فخور بها أيما فخر لأنني واجهت الأمور بشجاعة، عندما كتبت قصيدة "كفارة وندم" في عام ١٩٥٣ كانت القصة معروفة بعد قصيدة التتويج، وقلت بصراحة انني لم أغتصب ضميري في كل ماخاطبت به الناس في المجلدات السبعة، وإنما كتبت ذلك بقناعة سواء كنت مصيباً أم مخطئاً باستثناء هذه الحادثة، وأكرر انها كانت مجرد قناعات رغم مالحق بي من تشويهات أو تأويلات لهذه القطعة أو تلك القصيدة أو لهذا البيت أو ذاك، فهناك الكثير من الأشياء لاتزال قائمة عندي فيما يعدّه الآخرون مدخلاً للانتقاد والتعريض والشك، لكنني حتى هذه الساعة مازلت مؤمناً بها.

لقد تداركت قصيدة "تهْ ياربيع" التي قلتها بتتويج الملك فيصل الثاني بعد أسابيع، ففزت بقصيدتي "كفاره وندم" وكان هذا موقفاً خطيراً، وقد فهمها الحكام كأوضح رسالة معارضة وصلتهم وبجرأة وشجاعة، ولم أكن أميل إلى الملك فيصل الثاني لانني أعتبره ليس بمستوى المسؤولية وهو طفل مدلل وتربى على يد الانكليز على خلاف الآخرين، كالأمير عبد الاله (الوصي) أو الملك فيصل الأول (جده) الذي كان ذائداً عن العراق وأعلى من شأنه بما يستحق في تلك الأيام، كان مظلوماً في حين كان يتكالب الساسة على المناصب والزعامات والأحزاب وعلى المعارضة الكاذبة المصطنعة، في حين كان الملك فيصل الأول فوق هذا المستوى، وعندما غادر سورية كانت متألمة وتقطر دماً عليه، وهو مايشرّفه أن يكون إخراجه على أيدي الفرنسيين الذين قاومهم رمزياً والحكاية معروفة وقُتِل يوسف العظمة قائد الجيش... اقول انني اغتصبتُ ضميري لكن ذلك لم يدم سوى بضعة أيام (أسبوع أو أكثر) حتى كتبت "كفارة وندم" وأي تكفير وأي ندم، لقد كان الغضب الخلاق، قلت هذه الكفارة ستبقى، هذا عن نفسي أقول هذا كان في الخمسينات وهذا ماكان في السبعينات أيضاً فأنا لا أطيق الكبت، ولطالما دفعت الثمن غالياً، لانه لدي نفس الطفل الغضوب وهي إلى الآن باقية، فيها الحسنات وفيها السيئات وقد خلقت لي هذه المشاكل ومواقف حاسمة قررت مصيري كله وبدلت التاريخ.

أقول: لقد كنت أحب العيشة الرغدا وطمحت لها وحصلت عليها، ثم انتفضت عليها. لقد كنت أرغب في الوصول إلى المجلس النيابي (البرلمان) وقد كنت أشعر ان ذلك مكاني، وربما بعض مطامحي كانت رغبة الناس الذين حولي وكنت أمَنّي النفس بالدفاع عن حقوق الناس ووصلت إلى المجلس إذ كنت مقرباً من الأمير عبد الاله في حين كان الآخرون يتقربون إليه، لكني استقلتُ بعد أسابيع، وعندما عدل البعض عن استقالته لم أعد أنا إلى المجلس،

لا أدري الآن هل كان ذلك موقفاً صحيحاً أم غلطاً؟ إذا أردتُ المراجعة الآن ان موقفي كان خاطئاً، لأن الاستقالة كانت بعد الوثبة عام ١٩٤٨ (بعد ابرام معاهدة بورتسموث)، وفي ظروف الشهداء كنت هناك في صراع ماذا كنت أؤدي من واجبات في المجلس وماذا كانت الناس تسمع وكيف يكون ضميري مرتاح البال، لكن هذا شيء آخر الآن.

* أعتقد انه لم يكن بوسعك إلا الاستقالة خصوصاً وأنت تلمست غضب الناس والجماهير التي كنت تخاطبها آنذاك.

** والله لا أدري! بصراحة أقول لا. هذا شيء يأتي الآن بعد المراجعة، لكن الشيء العجيب الغريب والذي زاد من ندمي عليه، ان الجماهير كانت تريده وأنا عالم ماذا تريد، وكان الحاكم يريدني وليس سراً أن أقول لك ان سفارةً أعتز بها وهي أقرب ماتكون إلى القضايا العربية آنذاك وأعدى ماتكون لكل أعداء العرب(٨٤) كانت تريدني أيضاً. وقد جلبتُ لك هذا المثل لكي تعلم ان الكثير ممن يدَّعون تمثيل الجماهير الكادحة من الطلائع لم تكن تعلم حقيقة بعض المواقف، حتى بالنسبة لاصحابهم وهنا أعني السوفييت أيضاً، وبعد أن أرسلت لي السفارة السكرتير الأول الذي حاول أن يستطلع رأيي بشأن البقاء في المجلس حاملاً لي رسالة من أعلى المراجع مقدِّراً هيجاني وغضبي، لكنني رفضت ذلك، وتصور لو كانت الجماهير تعرف حقيقة الموقف. أقول لك الآن وأنا نادم خصوصاً على تلك المفارقات في الموقف الواحد وما كان بيني وبين الأمير عبد الاله الذي لا يستطيع اي نائب أن يصل إلى المجلس النيابي دون المرور عليه، وتلك من مساوىء النظام الملكي السابق فيقرُّ من يقر ويشطب من يشطب بمافيهم أدعياء المعارضة أو بعض المعارضين الحقيقيين، الذين كان وجودهم رغم كل شيء صمام أمان عند الناس

(٨٤) السفارة المقصودة هي السفارة السوفيتية في حينه.

لتخفيف آلامهم كما كان الحكام يريدونهم لامتصاص النقمة قدر مايستطيعون، وظل الأمير عبد الاله يصر على وجودي لكي كنت أعتذر، وأنا عندما أستعرض معك هذه الأمور. فمن باب النقد ومن باب الكشف عن الأخطاء، وأستطيع القول ان ليس هناك أكثر مني من كشف عن نفسه بنفسه.

* النقد الذاتي قوة وشجاعة، ولا يهم بعد ذلك أن يكون في الجبل الشامخ ثمة مغارات أو انحناءات أو انكسارات أو حتى كهوف لكنه يبقى مع ذلك جبلاً شامخاً واضحاً للعيان، يراه المرء من بعيد بعلوّه وكبريائه، فلا يهم أن يكون ثمة نواقص وأخطاء وتناقض في ظاهرة الجواهري، شاعراً وحالة شعرية وإنساناً... لنعُد الآن إلى الذكريات وعن الطفولة بالذات، وعن اسم الجواهري الذي تكوّن فيما بعد.

** قد تكون أخف مرحلة بالنسبة للآخرين هي الطفولة والنشأة، والأب والأم والبيت والبيئة والشارع، والمعتاد ان يكون هذا أسهل مافي المذكرات إلا أن السنوات التي دلفتها من العشرينات أي بعد العشرة الاولى حيث بدأ يتكّون اسم الجواهري ظلت مؤجلة عندي، ربما هي منقطة مكهربة، لدي عن نفسي الكثير، كيف تصرفت كيف أخطأت، كيف تحملني الآخرون بكل ماصنعت، كيف تشخص الأبصار والعيون نحوي، كيف استقبلت ثورة العشرين، كيف شُتِمت عند الملك فيصل الأول وأنا إلى الآن ذاهل كيف كنت أتصرف إزاء ماكان يترتب علي من اعتبارات والتزامات.!؟

نظرتي الاولى انفتحت على الصحراء فهي ذات أفق شاسع، والصحراء كما نعلم تعطي الانسان الصبر، عندما كان يشتد الحر في الصيف كنا نذهب إلى شواطىء النجف حيث الخورنق والسدير وقصور المناذرة في الحيرة ومنها بساتين الشوافع وبساتين الكوفة أيضاً، وأريد أن ألفت انتباهك إلى ان زهرة

شقائق النعمان تُنسب إلى النعمان بن المنذر الذي قال عنها: انزعوا كف من قطع واحدة منها. فقد كان النعمان يجمع المتناقضات (فهو بشر مثل الكثيرين)، وعلى أطلال تلك القصور وذلك التاريخ الشامخ، حيث كان يقف أمامي شاخصاً النابغة الذبياني، ولدتُ ونشأت بالقرب من الصحن العلوي ذي التداخل الفسيفسائي العجيب الذي يضم الحضرة العلوية والسور المرمري والصحن الشريف. بيني وبين النابغة الذبياني أجيال وأجيال لكن الفرات العظيم كان بيننا، لذلك اخترت التوقيع باسم "نابغة النجف" لتذييل قصائدي الاولى.

المشاهد الأولى من حياتي كانت متناقضة وهو ماانطبع بذهني، فمن جهة كانت النجف تمثل حياة متحركة أدبياً واجتماعياً، فيها العديد من الأقوام إضافة إلى العرب، وفيها العديد من القبائل يختلط فيها الحضرية بالريفية، بالبدوية، وفيها الكثير من الوافدين وطلاب العلم وفيها أكبر مقبرة في العالم، أو "غابة القبور" كما تسمى "مقبرة وادي السلام"، ومن الجهة الأخرى فيها حياة نائمة، بائدة، منسية، وقاسية، وفي تلك الأجواء ولدتُ وعشت وترعرعتُ.

* تمرد أم مغامرة؟

* قد يعتقد البعض ان "التمرد" سمة ملازمة لسن الشباب، لكنه في حالة الجواهري موجود معه كل العمر، ودون مبالغة يمكن القول ان روح التحدي ظلت ملازمة لأبي فرات وهو بتقديري بحاجة إلى دراسة سايكولوجية خاصة من هذا الجانب. ماذا تشعر وأنت في حالة من التمرد الدائم إذا جاز التعبير؟

** في نفسي شيء من المغامرة، وأنا كنت وما أزال ميالاً إلى المغامرة خاطئة كانت أم مصيبة؟

ضربت بها التيه ضرب القمار فاما لهذا واما لذا

كما يصف المتنبي نفسه.

وأعود وأقول لك ان العشرة الاولى من حياتي هي التي أثرت علي، طبيعة الحياة التي عشتها، التناقض الاجتماعي، تحدي المألوف الذي رفضته في الأسرة وفي المجتمع، جعلتني ميالاً إلى التمرد والرفض والتحدي.

* لقد تحدرت ياأستاذنا الكريم من أسرة عريقة، تنتسب إلى شيخها الجليل محمد حسن صاحب كتاب "جواهر الكلام" وكانت مجالسها عامرة بالأدب والشعر والفقه فكيف نشأت وكيف تتلمذت؟

** في الواقع تعود بي إلى السنوات العشر الاولى، التي تحدثت عنها وهي أثقل ماتكون عليّ. لكني كنت أتمنى غير هذا السؤال؟

* هذا السؤال يستوقف القارىء العربي، لكي يتصور كيف نشأت العبقرية وفي أي بيئة اجتماعية، وعند أية مناخات أسرية تكونت، لانه بدون معرفة الأساس، يظل القارىء في حالة من التخمين... ألا تتفق معي ياأبا فرات؟

** كنت منذ بلغت الخامسة من عمري أو لنقل السادسة أو السابعة، بدأت بتعلم القراءة عند الكتّاب (وهي مدارس غير حكومية). وكنت أتناول دواوين الشعراء لأبدأ بحفظ بعضها، بدأت بحفظ بعض الأبيات، بينما كان أترابي من أبناء عمي في البيوت الفسيحة التي تستوعب اللاعبين. كنت أخط بالفحمة السوداء على الحائط ماكنت أحفظ. وكان موضع الغرابة لدى الكبار، هو كيف انني كنت أكتب أبيات شعر بديعة للقدامى، وأنا اثناء اللعب. في السنوات العشر الاولى توجد أشياء طبيعية وموروثة كالطيبة وقول الشعر، فقد كان والدي رحمه الله شاعراً وله ديوان مخطوط جميل في مكتبة آل كاشف الغطاء، وهو موجود لحد الآن وقد رأيته بنفسي. وهو ديوان ظريف وأذكر منه قصيدة غزلية رائعة.

والدي كان نموذجاً في نظافة الايمان والعبادة. وكان ذا مجلس للمحاضرات الفكرية وعلى يده تخرج كثيرون من آل صادق في جبل عامل، وأنا أذكرهم بأشخاصهم ومع ذلك فلديه مفارقات، وكان من فرط حبه لي انه يريدني أن أكون ظلاً له، جزءاً منه بحيث كدت أفقد شخصية الطفل المالوفة، لكثرة مااصطحبني معه، إذ حتى كاد لا يفارقني إلى أن وصلت إلى الخامسة عشرة وأنا معه كرجل. كان مثلاً يخرج إلى المجالس الأدبية والمجالس الاجتماعية في النجف وأنا مضطر على مرافقته وكنت أشعر أن لا علاقة لي بمثل هذه المجالس بل كنت أنام فيها أحياناً من التعب أو السهر. هذه المرارات وغيرها من الحياة الاجتماعية البائسة أثرت فيّ كثيراً وكذلك العوز والعنعنات وكلها كانت خلفيات لما حملته فيما بعد.

وأود هنا أن أشير إلى مقدمة الدكتور علي جواد الطاهر الاكاديمية إلى أنها لم تكن بمستوى العمق الذي أريده ولا بمستوى المرارة التي كنت أعيشها في السنوات العشر الاولى. وإذا كنت قد تحدثت عن حلاوة تلك الفترة، العلاقة مع الوالد والأسرة وذكرت بعض اللقطات، لكن الشيء الذي أريده أكثر من ذلك بكثير، فبقدر الايجابيات الحلوة كان فيها سلبيات خلفتها عليّ ولا أريد أن أخفيها، فالوالد رحمه الله كان شغوفاً بي إلى الحد الذي كاد يمحي شخصيتي وهو ماأواخذه عليه وكان وعيه وتصوره للحياة يعتقد بأن ذلك هو الصحيح، وكنت ملزماً وأنا في سن الطفولة (قبل العاشرة بقليل) أن أحفظ الكثير من أبيات الشعر والقصائد. وكان هذا مرهقاً لي كثيراً.

صحيح ان التربية الأدبية مصدر اعتزاز لي. وكان أخي عبد العزيز يختار لي القطع التي عليّ أن أحفظها من كتاب الأمالي (لأبي علي القالي) وديوان أبي تمام والمتنبي ويشاركه فيها ابن عمتي المرحوم علي الشرقي. وكان هؤلاء مسؤولين إذا جاز التعبير عن ثقافتي وكنت اقرأ وأحفظ إلى جانب ذلك خطباً من نهج البلاغة وجزءاً من الشقشقية وكان علي أن أجاري ماهو سائد باتباع

هذا المنهج الذي كان ثقيلاً علي لدرجة حمّلني هذه التبعات، كان هذا شيئاً والحفظ شيء آخر والعناية بي شيء ومعرفتي به شيء آخر، كأنه يقرأ ماسوف أكون، كان كلما يلتقي بي ويسحبني معه إلى مجلس يتوسم فيَّ النبوغ، ربما يعرفني كما أنا الآن لكن هذا لم يكن يكفي بالنسبة لحياتي لأنني كنت أحتاج إلى منهج آخر. كنت أنتهي من حفظ خطبة من نهج البلاغة والأبيات البليغة للشعراء القدامى وحكاية لأبي علي القالي وشيء من أمثالها أؤديه بصدق وأمانة مدهشة، خصوصاً في ذلك السن، لكنه لم يتركني عندما أفرغ من قول مافي جعبتي، بل يأخذني إلى مجالس أخرى وربما حباً وإغراقاً في الحب، لكني بصراحة لم أسمع منه في يوم ما مايسمعه مني ابني وابنتي كفاح وخيال من تسديد خطاهما أو في اتخاذ هذا الموقف أو ذاك والأولاد الآخرون سمعوا مني هذه المواقف أيضاً وهم صغار وفي الواقع فقد كنت أتتبع خطاهم وأقول في يومها هذا صحيح وذاك خاطىء وهذا ينبغي عمله وذاك غير مقبول. كنت أخرج وألعب مع الأطفال بما لا يتناسب مع هذا الذي نشأت عليه، ربما هو تعويض أو رد فعل.

*** ثقل التركة!**

* هل يعني هذا أنك كنت شيخاً وأنت طفل؟ وربما العكس صحيح ايضاً؟

** أحسنت... هذا ماحصل فعلاً وهذا مابقيت رواسبه مدة طويلة وأثّرت علي بشكل جارح.

* توسماً بقول الإمام علي "لا تعلّموا أولادكم عاداتكم لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم"...

** ماتركه والدي كان سلبياً، لم أترك جلسة من جلساته وأنا في حالة يقظة، كنت أنام من شدة التعب ولا أتذكر انه قال لي افعل كذا أو لا تفعل

كذا أو تصرف مع الناس كذا أو كن مع صديقك كذا- و لم يسألني في يوم من الأيام أين كنت البارحة؟ مع من لعبت؟ ومع كل هذا، كان يغمرني حباً لتثقيفه الأدبي والشعري وأنا مدين له. تلك هي المتناقضات التي حدثتك عنها وإلى جانب ذلك أنا أحمّله تبعة أخرى رغم انها لم تكن بمستوى تلك الاولى كان يريدني أن لا أكون شاعراً رغم انه كان شاعراً رقيقاً، كان يضيّق علي بادىء الأمر بحيث انني كنت اضطر إلى النزول إلى السرداب (القبو) لكي أغنّي بصوت عال وأحدو بالشعر تحت الأرض ولا يسمعني والدي لأنه كان يحمّلني قراءة كتب الفقه أو الدراسة الفقهية وكنت أقرأها سطحياً على أصول مايدرس في النجف بالمنهج المألوف، أن تقرأ أولاً الصرف والنحو ثم كتاب البيان والفصاحة وهذا شيء جميل في الواقع، حتى جاء علم المنطق هذا لابأس به ولو كان بعيداً عني في الواقع وهو مناسب للذين خلقوا لكي يكونوا متفقهين، أما من مثلي فعليه أن يطفر هذه المراحل ويتحول إلى شيخ. وبعبارة أخرى حملت كتاب الفقه وكان عليّ أن أحمله بعد عشرين سنة من عمري، لذلك قرأته قراءة سطحية وكنت عندما التقي الأستاذ السيد حسين الحمامي الصادق الأمين والذي كان رجلاً لم أرَ أنظف منه، كان يدق على بطنه ويقول "شوف مهدي وجدّي (اي انه يحلف بحياة جدّه رسول ا لله) هذه (ويؤشر على بطنه) منفوخة من أكل الفجل". سمعت بعد ذلك أنه صار إماماً ووصل إلى أعلى درجة من درجات الاجتهاد بحق. درست عند هذا العلامة لأنه كان متواضعاً وأريد أن أجلب لك شاهداً على المفارقات!

* كان الوالد يريد أن تختزل المراحل؟

** نعم أختزلها، ثم أصبح فقيهاً و لم يكن يعرف انني بلغت إلى الأعماق في قراءاتي ومعرفتي الشعرية.. و لم يكن يدرك انني خلقت لشيء آخر غير الفقه!.

* نعود الآن إلى مصادر الثقافة الأخرى.. هل لك أن تحدثنا؟

** ربما شيء غير مألوف وقد يكون البوح به غير معتاد أيضاً، لكنني أريد أن أقول لك "بقدر مايحزن الولد على فراق أبيه العزيز عليه، كانت هناك نعمة عليّ بوفاة والدي، لانني انطلقت.. وبدأت تتكون شخصيتي المستقلة والمتناقضة أيضاً حتى الآن والمختلفة كما قلت..لقدا أحسست بأنني شيء آخر، وان الحصار المفروض عليّ انفتحت أبوابه الكبيرة، كما انطلق أخي عبد العزيز، الذي عانى من الحصار هو الآخر، لكنه كان حصاراً خفيفاً قياساً لي...". كان أخي عبد العزيز أكبر مني وأحترمه تماماً، لكنني كنت أرفض أن يتدخل في أمري. ومن باب النكتة أذكر ان أول قطعة شعرية ارسلتها سراً ونشرت في جريدة العراق عام ١٩١٩ وهي بإمضاء مجهول، لكن النجف عرفت من هو المقصود، حتى سألني أخي عبد العزيز: هل هذه القصيدة لك؟ وهل أنت أرسلتها؟ فأجبته بنعم "أودعناكِم - يعني خلصنا" ثم ابتدأت بعدها أرسل قطعة في كل أسبوع وتُنشر.

هذه هي السنوات العشر الثقيلة التي تركت بصماتها علي، فوالدي بحد ذاته وهو النقي العفيف، إلا انه كان يريدني مثل ظله من جهة، ومن جهة أخرى بقايا العنعنات، فهو ابن الشيخ الفلاني وجدّه الشيخ الفلاني، ولهذا يجب أن نتحمل الجوع والفقر، لا أن نتعامل مثلما كان البعض يتعامل به من الذهاب إلى عشائر الفرات الأوسط ويعودون محملين بالذهب. كان يفضّل مهانة الجوع، لأن تبعات الفقر ليس الفقر بحد ذاته. الفقر يجر مهانة، والمهانة تجر انعكاساتها وسلبياتها على الانسان، وتحمله الحاجة وهي ذميمة في حين كان البعض يتوارث المال، بينما آخرون يكسبون قوتهم من العمل الشريف. كنت أشكو من تلك التبعات والتقسيمات الاجتماعية وأساسها البيت ثم البيئة ثم المجتمع.

وأعود الآن إلى سؤالك حول مصادر الثقافة، فقد اختلفت بعد موت والدي رحمه الله، حيث بدأت مرحلة جديدة من التفتح وبشيء من الحرية، وانتهت فترة الالعاب مع أولاد عمي والاختلاط بالمتناقضين. وهذه مرحلة سيئة وإلى جانبها كانت مرحلة ايجابية أيضاً على الصعيد الأدبي والثقافي، فبدأت ألتهم الكتب التهاماً. وكانت النجف المصدر الثاني بعد بغداد ان لم تضاهيها رغم مجتمعها الصغير، حيث كانت الكتب ترد إليها من بغداد ومن الخارج، وكنا ننتظر مجلة "العصور" ذات المسحة التقدمية آنذاك.

* شبلي شميل وماركس وثورة اكتوبر!

* كيف قرأت الكتب التقدمية والماركسية بشكل خاص.. ماذا عن علاقتك بالشيخ عبد الحميد الدجيلي؟

** كان هذا الرجل متواضعاً وبعيداً عن دائرة الضوء. وقد أعارني أول كتاب ماركسي وهو لشبلي شميل، فقد أخذته منه وكان يُضرب المثل بتقواه. وأعتقد ان ذلك كان عام ١٩١٧ أو ١٩١٨ ولم أكن قد بلغت العشرين عاماً. وأخذت أقلّب فيما بعد الكتب التي على هذه الشاكلة لدى مكتبة عبد الحميد زاهدي ومكتبة الشيخ أحمد حلمي أخ محمود حلمي صاحب المكتبة العصرية، وكان هذا يتنافس مع ذاك على جلب الكتب وكنت أقرأ خيرة مايصل إلى المكتبتين. أستطيع القول انني من الذين قرأوا سلامة موسى حتى قبل أن تصل كتبه إلى بغداد. وقرأت بإمعان أطروحة الدكتور طه حسين المقدمة إلى جامعة السوربون عن (ابو العلاء المعري) وهو من أنفس الكتب. وحين انتقلت بعد سنوات ست أو سبع إلى بغداد، وجدت الكثير من اخواني التقدميين. لم يطلعوا على هذه الكتب ولم يقرأوها مثل حسين الرحال ومحمود أحمد المدرس وعبد القادر اسماعيل وحسين جميل وعبد الوهاب الأمين وعاصم فليح... كنا حلقة أو "شدّة" أي باقة من المهتمين بالفكر التقدمي.

* كيف سمعت ياأبا فرات بثورة اكتوبر الروسية عام ١٩١٧؟

** أحكي لك هذه القصة وكيف انتقلت من "الرجعية إلى التقدمية" فأنا لم أقرأ عن ثورة اكتوبر، وإنما قرأت عن حملة الغرب الملعونة والأجهزة البريطانية والامريكية عليها.. إذ جن جنونهم ولا أنسى الأساليب المؤثرة التي حاولوا استخدامها للتأثير على العواطف والمشاعر فقد قرأت كتاباً يروي كيف قتلت الأسرة القيصرية لدرجة انه أبكاني وبشكل مؤثر جداً.

* تعلم أبا فرات ان اكتوبر جاءت على مرحلتين ان جاز التعبير، المرحلة الاولى سميت بـ "الثورة البرجوازية"، التي قام بها كيرنسكي وبعد عدة أشهر حدثت ثورة اكتوبر.

** لقد تكونت وجهة نظري بالاتجاه المعاكس بما جمعته من غربال الصحافة فاقتنعت بنظام جديد فيه شيء من نصرة المظلومين والفقراء والفلاحين. وهو مابدأت أتلمسه من خلال قراءة كتب سلامة موسى ومجلة العصور وشبلي شميل، كأن هذه الكتب هي التي هيأتني لتقبل ثورة اكتوبر مباشرة و لم يصل بعد شيء مفصل عنها حتى أن الكتاب الذي أبكاني عن الملكة زوجة القيصر وأولادها، جعلني أهتم بسماع الأخبار، هكذا بدأت تتكون صورة أخرى لديّ من خلال الصحف والمتابعات.

* **إيجابيات:**

* لقد ذكرت بعض السلبيات عن المرحلة الاولى، فهل لي أن اسمع الايجابيات؟

** إضافة إلى والدي وأخي عبد العزيز وابن عمتي علي الشرقي الذين لهم الدور الأول في اعدادي الأدبي والثقافي فقد علموني أيضاً الاعتياد على الصبر، وكذلك الاعتداد بالنفس والثقة بها، وتحمل الحرمانات وهذه الناحية

لها تأثيرها اللاحق الايجابي رغم سلبياتها على الانسان. فقد صبرت على الشدائد والمكاره والحرمانات والفاقة، رغم ارتقائي سلّم المجد، ويوم كانت الجماهير تحملني على الأكتاف ولا أحد يعلم ماذا كنت أعانيه وما أحتمله، تلك مفارقات ثرية بتناقضها، بسلبياتها وإيجابياتها ولكنه الواقع المرّ أيضاً.

* ألا تعتقد ان المخزون الثقافي الأول هو الذي مكنك من إنجاز مشروعك الكبير "الجمهرة" والذي هو بحق صورة مشرقة عن الأدب العربي وإضافة مهمة للمكتبة العربية؟

** لقد اثر البيت على نشأتي الشعرية الاولى ولازلت تحت تلك التأثيرات وتناقضات البيئة والمجتمع النجفي. وأختلف عن الآخرين بأني أتحدث بصراحة عنها وبوضوح وفيما يخصني قبل غيري.

* كتب السيد جعفر باقر محبوبه كتاب "ماضي النجف وحاضرها" بثلاثة أجزاء تحدث فيها عن طبيعة المجتمع النجفي، بما له وهو كثير وما عليه أيضاً.

** المرحوم محبوبة من أعز أصدقائي. فقد كان يأتيني إلى البيت وأنا أذهب لزيارته في بيته ايضاً. وهو شخص منسجم مع كتابه ومع أمانته فيما كتب، وإلمامه وهو شيء يشرف الكتابة، لأنه كان رجلاً نظيفاً ولطيفاً. وكنت قد تلقيت حب الناس في البيت وحب كل من يحب الناس ولهذا فأنا كنت معجباً بكل من يكتب ويتخطى الحدود، وتلقيت ثورة الغضب أيضاً في البيت.

* ألم تنطبع وجدانياً في الذاكرة؟

** نعم انطبعت وجدانياً بكل معنى الكلمة وزادت عليها وصعّدت منها البيئة النجفية بالذات ومن ثم تعمّق الوعي. فقد كان وعيي بتناقض المجتمع مبكراً وبازدواجية الفرد النجفي بالذات واشدد على النجف لأنها المركز الديني الذي ينبغي أن تقل فيه الازدواجية لكننا نرى العكس فالاشياء السلبية

مقرونة إلى جانب الأشياء الحلوة والحسنة والطيبة. وهذه كانت تختلط بين الجو العشائري والوافدين أو المهاجرين، من أطراف الاتحاد السوفيتي إلى الهند وإلى إيران وتركيا ومن بلدان الخليج ومن لبنان بالذات وجنوب لبنان بشكل خاص مثل آل صادق وآل شرف الدين.

* هناك عبد الحسين شرف الدين صاحب كتاب "المراجعات".

** هؤلاء المثقفون يأتون في طلب العلم. وفي بيتنا تتلمذ قسم منهم على يد والدي. كانوا بتفاعلهم مع المجتمع النجفي يتأثرون به ويؤثرون عليه أيضاً خصوصاً بما هو إيجابي.

*** الشعوبية:**

* هل كان هناك تعصب من جانب المجتمع النجفي إزاء الوافدين من الشعوب الأخرى؟

** بالعكس كان هناك تعايش وتمازج وتفاعل وكذلك اختلاط وتزاوج، ولا توجد نزعة عنصرية لدى المجتمع النجفي رغم الطابع العربي الواضح للمدينة. أما مفهوم "الشعوبية" الذي تم ترويجه فيما بعد لاعتبارات أخرى، فضيقوا الأفق هم الذين ينكرون فضل العرب عليهم. أما المطالبة بتحقيق المساواة بينهم وبين العرب فهذا لا علاقة له بالمفهوم الدارج عن الشعوبية. وهذا بتقديري مفهوم مناقض للعروبة الحقيقية، إذ ان شتم "الشعوبية" ووجهها الصحيح هو المدح والفخر له هدف آخر وهو الاستعلاء القومي، خصوصاً وإننا يجب أن نطلق الشعوبية على من يحب الناس ويحب الشعوب. أما إذا كان الأمر عكس ذلك فإنه يقود إلى التشوه والتحريف والتعصب وتفضيل العنصر العربي بشكل شوفيني على الشعوب الأخرى وهذا الشيء يتحمل وزره من يدعو إليه.

* أستاذنا الكبير الجواهري، ان المفهوم المعاصر للشعوبية هو ماأريد له هذا التعصب من قبل الشوفينيين والمتعصبين العرب وأحياناً حتى ممن أصوله غير عربية.. هل لك أن تحدد الهدف الحقيقي من ذلك؟

** الغرض من ذلك كان شتم الوطنيين والتقدميين واضرب لك مثلاً على ذلك، الا وهو ساطع الحصري الذي ناهز التسعين لكنه لم يتكلم العربية كما ينبغي وقد توفي في العام ١٩٦٨ ففي حديث تلفزيوني له لم يستطع أن يتلفظ الكلمات العربية خصوصاً حروف الضاد والقاف، لكنه كان يبالغ في تعصبه بل انه نموذج للمتعصبين الذين يكملون من عقدة نقص الانتماء إلى المبالغة في الانتماء والتطرف فيه، وتأتي النتيجة عكسية دائماً ولا ضير أن يكون الإنسان غير عربي ويتشبع بالثقافة العربية والاسلامية، لكن العيب كل العيب في أن يبالغ هؤلاء بانتمائهم القومي العربي وهو انتماء ناقص.

لقد عاش في النجف العديد من العوائل غير العربية وكانوا يعتزون بانتمائهم للعروبة دون مبالغة أو تطرف مثل (بيت البادكوبي) وهم من باكو (وبيت الشيرواني) و(بيت المغمغاني) و(بيت الهندي) الذي نبغ منهم السيد رضا الهندي صاحب القصيدة الجميلة، التي سميت بـ"الكوثرية" والتي مطلعها:

أمفلج ثغرك أم جوهرْ ورحيق رضابك أم سكّرْ

قد قال لثغرك صانعه إنا أعطيناك الكوثرْ

وكان هذا الاختلاط العجيب مصدر تفاعل لثقافات وعروق وهو مصدر قوة وليس مصدر ضعف، فكان شقيق جدي (اللّح) الشيخ حسن متزوجاً من روسية، وهي شقيقة القنصل الروسي وأتذكر ان القنصل الروسي كان يأتي لزيارته في النجف وهو موشّى بالذهب ليزور صهره المتدين المثقف ابن الشيخ صاحب الجواهر (ابنه الأصغر) وكان عمري لم يتجاوز الخمسة عشر أو ستة عشر عاماً، وقد زوجت أخته (زوجة شقيق جدي) بنت أختها لابن شيخ جواد أبو سيد

اسماعيل أي جدَّة أمه كانت روسية وجدّته،لأمه روسية، هذا مثل على بيت الشيرواني. والمثل الآخر بيت البخاري الذين جاؤوا من مدينة بخارى، فأتذكر ان شيخ باقر ابن الشيخ حسن ابن الشيخ صاحب تزوج من بخارية وهم عائلة مؤتمنة في النجف وكان الناس يرهنون الذهب عندهم، وكانت والدتي من بينهم تفعل ذلك، ومن جهة ثانية كانت العوائل العربية القادمة إلى النجف، مثل آل الخفاجي من خفاجة وأبرزهم الشيخ الخفاجي الشهير وآل البديري من الديوانية وابرزهم شيخ جعفر البديري، وكانت البيئة النجفية تستوعب هذه الازدواجية بحسناتها وسيئاتها فإلى جانب الورع، التقي، المتقيد، النظيف، هناك المتصنع، المزيف، التافه، ولا أستثني من ذلك حتى بيوتنا التي تسمى بالعريقه دينيا، وكانت الامتدادات تاريخية أكثر منها حاضرة.

لقد عانى المجتمع من ازدواجيات مختلفة، هناك ازدواجية شخصية تخص الانسان نفسه وهناك ازدواجية اجتماعية وهناك ازدواجية شريرة بحيث تتجاوز الحدود، قد يكون لدي أو لديك ازدواجية معينة، وهي كيفية التكيف مع المجتمع الذي نرفض جزءاً كبيراً من قيمه، لكن هذه إذا امتدت إلى مايخص الآخرين فإنها تكون قد تخطت الأطر والاعتبارات.

*** الازدواجية:**

* هل لي أن اسألك أبا فرات كيف يمكن التقدم على أو التكيف مع العادات والتقاليد الاجتماعية لشاعر متمرد مثلك؟

** قسم منها اضطراري وهو أمر لابد منه وهو ماكنت أعيشه وما ترك أثره في حياتي، أما القسم الآخر فهو مايتجاوز الحدود، فتراه إذا احتل منصباً أو أصبح زعيماً، أو له كلمة نافذة فإن ازدواجيته تصبح مصدراً للشر، فحين تعج المطابخ بالروائح الطيبة ويكون الجيران بلا عشاء، تدرك ماذا تعني هذه الازدواجية حين يلبس هذا الشيخ (الفراء المبطن بالمخمل في الشتاء، ويلبس الحرير في الصيف) بينما

الكثير من أفراد عشيرته الطيبين الطاهرين لا يملكون شروى نقير، هذه الأمور لا يستطيع الزمن أن يمحوها، ولا يستطيع أن يقضي على العقد والرواسب، سواء عندي أو عند غيري، مثلما لا يستطيع أن يمحو الآثار الطيبة كالثورة على الظلم والغضب على المجتمع المستكين، وهذه بداية الثورة على المجتمع النجفي التي انتقلت معي إلى بغداد ورأيت هناك ماهو أكثر عجباً وأتعس من المجتمع النجفي، فلم تعرف النجف الطائفية و لم ألحظ بوجود عنصرية بالتعصب للعنصر العربي، وكان الجميع يندبون بالإيمان والعقيدة والمجتمع الواحد وكره العنصريات وحب الشعوب، أما في بغداد فقد رأيت اللعبة الطائفية والتنازع على المناصب، وإذا كان هناك من له الغلبة فهو لا يتحمل وحده المسؤولية، بل ان حب الزعامات والرغبة في الحصول على المكاسب قد جعلت الجانبين، وخصوصاً الزعامات شركاء في المسؤولية وان كانت هذه المسؤولية متفاوتة.

عندما جئت إلى بغداد ابتُليت بذلك شخصياً وواجهتني مشاكل كثيرة، إذ كنت وديعاً وذا عمامة صغيرة ووزني لا يزيد عن أربعين كيلو غراماً ودون أن أدري صرت الفتيل للقضية الطائفية، التي أخذت دوراً كثيراً ووصلت إلى حد استقالة وزارة أو كادت، ووصل الأمر إلى الملك فيصل الأول وصرت أنا بين التركي المستعرب ساطع الحصري الذي حمل لواء الطائفية من الجانب السني وبين عبد المهدي المنتفكي من الجانب الشيعي، و لم أدرك ذلك لأنني جئت من بيئة نظيفة وأعني بها مدينة النجف لأجد نفسي وسط معركة طائفية لا ناقة لي فيها ولا جمل "آني وين، وهذي المشاكل وين، والطائفية شنو، سنّة شنو، شيعة شنو، غير عراقي منو، العثماني عربي وعراقي أيضاً، أما العراقي غير العثماني فهو غير معترف به" وقد جننت لهذا الذي جرى خصوصاً وانه خصني شخصياً، و لم يكن يخطر ببالي حتى مجرد التفكير بمثل هذه القضايا، وإذا بي أنا الضحية الأولى.

* الجمهرة:

* ننتقل الآن إلى السؤال الذي يرتبط "بالجمهرة" كيف جرى الانتقاء ووفق أي المعايير؟

** أولاً أريد أن أقول ان المصدر جذوره قديمة، وأستطيع أن أرجع إلى البدايات، ويمكن أن أحكي لك عن أشياء أصبحت منسية الآن، فأنا بحكم الفطرةِ والاستقلالية لمزاجي الخاص سمّه إلهامي، جنوني الشخصي، تطرفاتي فقد كنت لا أقرأ ديواناً من دواوين العظماء إلا وأكون قد حفظته بالذاكرة ونسخته نسخاً باليد، وهذه الاختيارات الآن في "الجمهره" هي جزء من المخزون القديم، فقد حفظت ديوان المتنبي رغم انه لم يُجمع مرة واحدة، مايقارب الثلاثة آلاف بيت، وديوان أبي تمام يقترب من هذا أيضاً، وكذلك البحتري وأظن انني تجاوزت حفظاً نحو عشرين ألف بيت، فمثلاً ديوان المعري، وكذلك لزومياته. هذا الشاعر المبدع كنت قد حفظته بالكامل، وكذلك ديوان ابي نؤاس حفظت منه أكثر من مائة قطعة.

كان عبد الرزاق الناصري الأديب المعروف، وهو والد سعود الناصري يتعجب حين أتلو عليه هذه المحفوظات، كما يتلوها تلميذ يؤدي امتحاناً في المدرسة وهذا الأمر يمتد إلى ابن الرومي والكميت وبشار ومهيار الديلمي، لقد حفظت ديوانه حرفاً حرفاً وأنا من أشد المعجبين به، وقد أستطيع القول انه أشعر من الشريف الرضي رغم انه تلميذه، لكنه أعمق منه، ولهذه تأتي "الجمهرة" امتداداً لهذه السيرة التي حدثتك عنها ولا أبالغ في ذلك إلا انني كنت أبلغ حد الهوس بالجو الشعري والأدبي، وكنت أنتقي الدواوين من السيد جعفر الكيشوان وأنا مازلت يافعاً، للبهاء زهير وابن الفارض، إضافة إلى المتنبي والشريف الرضي وأحملها معي ولا أنزل إلى السرداب (القبو) تخلصاً من حر الصيف وفي شهر تموز بالذات (يوليو) حيث كانت الحمامة الجميلة

تقع على الأرض من شدة الحر، لأقضي فترة الظهيرة والقيلولة بصحبة دواوين الشعر هذه، بل أبقى في الطابق الأعلى لأنني إذا نزلت إلى السرداب فقد يأخذني النوم، وبالمناسبة فالسرداب كان جوه ناعماً، بارداً، رملياً وهو امتداد للقنوات القديمة والآبار التي تجري تحتها، وأما في الليل فكنت أقرأ هذه الدواوين على الفوانيس (النفطية)، وفي حين كان الأهل ينامون كنت أنا ولوعاً بالقراءة، وقبل العارض الأليم (وسط الثمانينات) في بصري لم أكن أحتاج لتناول الحبوب للنوم، بل ان حبوبي المنومة حتى ذلك الوقت كانت الكتاب إلى أن يقع من يدي فأنام، وكنت أقول هذه حبة المنوم.

* إذا كان الانتقاء يسيراً بالنسبة للقدماء فكيف تم ذلك بالنسبة للمعاصرين؟

** جذور ذلك كانت قد مرت بي وقرأتها ووجدت الجديد فيها، والذي أنا معجب به أما القسم الذي لم يمر علي فقد قرأت كلمة منصفة عن (الجمهرة). مضمونها يقول: عجباً كيف تمكن نفسه بنفسه من (الجمهرة) بهذا الشكل التي هي نتاج مجموعة وليس شخصاً واحداً، أما فيما يتعلق بالمعاصرين فقد أخذت الشخوص البارزة من كل بلد عربي، وكان ينقصني شيء عن السعودية وأظن أن الذي ذكرني به هو الأخ السيد مصطفى جمال الدين، فقد قرأ لي نموذجاً منه وأنا معجب به، وهو تداركٌ للأمر، أما من لبنان فقد أخذت من كان له أثر عند الناس وليس مسألة قناعة شخصية، فما دام قد فرض نفسه ونزل إلى الميدان الأدبي والثقافي فبكل نجاح وبتجرد أنصفته، وكتبت عن رواد مثل الأخطل الصغير ونزار قباني والياس أبو شبكة وسعيد عقل.

* أدونيس وسعدي يوسف!

* أبو فرات هل أخذت شيئاً من أدونيس؟

** لا... أنا معجب به لكنني أخالفه في الجذور، مع انني معجب بثقافته واختياره وذوقه في المختارات، ولم أعجب بالكثير من المختارات التي كتبت باستثناء

مختارات أدونيس واستفدت منها كثيراً وأنصفته في هذا، وعلى هذا النمط، من مصر أخذت من شوقي مثلاً، أي الذين فرضوا أنفسهم صاعداً بأكثر مما يستحق أو بقدر مايستحق أو دون مايستحق وهناك من ظلم أيضاً. ابراهيم ناجي، حافظ ابراهيم، علي محمود طه، خليل مطران، وهذا أعده آخر الرعيل ولكن هو ممن صُنعت لهم ضجة أكثر مما يجب مثل الزهاوي عندنا في العراق، ومن سوريا أخذت عن المرحوم بدوي الجبل وعمر أبو ريشة وسليمان العيسى ومن العراق أخذت عن الرعيل الأول، الشبيبي والشرقي وأخي عبد العزيز، كذلك أخذت للرصافي والزهاوي وعبد الوهاب البياتي والسياب وغيرهم.

* هل أستطيع أن أسألك عن سعدي يوسف الذي يُعتبر الآن رائداً من رواد الحداثة الشعرية؟

** سعدي يوسف يتميز عنهم بالنغم، انه قريب من التراث، انه صدى التراث لكن هذا لا تحسه كثيراً في الآخرين، إنه إضافة إلى النغم يتميز بالعمق والرمز فالصور والتلاوين الجمالية التي توجد لديه لا توجد لدى الآخرين كما انني معجب أيضاً بصلاح عبد الصبور، وهو من النمط الأول من رواد المدرسة الحديثة.

* كتاب "الجمهرة" أثار ضجة من الجدل والنقاش وهو دليل على انه لقي اهتماماً لكونه عمل كبير(٨٥) .

** بسبب الآفة الأليمة التي لحقت ببصري تأخر طبع (الجمهرة) وربما كان بحاجة إلى مراجعة أكثر لتدارك الهفوات وأنا أعترف بها، وإذا نسيها الناقد سأدلّه عليها، مثلاً هناك بعض المطولات وتوجد بعض الأشياء اليابسة، فهناك أطرى منها، لكنه جهد فردي على أية حال، وقد يثير نقاشاً كبيراً وهو بالفعل قد أثار رغم عدم اكتماله بمجرد الاعلان عنه.

---

(٨٥) كان هذا السؤال أو التعليق قبل أن يكتمل انجاز كتاب (الجمهرة) الذي أشرنا إليه.

* ثورة العشرين:

* استاذنا الكبير قبل أن ننتقل إلى جو المجتمع البغدادي الجديد، بعد أن انتهينا من المجتمع النجفي، نتحدث عن ثورة العشرين، ماهو تأثير ثورة العشرين وماهي الأجواء التي كانت سائدة آنذاك؟

** باختصار هناك علاقة وثيقة بالجو الذي عشته، جمرة الغضب الأولى كانت من والدي، وثورة العشرين تلقيتها وجمرة الغضب في داخلي على البيئة وعلى المجتمع، خصوصاً وان النجف كانت عاصمة الفرات الأوسط وملتقى عشائره وكان والدي من المشاركين في الجهاد ضد الانكليز في معركة الكوت، وقد عاد والدي قبل أسبوع من انكسار الحملة التركية الثانية، حيث انتصر الانكليز على الأتراك ودخلوا بغداد في عام ١٩١٧، ثم توفي والدي وانتظمت أنا بعد وفاته للكتابة في صحف بغداد حيث كنت أراسلها اسبوعياً. تعجبت الآن كيف ان مهتماً بشؤون الأدب يريد أن يصبح شاعراً وأن ينظم قصيدة مجاراة للجواهري بأربعين بيتاً أو بخمسين بهدف التطويل، لكن ذلك لن يجعله شاعراً فقد ابتدأتُ بالكتابة بخمسة أبيات أو سبعة، وقد ساعدني في ذلك الجو الأدبي في البيت من جهة، وآل الشبيبي من جهة أخرى. ونمّى ذلك شغفي بالقراءة، وتأثر بيتنا بالموجة الدستورية للدستور العثماني ١٩٠٨ وللحركة المشروطية في ايران ١٩٠٦ وتأثيراتهما.

* سبقت ثورة العشرين، حركات وانتفاضات، من أبرزها "ثورة النجف" ١٩١٨ هل كانت هذه "بروفة" أولى لثورة العشرين..؟

** بالطبع كانت تلك مقدمات وهذه العوامل جميعها لعبت دوراً في التهيئة لانتفاضة النجف أو لثورتها فيما بعد. وكان من طلائع الشباب الذين انخرطوا فيها الشرقي والشبيبي وأخي عبد العزيز، وكان هؤلاء ذوو تأثير قوي، خصوصاً مع وصول مجلات المقتطف والهلال وغيرها. وهي مليئة بالفن

الحديث والشعر الجديد وألوان الكتابة. وكانت تحوي الشعر الوطني المعارض والناقد ليس فقط للاستعمار بل للبيئة والمجتمع العربي، وهذا كله ترك تأثيره علي وكان رشيد الهاشمي صاحب "صحيفة الرافدين" وأخوه محمد الهاشمي رئيس المحاكم في بغداد من الشعراء الذين ينشرون أدباً حديثاً وتعتبر صحيفة الرافدين صحيفة وطنية خالصة وبريئة، وهناك صحف أخرى استغلت هذه الناحية متعكزة على التعصب الطائفي، بعكس صحيفة الرافدين.

بعد أن قرأ الناس قطعتي المذيلة باسم "نابغة النجف" كنت مرفوع الرأس منتصب القامة وباللهجة العراقية "أمشي شجخ" مثلما يقولون. (أي باعتداد) وكنت أشعر بالغرور أكثر من الثقة، خصوصاً وان قصيدتي جاءت على الصفحة الاولى، وكنت في سري وفي خلوتي أقول "أنا نابغة النجف" ولم تكن لغيري، وسرعان ماكنت أجاري الكبار، فأخذت أنشر جنباً إلى جنب أولئك الذين سبقوني بعشرين عاماً على الأقل. فالشرقي كان يكبرني بأربعة عشر عاماً وأخي عبد العزيز أكبر مني باثني عشر عاماً والشبيبي ١٥ عاماً أو ١٦ عاماً. وأنا في سن العشرين كانت تنشر لي قصائد في الملحق الأدبي للأدب العصري، التي يصدرها رفائيل بطي وعندما حدثت ثورة العشرين كنت مهيئاً بل مشبعاً بفكرة الثورة، ولم تكن تلك مفاجأة لي.

المفاجأة الكبرى لي كانت شموخ القصيدة وقوتها. كانت بعض القطع والقصائد هي جواز سفري إلى بغداد، التي كانت شهرتي قد سبقتني إليها. حتى أذكر وأنا أزور الشيخ الخالصي لأول مرة بدأ الشيخ الشيرازي بالثناء عليها أمام الخالصي وذلك في حين اندلعت الثورة في الفرات، في النجف وكربلاء.. أما بغداد فكانت حصة الشيخ مهدي الخالصي (في الكاظمية) حيث كانت له الكلمة العليا وكان الدين في المجتمع العراقي له تأثير كبير جداً، وهو امتداد لسنوات الحكم العثماني. وعندما حضرت مجلس الشيخ الخالصي كان أول من تعرفت عليه هو ناجي السويدي الذي ربطتني به صلة

وثيقة. وبعد فشل الثورة بدأ الانكليز تنكيلهم بالثوار بينهم الشيخ الخالصي الذي نُفي إلى ايران رغم انه من مدينة الخالص في محافظة ديالى وقلت آنذاك:

صدقتَ يابرق بهذا النبا   فمن لي اليوم بأن تكذبا

وقد اطّلع الخالصي على قصيدتي بعد فشل الثورة واهتز لها فبُلِّغت في النجف على يد السيد محمد رضا الصافي شقيق الشاعر أحمد الصافي النجفي باعجابه بها وذلك بوساطة خاصة، ثم وصلتني رسالة أخرى ومعها هدية وهي كيس من الروبيات الحلوة (نقود ذلك الزمان)، وكانت زياراتي إلى بغداد في تلك الفترة لا تتعدى غير بضعة أيام، ليلة أو ليلتين أو أكثر.

* المجتمع البغدادي:

* ابو فرات هل يمكن أن تعطينا صورة عن المجتمع البغدادي فيما يتعلق بالنخبة المتنورة التي تبنت الاتجاه الاشتراكي، أو التي مثلت البذور الأولى للفكر الاشتراكي في العراق والتي ساهم بعضها فيما بعد بتأسيس جماعة الأهالي، أمثال حسين الرحال وعبد القادر اسماعيل ومحمود أحمد المدرس وحسين جميل، وغيرهم؟

** جئتُ إلى بغداد عام ١٩٢٦ وذلك بعد الفتنة الطائفية كما ذكرت، التي سببها متعصب باسم "الثقافة التائهة" (المقصود ساطع الحصري. ع ش) يقابله من الجانب الثاني، رجل جاء مع الملك فيصل الأول للموازنة عند العشائر (المقصود عبد المهدي المنتفكي. ع ش) الأول لإذكاء نار الطائفية البغيضة والثاني وقيل انه للنهوض بالأكثرية الشيعية المتخلفة التي لم يكن فيها إلا واحد بالمائة أو أقل من المتعلمين، أما الفئة السنية فكانت تمثل النخبة امتداداً للحكم العثماني وكان فيها من تخرج من الاستانة وقد يكون نسبة التعليم بينها ثلاثة أو اربعة بالمائة. رغم الجهل المطبق. أما أنيس النصولي فقد راح ضحية الفتنة أيضاً عندما إرتكب خطأً بل حماقة حين إنتقص من ذكرى

استشهاد الامام الحسين وكان رد الفعل الطائفي لهذه القضية ان تم اختياري هدفاً لكي أكون الضحية المقابلة أو التعويضية، وقد اندفعت عاطفياً وبطريقة مرتجلة وأرجع ذلك إلى إيماني بالحسين وقد يكون لا علاقة له بالتدين، الحسين رمز البطولة وهو مفجر الثورة ضد الظلم وقد يكون منشأي وتربيتي هي التي فجرت فيما بعد المعلقة الرائعة "آمنت بالحسين"، شخصياً لا أعرف الطائفية وليس لي علاقة بها إلا انني كنت الشخص المقصود لكي أسدد فاتورة النصولي والضجة التي أثيرت حولها، لقد كتبت بضعة أبيات وارسلتها إلى من كان يستحق أو ربما لا يستحق، فكان جوابه بل مكافأته أن سُئلت إذا كنت أرغب في العمل كمدرس، وكنت مسؤولاً عن عائلة عليّ إطعامها، ثم جئت إلى بغداد، وكان عليّ أن أثبت انني عراقي، ورغم ان عروبتي أمر مفروغ منه، أي ليس بحاجة إلى إثبات، إلا أن المضحك في الأمر هو أن أثبت نفسي كعراقي رغم أن سلسلتي معروفة في كتاب (الجواهر) الموجود حالياً (في مكتبة الأسد بدمشق) بمقدمة لم أكن قد انتبهت إليها وهي تمتد إلى عدد من الأجداد. و لم يكن أي منهم يحمل الجنسية أو حتى يعرفها، وكان الشيخ المظفر هو الذي كتب المقدمة وقانون الجنسية لم يكن قد مضى على صدوره سوى عامين أو أكثر بعد تأسيس الدولة العراقية(٨٦) .

هكذا أنا الشاعر العربي أُقاضى بهذا الشكل الاستفزازي بعروبتي وبعراقيتي اللتين عليّ إثباتهما بدوافع غير نزيهة، عنصرية وطائفية، فضلاً عن أن ساطع الحصري الذي كان قد غلب في قضية أنيس النصولي قد جاءته الضحية ليفترسها خصوصاً وهي قادمة من قبل عبد المهدي المنتفكي، فكان

---

(٨٦) تأسست المملكة العراقية بعد استفتاء أجري في العراق لاختيار ملك مقيد بدستور وذلك في ٢٣ آب (أغسطس) ١٩٢١، أما قانون الجنسية فقد تم تشريعه برقم ٤٢ في عام ١٩٢٤ وهو قانون غريب في نوعه.

انظر: كتابنا "عاصفة على بلاد الشمس" دار الكنوز الأدبية، ط١، دمشق، ١٩٩٤.

لابد له من الانتقام ولسوء حظـه ان جـاءت فعلتـه اللئيمـة هـذه مـع شـخص معروف مثلي، ليس في النجف فحسـب، بـل حتـى قبـل وصـولي إلى بغـداد، فرجال بغداد وصحفها كانوا على اتصال كبير بالنجف ومن فيها. وقصيدتـي "سجين قبرص" كانت قد وصلت إلى الملك فيصل الأول وهي تخص والده:

هـي الحيـاة بـإحلاءٍ وإمـراء | تمضي شعاعاً كزنـد القـادح الـواري
سَجية الدهـر والبلـوى سـجيتهُ | تقلـب بـين إقبـال وإدبـار
لم يـدر مـن أحسـنوا صُنعاً لغـيرهم | بـأن عقبـاهمُ عُقبـى "سـنمار"
ود الأبـاةَ وقـد سِـيموا مناقصـة | في الـروح لـو أبدلوهـم نقـص أعمـار
مـن ضـامن لـك والأيـام غـادرةٌ | أن ليس ينشب فيك السهم يابـاري
مـا للتمـدن لا ينفـك ذا بـدع | في الكون يأنف منها وحشةُ الضاري
كم ذا يُسمّونَ أحـراراً وقـد شـهدت | فعـالهم أنهـا مـن غـير أحـرار

ولسوء الحظ فإن هـذه المعركـة لم تكـن رابحـة هـي الأخـرى، وهكـذا لم يستمتع الحصري بلذة "الفوز"، بل مُني بالخذلان وبالمثل العراقي "نـامت عليـه الطابوكه" فابتعد ثم أصبح مدرساً في كليـة الحقـوق، وإذا عدنـا إلى الطائفيـة فإن المنتصريـن مـن أبنـاء السـنة لي ضـد الاجـراء الطـائفي كـانوا أكـثر مـن المنتصرين الشيعة، وكانت ضجة مدويـة في الصحافـة وبـين الأدبـاء والمثقفـين ومن الجهة الأخرى، ورغـم خطأ النصـولي إلا ان عـدداً مـن الطلبـة وقـف إلى جانبه ليس في أفكاره بل ضـد قضيـة الفصـل، وكـان ذلـك يعـني في الحـالتين الوقوف ضد النزعات الطائفية، وتلـك كـانت تحمـل البـذور الاولى للموقـف العقلاني، التقدمي من قضية الطائفية.

*** متمرد وعند الملك فيصل:**

*** كيف التقيت مـع الاتجـاه الجديـد، التقدمـي..؟ كيـف تقبلـك وكيـف تقبلته.. وامتزجت معه..؟**

** بعد تعييني عند الملك فيصل الأول، استقرت "الزوبعة" التي أثيرت حولي، فتصور اللطمة التي "أكلها" من أراد أن يشكك بعروبتي وبعراقيتي وإذ به يجدني عند أعلى المراجع للملك فيصل الأول "ملك الملوك" في الديوان الخاص، بدلاً من مدرس أو معلم ومفصول ومعتكف. ولم تكن المعركة في وزارة المعارف فحسب، بل انها شملت إذا جاز القول المملكة العراقية كلها. فبعد أن برمتُ وخرجت من جلدي جزعاً فإذا بالحياة تنفتح أمامي وتنحاز قطاعات كبيرة إلى جانبي وفي المقدمة منهم الملك الجليل. ولم يكن السيد محمد الصدر الشخصية الدينية والسياسية بعيداً عن ذلك، وهو المقرب إلى الملك فيصل والذي يدخل عليه بلا استئذان، بل يكاد يكون الوحيد الذي يستقبله الملك حينما يعرف بوجوده في البلاط ودون موعد مسبق.

لم تمر المؤامرة إذن تلك التي أريد لي أن أكون ضحيتها الباردة والمنسية مثلما حدث مع النصولي الذي لسوء حظه أنه جاء من بلد شقيق، أما أنا فقد كنت ولمدة سبع سنوات قد ملأت المحافل الأدبية والصحافة العراقية لدرجة أن اسمي اصبح مسموعاً ومقروءاً، ناهيك عن امتدادي التاريخي والعائلي والديني، لقد أصبحت من المقربين إلى الملك فيصل الأول، بل من أقرب المقربين فإضافة إلى رئيس الديوان رستم حيدر ورئيس المرافقين تحسين قدري وناظر الخزينة صفوت العوّه، وهؤلاء كانوا قادمين مع الملك من الخارج، كنت أنا الوحيد من بينهم الذي يناديني "ابني محمد" دليلاً على المحبة الخاصة، وبقيت في البلاط من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٣٠ حين قدمتُ استقالتي، وهي أطول مدة أمكث فيها في مكان واحد (وظيفة). خلال تلك الفترة كنت ألتقي بشلة المثقفين والتقدميين في المقاهي، حيث التلفتُ مع الجماعة وكنا نلتقي في بعض المشارب ونتبادل الأحاديث والآراء حول العديد من القضايا الاجتماعية.

* كيف تمت الصلة مع الملك فيصل الأول... هل احتجت إلى وساطة، أم هي لفتة إنصاف بعدما لحقك من إساءة، ورد اعتبار إلى اسمك وعائلتك؟

** حسناً فعلت بتذكيري بهذه اللقطة قبل أن نمر عليها، فقد تلقيت توصية من النجف بزيارة السيد محمد الصدر في بغداد، وهو صديق والدي ورجل واثق من نفسه، وكبير الشأن والمنزلة ودرس في النجف أيضاً، وفعلاً زرته واقترح علي الذهاب معاً إلى الملك فيصل الأول وفوجئت بذلك خصوصاً الرواسب التي لدينا حول الملوك وحياتهم وأنا كنت من الشباب الثائرين على الأوضاع. وبعد توجهنا شاهدت الاستقبال اللائق بالسيد الصدر وأنا تبع له. و لم يجر الحديث خلال الزيارة عما كتبته الصحف بشأن قضية الفتنة الطائفية رغم انني علمت ان الملك فيصل كان قد اطلع عليها يوم جاء إلى النجف. بعدها، وفي صدفة عجيبة وأنا أمشي في سوق الكاظمية وإذا بالسيد الصدر أمامي فسلمت عليه بما يجب فبادرني إلى القول... "هل ذهبتَ إلى الملك فيصل؟ وهل تعلم انه طلبك؟" فقلت أنا لم أذهب، ثم تسرعت بالقول "سيدنا هذا كذاب" فقاطعني ياابني إذا كان هو كذلك فهل هناك مانع أن تذهب وتقابله؟ فندمتُ وأجبته على الفور "لا سيدنا لا يوجد مانع أبداً" هذه اللقطة البدائية تدل على السذاجة وعلى قلة التجربة. فلم أكن سوى عمامة صغيرة، وعباءة خفيفة، وجيوب فارغة، وتجربة قليلة ولكن في داخلي ديوان شعر.

ذهبت إلى البلاط ولأول مرة ألتقي جعفر باشا العسكري، الذي اهتموا به كثيراً، حيث كان وزيراً للدفاع جميل الشكل والمحيا، وكان نائب رئيس التشريفات آنذاك السيد ناصر الكيلاني، وكان حديثهم يدور حول بدايات ظهور النازية وحانة ميونيخ وجرهم الحديث من التشريع والمجلس التشريعي أو مجلس النواب وإذا بهذا الشاب النجفي يتطفل ليُعرِّف بالرايخشتاغ، وليعرف بنفسه فيما بعد، ثم خاطبني بعد ذلك نائب رئيس الديوان وقال لي "نبارِكْ لَك" أي ان الأمر قد صدر، وهنا قال الملك قولته: "ابني محمد هذا جسر تعبر عليه، أنت هنا عندي تعبر من هذا الجسر إلى غيره..." وكرر الملك القول: ابارك لك. فأجبته شكراً سيدي، وإذا عدتُ إلى تلك السنوات لأجد أنه كان جسرا فعلاً، لكنني لم أحسن عبوره بينما عبره غيري حائزاً على كل المكاسب

ودون الكفاءات والاخلاص المطلوبين، وأتساءل الآن أيضاً كيف تحملني الملك فيصل طيلة ثلاث سنوات على تصرفاتي واندفاعاتي تلك، التي هي ارهاصات بل جنون شاعر، لا علاقة لها بالبروتوكول الملكي.

*** البلاط والغزل:**

* أنت عند الملك فيصل ونشرت قصيدة "النزغة" ثم "جربيني" وغيرها، كيف كانت تمر القضية؟

** تلك هي تصرفاتي المتناقضة وغير المسؤولة فلكل مقام مقال (كما يقال) والتزامات هذا المكان معروفة، لأنها تتصل بصميم الشخص الأول في البلاد، بالملك، لكنني كنت كما تعرفني: هذا أنا، فيَّ الكثير من العناصر المتفجرة، الطيبة، واعتزازي بكرامتي، والثقة بالنفس ولكنها جزء من أخطائي وصلت حد الغرور أحياناً، ودمرتُ جزءاً من حياتي.

كل هذا لأقول كيف تحملني الرجل؟ ومسالة "جربيني" أو غيرها لها قصة تستطيع أن تسميها تمرداً على الواقع "وحب الحياة".

* لكن ياأبا فرات... التمرد وصل إلى المغامرة بكل شيء وقد كنت معرضاً لكل الاحتمالات، سواءً في هذه القصائد أو قصيدة "الرجعيون" كيف استطعتَ اقتحام تلك الميادين في مجتمع يعاني من الركود والتمسك بأهداب العادات القديمة، بل وحتى البالية؟.

** كادت المغامرة التي أنا مفتونٌ بها أن تعرضني حتى للقتل، فقصائد الغزل أهون "شراً" من الثورة الاجتماعية التي كنت أدعو إليها بجرأة، خصوصاً في تحدياتي لمن نصَّب نفسه أن يتكلم باسم الدين ليمنع تأسيس مدرسة للبنات في النجف.

ستبقى طويلاً هذه الأزماتُ إذا لم تقصّر عمرها الصدماتُ
إذا لم ينلها مصلحون بواسلٌ جريئون فيما يدعون كفَاة
سيبقى طويلاً يحمل الشعب مكرهاً مساوئُ من قد أبقت الفتراتُ

قيوداً من الارهاق في الشرق أحكمت لتسـخيرِ أهليـهِ لهـا حلقـاتُ
ألم تـر أن الشـعب جـلَّ حقوقِـه هـي اليـوم للافـرادِ ممتلكـاتُ

تصور الأمر ماذا سيكون موقف الملك فيصل وأنا أتحدى بعض رجال الدين الذين وقفوا ضد افتتاح مدارس للبنات، ألم تكن تلك ثورة...!؟ بل هي ثورة حقيقية حين يتصدى شاعرٌ من المقربين للملك فيصل لقطاعٍ له تأثيره، رغم أنه على خطأ، لقد شعرتُ بصميم الغضب والثورة لقصة منع افتتاح مدرسة "وا لله العظيم في ليلة واحدة نظمتُ القصيدة" ووجدتها قد نُشِرتْ في جريدة العراق باسمي الصريح، أما "جربيني" فكانت باسمي المستعار، والأكثر من ذلك أنني كنت من عائلة دينية، فإذا بالملك فيصل في الصباح يتلقى سيلاً من البرقيات والاعتراضات من المتعصبين واليابسين وضيّقي الأُفق، بل أن بعضهم كانَ يقاتل كي يعاقبني، لكن شيئاً من ذلك لم يمسني كما تعلم سوى كلماتٍ ناعمةٍ استفسارية، منذ ذلك الوقت و لم يمض على وجودي في الوظيفةِ سوى عام ونيف حتى بدأتُ أتضايق وأضجر، بل شعرتُ أنها تكبلُني، وكأن ضوء الشعر يشتعل في داخلي ويدقُّ ناقوسهُ ليجدني متحفزاً مع نفسي، بل ضد نفسي التي أُريد لها أن تطير عالياً في سماء الشعر.

كان الملك فيصل متواضعاً، طيباً، رؤوفاً، واستطيع القول زاهداً، منضدته بسيطة وكراسيه عادية ينظفها أحياناً بريشته دليلاً على التواضع، وهذه صورة للمقارنة لما وصلت إليه أوضاعُ الزعامات لدينا، العليا منها والدنيا، حتى الصغار منهم يتشبهون بالكبار فيركبهم الجبروت والغرور والعجرفة والاستعلاء، بمجرد زيادة مسؤولياتهم، ويشمل ذلك حتى غير الحاكمين وأودُّ أن أشير إلى أنني عندما نشرتُ "جرّبيني" لم اقصد امرأة محددة، ولاتجربةً محددة وأكاد اقول أنني في ذلك الوقت لم أكن قد ذقت امرأة معينة، رغم سفرتين إلى ايران التي كانت في عزِّها وانطلاقاتها وجمالها، وكنت أنا في ريعان الشباب، جميلاً ومطلوباً من النساء، وجيبي ملآن بالتومانات الايرانية.

الحب الأول:

* أبو فرات... وتلك الامرأة التي لفّتْكَ بعباءتها وأنت في الثامنة... ماذا تسمي ذلك...!؟

** تلك قصة عجيبة كان حباً عارماً لم استطع النوم حتى تلفني بعباءتها، كانت من عائلة هويدي البغدادية وكنا نذهب في فصل الصيف إلى الكوفه منطقة "الجسر" قرب النهر، كانت جميلة، وتكبرني بحوالي عشر سنوات كنت قد توهمتُ أن ذلك عشقٌ، كانوا هم يأتون أيضاً لقضاء فصل الصيف بالقرب من البساتين وكنتُ انتهز فرصة نوم أهلي في الظهيرة لأذهبَ إليها، كانت تلك اقرب إلى صبوة من صبوات فتوتي التي بقيت أحلُم بها بعباءتها الحريرية وهي ملتصقةٌ بي على نحو بريء وبصمت مطبق.

* كم بقيتَ في سلك الوظيفة بعد البلاط وفي سِلْكِ التعليم تحديداً؟

** لم يدم عملي في سلك التعليم سوى ثلاث سنوات ونيف، تنقلتُ خلالها بين مدارس بغداد والكاظمية والبصرة والناصرية، وضقتُ ذرعاً وظلت الصحافةُ هاجسي الأول، والشعرُ كينونةَ حياتي، اصدرتُ وكتبتُ في عدد من الصحفِ، الفرات والثبات والجهاد والأوقات البغدادية والدستور، وصدى الدستور، والجديد والعصور، وكانت أهمُّ المحطات وأكثرها معمرةً هي الرأي العام.

الجواهري والسياسة:

* وماذا عن العمل السياسي؟ فمن المعروف أنك رافقتَ عبد الفتاح ابراهيم في تأسيس حزب الاتحاد الوطني في عام ١٩٤٦، والحزب الجمهوري في عام ١٩٦٠، وكنت أحد أبرز شخصيات منظمة أنصار السلام في بداية الخمسينات ورئيس حركة الدفاع عن الشعب العراقي في براغ بعد انقلاب ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣... أين تضع نفسَك في هذا الإطار؟

** بعد سقوط الفاشية وانتعاش المناخ الديمقراطي والليبرالي الجديد، شكلنا حزباً باسم الاتحاد الوطني وهو ذو منحى تقدمي مستقل، حيث شكّل الوزارة آنذاك توفيق السويدي في ٢٣ شباط عام ١٩٤٦ وكان وزيرُ الداخلية صديقي السيد سعد صالح، الذي أجاز خمسة أحزابٍ سياسية وعدداً من الجمعيات والنقابات، وكانت وزارةُ السويدي تلك اقرب إلى الأجواء الجديدة التي ساعدت على حرية الصحافة، لكنها سرعان ماتعرضت إلى ضغوط واستقالت بعد ثلاثة اشهر ونيف (٣٠ أيار ـ مايو ـ ١٩٤٦)، وأعقبها أرشد العمري الذي صادر الحريات وضيّق على حرية التعبير ونشاطات الاحزاب مستخدماً بعض التظاهرات المعادية لبريطانيا ذريعةً لإجراءاتِه التعسفية(٨٧).

أما عن الحزب الجمهوري فقد قدّمنا طلباً للحصولِ على إجازةٍ لممارسةِ العمل السياسي القانوني والشرعي بعد أن شُرِّعَ قانون لاجازة الاحزاب والترخيص لها.

لكن هذا الطلب رُفضّ من قبلِ وزيرِ الداخلية (محمد أحمد يحيى) بناءً على توجيهٍ من عبد الكريم قاسم، وكانَ الفتورُ قد بدأ في علاقته معي، خصوصاً بعد أن ركبه الغرور.

وكان الأمرُ محلَ استغرابٍ شديد(٨٨) .

---

(٨٧) ـ دامت وزارة أرشد العمري (الأولى) من ١ حزيران (يونيو) ١٩٤٦ حتى ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) من العام ذاته، اعقبتها وزارة نوري السعيد (التاسعة) التي ابتدأت من ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٦، وقدمت استقالتها بتاريخ ١١ آذار (مارس) ١٩٤٧.

(٨٨) ـ رُفض طلب ترخيص الحزب الجمهوري في شباط (فبراير) ١٩٦٠ وقدم وزير الداخلية انتقادات للحزب بخصوص برنامجه بشأن الحياة البرلمانية وموقفه من حقوق الأقليات، التي كانت متقدمة على ماورد في الدستور المؤقت ومن الجدير ذكره أن محمد أحمد يحيى تولى وزارة الداخلية في وزارة الزعيم عبد الكريم قاسم الثانية التي شكلت في ٧ شباط (فبراير) ١٩٥٩ بعد استقالة الوزراء القوميين، واحتفظ الوزير بمنصبه هذا في وزارة الزعيم عبد الكريم (الثالثة) التي شكلت في ١٣ تموز (يوليو) ١٩٥٩ وظلت في الحكم حتى انقلاب ٨ شباط (فبراير) ١٩٦٣ مع بعض التعديلات عليها.

أما في الخمسينات فقد اندلعت حركة عالمية للدفاع عن السلام العالمي ضد خطر الحروب، وكنت من الرواد الأوائل الذي دعوا إليها في العراق، ونظمت الحركة في حينها حملة تواقيع بعشرات الآلاف، وكان الاتجاه اليساري هو البارز فيها بامتداداته العالمية، وضمت الحركة على المستوى العالمي من الفنانين والمثقفين شخصيات بارزة أمثال، بيكاسو ونيرودا ومدام كوري الذين التقيتُ بهم في مؤتمر المثقفين في وارشو..

وكانت حركة الدفاع عن الشعب العراقي قد شُكّلتْ في براغ بعد انقلاب رمضان ١٩٦٣ من نخبة من المثقفين اليساريين والأكراد، بينهم عزيز الحاج وذو النون أيوب وجلال الطالباني وفيصل السامر والدكتورة نزيهة الدليمي وغيرهم، وذلك بعد حملة التنكيل التي تعرض لها الشباب التقدمي في العراق، ومع أنني اختلفتُ مع بعض التوجهات في وقت مبكر إلاّ أنني بقيتُ اسمياً رئيسها.

أنا لاأعتبرُ نفسي سياسياً محترفاً، مارستُ السياسة وكنتُ في أُتونها، بل من أشد المتضررين منها، لكنني مع ذلك لم أكن سياسياً محترفاً، ولم أعرف الألاعيب والحيل السياسية.

سياستي هي قصائدي، وشعري هو مواقفي وكل شيء فيه مُعلنْ وواضح كنور الشمس.

صمام الأمان:

*** ماذا عن قصة القصيدة الدبدية الشهيرة "طرطرا" التي أثارت ضجة في أواسط الاربعينات؟**

** كان الجو السياسي مملوءاً بالنفاق والتزلف والخنوع لاصحاب المراتب العليا. وكان الركض وراء المناصب دافعاً كبيراً للبعض. اما المعارضات فلم تكن بمستوى المسؤولية. وكان بعضها يترك مكانه لمجرد التلويح له بمقعد في المجلس أو في

الوزارة. كانت بعض الأشياء أقرب إلىالابتذال، لقد تعاون مصطفى العمري وصالح جبر على اغلاق جريدتي "الرأي العام" مما أثار حزناً عميقاً لدي، وحين زارني عبد الكريم الدجيلي وصديق آخر وجداني أخط بعض الأبيات بصورة ساخرة واستهزائية وبكلمات شعبية "طرطرة" توصيفاً للسياسة وطرطور للسياسيين الملفقين. ونبّهاني إلى اهمية الابيات التي اكملتهاوالتي تسخر من الحكام!

وحين اكتملت القصيدة وكانت الراي العام قد عاودت الصدور أعلنت بان قصيدة "طرطرا" ستنشر غداً. والواقع فانني استثمرت وجود صديقي سعد صالح (جريو) وزيراً للداخلية وهو من السادة آل جريو في النجف، فنشرت القصيدة، وتهافت باعة الصحف على مقر "الرأي العام" تهافتاً اضطر معه حرّاس المطبعة لغلق الابواب. ويقال أن بعض النسخ بيع بدينار واحد (أي الف فلس في حين كان سعر الصحيفة بـ ١٠ فلوس آنذاك).

وجرى الاستعداء علّي بعد القصيدة لدى الأمير عبد الاله الوصي على العرش... لكنه لم يحرك ساكناً واستثمر القضية للمناورة ضد خصومه وذلك لتوافقها مع مايحمله من ازدراء واستخفاف ببعضهم، خصوصاً وقد علمت بأنه شغف بالقصيدة وكان يهدد بها الخصوم بالقول: أتسكتون أم ترغبون في طرطرا وذلك بمحاولة لكشف الأوراق. وعلمت بعض تلك التفاصيل لدى "حفلة أم كلثوم" الخاصة في قصر الزهور، حيث طرحت مسألة عضويتي بالمجلس النيابي.

أيْ طرطـــــرا تطرطـــــري　　　تقدّمـــــي، تـــــأخري
تشـــــيعّي تســـــنني　　　تهـــــوّدي تنصّـــــري
تكـــــردي تعّربـــــي　　　تهـــــاتَري بـــــالعنصرِ

تعممـــــــي، تَـــــبَرنطي تعقلـــــي، تســــــدري[89]

إلى أن يقول:

إن قيـــــل إنَّ مجدهـــــم مزيـــــفٌ فـــــأنكري

أوقيـــــلَ أن بطشـــــهم مـــن بطشـــه المســـتعمر

وإن هـــذا المستعيـــــــ ـــــر صولـــة الغضَنفَـــرَ

أهـــونُ مـــن ذبابـــةٍ في مســـتحم قـــذِر

فهـــي تطـــير حُـــرّةَ جناحهـــا لم يُعَـــرِ

وذاك لـــو لم يستـــعِر جناحهـــا لم يطـــر

فغـــالطي وكـــابري وحـــــوّري وزوّري

وقبل ذلك كانت القيامة قد قامت عندما ألقيت قصيدة "ابوالتمن" وكانت هذه المناسبات مدخلاً للافصاح عن آرائي وللتعبير عن وجهات نظري ازاء القضايا العامة. وجئت لحفل "أبو التمن" ووجدت في القاعة وجوها عديدة من الشخصيات والزعامات والحاكمين وفي المقدمة منهم نوري السعيد.

---

(89) ـ تعممي (نسبة إلى العمامة) وتبرنطي نسبة إلى البرنيطة (غطاء الرأس الاوربي) وتعقّلي نسبة إلى (العقال والكوفية). وتسدّري فهي تعود إلى "السدارة" وهو غطاء للرأس هندي الأصل في أغلب الظن والقصيدة جاءت على وزن

أي دبدبـــي تدبدبـــي أنـــا علـــي المغربـــي

وقد نظم السياسي المعروف عزيز الحاج سكرتير القيادة المركزية للحزب الشيوعي قصيدة على منوالها عندما كان في قصر النهاية بعد القاء القبض عليه أوائل عام ١٩٦٩ ونشرتها مجلة الصيّاد في حينها:

أيَ بيـــتر، تبيـــتري تبيـــتري وعبري عن حقدك الاسود مالم تقدري

بـالامس كنـت بيننـا شـقاوة كعـنتر . . . .

والمقصود هنا رفيقه في القيادة بيتر يوسف.

ومن الجدير بالاشارة إلى ان قصيدة طرطرا للجواهري، كان قد نظمها في عام ١٩٤٥ ونشرت في ٢٤ آذار (مارس) ١٩٤٦.

وهناك تفجّر الغضب والتحدي العنيف.. وأتساءل الآن كيف تحمّلوا ذلك؟ وكيف نشرت عدد من الصحف الوطنية ماقلته آنذاك وهو "مالم يقله موسى بفرعون"!؟

قسماً بيومكَ والفرات الجاري ... والثورةِ الحمراء والثوّار

وهنا تحول حفل التأبين إلى هتاف وتصفيق على غير العادة. وهنا خاطبت الساسة المتفرعنين قائلاً:

شاخ الشبابُ الطيبون وجُددّتْ ... فيها شبيبةَ شيخةٍ أشرار
وبدا على وجهِ الحفيد وجدّه ... للناظرين تقارُبُ الأعمار

وعرفت أن نوري السعيد قد إنسحب وأنا أواصل إلقائي:

خمسٌ وعشرون انقضتْ وكأنها ... بشخوصِها خبرٌ من الأخبار
ضقنا بها ضيق السجين بقيدهِ ... من فرْطِ ما حملَتْ من الأوزار
من كان يحسبُ أنْ ترَيَد رعيّةَ ... في ظلّ دُستورٍ لها وشعار
مايَطلَبُ المأسورُ من يدِ آسرٍ ... إسداءَ عارفةٍ وفكَّ إسار(٩٠)

وبعد الانتهاء من القاء هذه القصيدة التي أثارت ضجة كبرى، عرض عليَّ صديقي سعد صالح الشخصية المعروفة ورئيس حزب الاحرار، والذي اصبح وزيراً للداخلية بعد اسابيع أن اذهب معه إلى بيته للاستراحة أو القيلولة ادراكاً منه للعواقب المحتملة جَرّاء غضب الحكام ونقمتهم، بسبب هذه القصيدة، وفعلا ذهبت معه فافترش لي فراشاً نظيفاً في صالون الزُوّار، لكنني لم اتمكن من

---

(٩٠) ـ لنمعن النظر فيما قاله الجواهري قبل نصف قرن بالتمام والكمال:

نُصر الجنوب فقيل كيدُ خوارج ... وشكا الشمال فقيل: صنُع جِوارِ
وتنابز الوسط الُدِلُّ فلم يدع ... بعض لبعضٍ ظِنّةً لفخار
ودعا فريق ان تسود عدالةٌ ... فرموا بكل شنيعة وشنارِا

النوم فانتفضتُ مرتدياً ملابسي غادرتُ بيتَه الواقع في الصالحية، مشياً على الاقدام الى بيتي الواقع في محلة الجعيفر في الكرخ ايضاً. فقلق عليَّ الرجل وهاتفني مستفسراً وللاطمئنان، فقلت له. "ياأبو لؤي أنا مغامرٌ طيلة حياتي وأتوقع كل شيء واذا اختفيت عندك اليوم أو عند غيرك غداً فماذا سيكون بعد غدا!"

ذهبتُ بعدها الى الصحيفة وعلمت أن أمراً بالقاء القبض قد صدر عليَّ، ولكن الاكثر من هذا أن صحيفة الرأي العام نشَرتها في اليوم التالي كاملةً على صفحتها الأولى[٩١] ، ولكنني عُدت إلى البيت و لم يمسَّني أحَدٌ، رغم أن إجراءاتٍ كانت تُتخّذ لتحريكِ الدعوى. ولك أن تتصور لوجرى مثل هذا الأمر الآن أو عُشر مِعشارِه ماذا ستكون العواقب...! هذه اسئلةٌ علينا التفكير بها بعد تجربتنا الشاقة والمريرة.

ثمن القصيدة

* استاذنا ... كيف تتوازن مع نفسك وكيف تتفاعل مع بعضك وانت في هذا التحدي...؟ ماهو ثمن القصيدة الوجداني...؟ وماهو ثمنها الاجتماعي-الواقعي؟ وباية حالة تكون؟ وضمن أي دائرة من المعاناة تتحرك...؟

** أعيشُ أولاً في عالم الشعر، وثمن القصيدة وجدانياً هو تسامي الروح وانسجامي مع نفسي، فليس ثمة أجمل من أن ينسجم الانسان مع نفسه، ولكن ليس بامكان المرء أن يكون هكذا دائماً، أما على المستوى الفعلي أو

(٩١) ـ أُقيم الحفل التأبيني (الأربعيني) للوعيم الوطني محمد جعفر ابو التمن في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٦ ونشرت القصيدة في صحيفة "الرأي العام" في العدد ١٤٢٢ في ٦ كانون الثاني (يناير) من العام نفسه، وصادف ذلك يوم تأسيس الجيش العراقي، وقامت بعض الصحف بنشر القصيدة في اليوم التالي، كما نشرتها في حينها مجلة "الكاتب المصري" في القاهرة التي كان يرأس تحريرها الدكتور طه حسين.

الواقعي فاثمان قصائدي باهظة أدفعها بالمُعجَّل لابالمؤجل، وكلُّ قصيدة رقيقة أو قطعة تحدٍ رائعة، أربحُ عالماً بكامله هو عالم الفن وأخسرُ الكثير من الامتيازات، بل تضيق عليَّ السبل.

إن كل قصيدة هي ثمرة نكسه أو فاجعه أو نتاج موقف، فمثلاً كانت قصائد المرحلة الاولى من حياتي في النجف قد عكست طبيعة تلك الفترة القلِقة، المتمردة، المتناقضة، أما المرحلة الثانية فابتدأتْ بوصولي إلى بغداد والفتنة التي صاحبت مجيئي بين المدير (مدير المعارف ساطع الحصري) والوزير (عبد المهدي المنتفكي) ثم استمرت خلال وجودي في البلاط، وخسرتُ مكاني لكنني توجهتُ بعدها إلى الصحافة وبدأت ملامحي المتميزة تفرض نفسها على الواقع الادبي والثقافي منذ أواسط الثلاثينات، حتى أنني بسبب ذلك دخلت في القائمة السوداء، وانقطع الراتب الذي كنت اتقاضاه من الملك فيصل الاول حتى بعد خروجي من البلاط، وتحول ماكان أولّهُ حب إلى حقد وكراهية، يمكن القول أن حبلِ الود قد انقطع بين الملك وبيني إذ أنني "لم أطِعْ أمرَهْ ولم اسمعْ كلمتَهْ، ولم أخذْ نصيحته واعتبرتُ هذه القضية، قضية كرامةٍ وليست قضية معيشة" ثم كان ماكان بعد انقلاب بكر صدقي عام ١٩٣٦، واصداري جريدة الانقلاب، ثم نقدي لبعض الظواهر فيما بعد.

ولم يبق معنىً للمناصب عندنا سوى أنها مُلكُ القريب المصاهرِ

وكانت طباعٌ للعشائر ترتجى فقد لوَّنت حتى طباع العشائرِ

ثم جاءت قصة النيابة ووجدتني اذهبُ ضحية الخديعة ايضاً، مصدِّقاً وعوداً كان قد قطعها لي الأمير عبدالاله وعدتُ خائباً، منكسراً، حزيناً، لكنني ربحت مقابل ذاك قصيدة أو ملحمة "المقصورة".

المقصورة التي تزيد على الأربعمائة بيت، لكن أكثر من مائة بيت أطارته الريح، ليختلط مع مياه نهر دجلة اثناء اشتغالي بتنقيح مُسوَّدتها، حيث كنتُ

أسكن داراً مُطلّة على النهر، وضاعَ حوالي خمسين بيتاً عند تدويـن خواطـري وأوراقي الخاصة[٩٢] في وقت لاحق.

برغـم الإبـاء ورغـم العُلـى ... ورغـم أنـوفِ كِـرامِ المَـلا
ورغـم القلـوبَ الـتي تستفيـ ... ـضُ عطفاً تحوطَكَ حَوْطَ الحِمى
وإذ أنـت ترعـاكَ عـين الزمـان ... وَيهفُـوُ لجرْسِـكَ سمْـعُ الدُّنى
وتلتـفُ حولـك شـتى النفـوسَ ... تجيـشُ بشـتى ضـروب الأسـى
أقـولُ لنفسـي ــ إذا ضمّـهَا ... وأترابهـا مِحفـلٌ يُزدهـى:
تسـامَيْ فـانكِ خـيرُ النفـوس ... إذا قيـسَ كـلٌ علـى مـاانطوى
واحسـنُ مـافيك أنّ "الضمـير" ... يصيـحُ مـن القلـب إنـي هنـا
تسـاميْ فـإنَّ جنـاحيك لا ... يَقِـرّانِ إلا علـى مرتقـى
سـلامٌ علـى هضبـاتِ العـراق ... وشـطيهِ والجـرفِ والمنحنـى
على النخـل ذي السعفاتِ الطوالَ ... علـى سّـيدِ الشـجرِ المقتنـى
علـى الرُّطـبَ الغـضِّ اذ يجتلَـى ... كَوَشْـي العـروسِ واذ يُجتنـى
علـى الجسـر مـاانفكَّ مـن جانبيـهِ ... يُتيـحُ الهـوى مِـنَ عيـونَ المهـا
فيـاَليتَهُنَّ الـذي يعتـدي ... ويـاليتَك الرِّجُـل المعُتـدى

لقد نضجت هذه الثمرة، بل بلغتْ ذروتها موحيةً بولادة شي جديد اعـتز بـه، واقـول. "لوذهبت دواويـني كلهـا لبقيـتْ "المقصورة" فهـي ملحمـة، سـلم منهـا كماذكرت قرابة مائتين وأربعة وخمسين بيتـاً، كنـت اتطلـع كيـف تداعـب أمـواج دجلة الابيات الطائرة، وكأنني اختلط ودجلة بذات الهم، ولم أَسْعَد في بيـت بحيـاتي كلها مثل ذلك البيت في الجعيفر وعلى النهر "يارب مأأجمل هـذا البيـت، قصـائدي الرائعة في الاربعينات كلها كانت في هذا البيت. "المقصورة" ، "المعرّي"، "حيفـا"و "دجلة في الخريف"، "ولى الشباب"، "سواستبول"، "ستالينغراد".

(٩٢) ـ نظمت "المقصورة" في أواسط عام ١٩٤٧ ونشرت الصحف العراقية مقطوعـات منهـا، كما قامت صحيفة "الرأي العام" بنشرها في عددها الصادر ١١ آب (اغسطس) ١٩٤٨.

لقد كنتُ مثل جمرة من غضب ونار بعد ترشيحي للنيابة وخسارتي لها (عن لواء كربلاء) وبقصة طويلة رُشِّح أمامي عبد الرزاق شمسة رئيس بلدية النجف وهو صديقي، ولكنها كانت خدعة فانتفضتُ وجاءت "المقصورة" التي تساوي عندي "نصف الدنيا" مقابل خسارة زهيدةٍ ورخيصة.

ألا مِن كريمٍ يَسُرُّ الكرامَ — بجيفةِ جلفٍ زَينمِ عَتا
فياطالما كان حَدُّ البَغيِّ — يُخفِّفُ مِن فحشِ أهلِ البغا
بماذا يخوِّفني الأرذلونَ — ومِمَّ تخافُ صِلالُ الفلا؟!
بلى! إن عنديَ خوفَ الشُّجاعِ — وطيشَ الحليمِ، وموتَ الرَّدى
إذا شئتُ انضجتُ نَضجَ الشِّواء — جلوداً تقصَّتْ فما تَشتوى

حركة عام ١٩٤١ ومعيار الجواهري:

* أبا فرات... قبل أن ننتقل الى موضوع آخر، ماهو موقفك من حركة عام ١٩٤١ عند اندلاعها ضد البريطانيين، فكما نعلم انك غادرت العراق بعد فشل الحركة، مع تحفظاتِك وانتقاداتك هنا وهناك...؟!

** بدأت مضايقات رشيد عالي الكيلاني لي بعد الحركة مباشرة، بهدف تطويعي واحتوائي، وهو المحسوب على العائلة المالكة، لكنه اخذ يميل إلى المانيا النازية ونسج أوثق العلاقات مع سفيرها (غروبا)، الذي اخذ يؤثر في السياسة العراقية في أواخر الثلاثينات وحتى الحركة، في حين كان رشيد عالي الكيلاني لمدة عشرين عاما ممالئاً للانكليز، ومتوافقاً مع نوري السعيد رجلهم الاول، وكان عندما يخاطب العائلة المالكة يوقّع "عبدكم المخلص" ولك أن تتاكد من الأمر واظنك قد اطلّعتَ على ذلك في كتاب السيد عبد الرزاق الحسني "تاريخ الوزارات العراقية" فانا راجعتُ الامر بنفسي وقرأت تذييله (خادمكم المطيع) وذلك قبل بضعة ايام فقط من حركته المعروفة.

انا كما هو معروف ضد الانكليز وسياستهم المعادية للشعب العراقي، اتذكر المثال الشهير الذي أثار ضجة عن "العجوز الشمطاء التي تتوكأ على عصاها في طريقها إلى قبرها". وأعني بذلك بريطانيا، وقصتي معروفة بما نلته على ايدي الحكام، كما هي حصة الصحف التي اصدرتها، كما ان موقف الكيلاني من بريطانيا معروف، فاخذ يضغط عليّ بعد حركته[٩٣] فاراد أن يورطني كما ورّط الشاعر الرصافي الجليل، الذي مات وشمس تموز المحرقة على سريره، في منطقة الميدان (المعروفة) ببغداد، وحسب قناعتي ان لرشيد عالي الكيلاني سبب بذلك، اذ أجبرهُ على لقاء مالايشتهي ومع ذلك فهو موقف عابر، فالرصافي في مكانته التي تشفع له وماضيه الكبير وانسجامه مع نفسه، لكنه كان يتألم بسبب ذلك.

يوم كتب الرصافي "طاروا بأجنحه الأجانب" ويقصد العائلة المالكة وهو ما كان يريده لاسباب شخصية رشيد عالي الكيلاني، الذي خدمهم بطاعة. وهذا ماكان يطلبه رشيد عالي مني ايضا، الذي كان مستعداً في سبيل شهوة الحكم أن يهلك كل شيء واذا به يستدعيني ويطلب مني كتابة قصيدة، أو بعض الابيات بحق العائلة المالكة "وكأنني شاعرٌ تحت الطلب" وقال لي بالحرف الواحد "انت قمت بواجبك بأكثر من الواجب في صحيفتك، هذا شيء ولكن المطلوب منك وانت الجواهري، شاعر العراق، وشاعر الوطن قصيدة أو بضعة أبيات...".

---

(٩٣) ـ بدأت حركة رشيد عالي الكيلاني في ٢ أيار (مايو) ١٩٤١ وعُرِفت باسم "حركة مايس" حيث تحرك الجيش للمرة الثانية بعد انقلاب بكر صدقي بقيادة العقداء الأربعة "المربع الذهبي" ثم بدات الحرب العراقية البريطانية، وأعيد الأمير عبد الاله بعد هربه وأُسر عدد من الضباط العراقيين في قاعدة الشعيبة، واعدم العقداء الاربعة وانزلت الاحكام الثقيلة بالبعض الاخر، واستطاع رشيد عالي الفرار الى تركيا ومنها الى المانيا، ثم تنقل بين مصر وسوريا واستقر في الخمسينات في السعودية حتى عاد الى العراق بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨. انظر: كتابنا "الصراع الايديولوجي في العلاقات الدولية" دار الحوار، اللاذقية ١٩٨٥.

كـان الحديث الاول بمثابة رشوة مُقدَّمة سلفاً، وكنت اعرف تجربة الرصافي شاخصة أمامي، فرفضت وحتى لو قال لي اشتم لورنس، فلا اشتمه أو لو طلب مني، شتم الانكليز وانا المعارض لسياساتهم لمـافعلتُ ذلك، أخذ يتضايق وألح علي، ثم أشار باصبعه، "ولو بيتين" وهي أقرب الى التوسل مع انها تحمل التهديد. فعدت الى المنزل وقلت لهم "اجمعوا أسبابكم "أي حاجاتكم" وذهبنا الى النجف وتوقفت صحيفة "الرأي العام" وهو ماله علاقة بقصة خروجي من العراق، وحينما عادت الامور بعد الحرب العراقية البريطانية، طلب مني القادمون الى الحكم من جديد اعادة "الرأي العام" باتصال تليفوني بين بغداد وقائمقامية النجف (حيث لم يكن في بيتنا تلفون) فقلت: اغلقتها أيام رشيد عالي الكيلاني ولست مستعداً أن أُعيدَها الآن والجيوش البريطانية داخل بغداد، وفي كل بيت نكبة حيث نُهبت بغداد واستُبيحتْ، خصوصاً بعد حملة سلب اليهود "الفرهود"، قالوا: اذا كانت الامور المادية غير متيسرة فنحن مستعدون... اجبتهم لو فُرِشت الارضُ ذهباً فلست مستعداً، ثم استدعيت الى بغداد وفيها قابلت مدير الاعلام (نور الدين محمود) فقال: يريد ان يقابلك المدفعي (ابو سعد)، وعندما قابلته كررتُ رأيي، ثم حولني الى الشيخ محمد رضا الشبيي، باعتباره شاعراً واديباً فقلت له الكلام نفسه، هكذا كما تلاحظ اصبحتُ مطلوباً، ولكني بدأت اشعر أن هذا الرفض شديد الوطأة على الحاكمين، الذين كانو ضدي وضد امثالي، خصوصاً وانهم قادمون مع "الحملة البريطانية"، فقلت للعائلة مرة ثانية "اجمعوا أسبابكم، وهذه المرة ليس الى النجف، بل الهجرة الى ايران، وهذه خلاصتها وبدايتها ونهايتها، ونهايتها معروفة، الى ان جاءت الوثبة والدم، ويوم الشهيد، والمجلس النيابي، وانا أبيع السماور العتيق وأمامي النواب الجُددُ بسياراتهم الجديدة، وكذلك بعض الاحزاب المزعومة والاحكام العرفية...

وانا ابيع السماور العتيق لانني قلت لا، لأريد النيابة، ولاقبل التزييف، واعتقد ان دواويني في الاربعينات تختصر هذه القصص.

استلهامات:

* أبا فرات... بعيداً عن السياسة يلاحظ رُغم المنابع الثقافية، العربية والاسلامية البارزة ان هناك استلهامات من الادب العالمي، هناك مثلا الكاتب الفرنسي "بيير لويس" الذي إستشهدت به، ورائعة افروديت التي هي ملحمة حقيقية، وستبقى خالدة بما تحويه من عناصر ابداعيه وجماليه، كذلك استعارتك من (أميل زولا) وغيرهم ... كيف اطلعت على الادب العالمي!؟.

** يوم كنت في النجف وانا بعِمَّةٍ ولحيةٍ خفيفة، وشارب صغير، كنت التهم هذه الكتب حتى عجبت عندما سألتُ في بغداد مثقفين بارزين... هل قرأتم كتاب الأوباش لأميل زولا؟ قسم منهم لم يسمع به... وقسم لم يقرأهُ... هل قرأتم كتاب (جين لويس) عن حرب النجوم أو اللصوص لشيلر فكان الجواب في الاعم الاغلب... لا، رغم ان بعضهم يعرف اللغة الاجنبية.

* أبا الفرات... ألم تقرأ شكسبير!؟

** قرأتُ كتب شكسبير كلها ولم يفتني واحد منها، كما قرأتُ بايرون، وشيلر، وغوته، وهولدرن وآليوت، وكل ماكان يقع بين يدي وانا الى الان معجبٌ بما يترجم عن الحضارة الاوروبية وعن الثقافة والادب الاوروبي.

* وماذا عن آليوت ودوره في الشعر الحديث!؟

** لقد قرأته متأخراً ولكنني معجبٌ به واعود الان الى افروديت التي تمتاز بحرارة الشباب وعرامة الحب.

* بعد اكثر من نصف قرن افروديت مازالت حية وستبقى خالدة[٩٤] .

** لن ياتي احد بمثلها!!

ثُمّ نادت "جالا"
وكانت من الرّقةِ
كالماء إذ يَهُزُّ الخَيَالا
من بَناتِ "الهنود"
تعرف مايُرضي الغواني..!
ومايَزينُ الجمالا..!
منَ أتَى أمس..!
خبرّيني
ألا تدرينَ..؟
كلاً.. فلستُ أُحصي الرّجالا..!!
أجميلٌ فلم أُمتّعْهُ
إذ نِمْتُ عميقاً ممّا لقِيْتُ الكلالا؟
ومتى راحَ..؟
في الصباح..؟
ألا يرجع..؟
ماذا أبقى..؟
أغادَرَ شيًا..؟
ناوليني أساوري
فأتتها بصُنَدِيَق.. أودعتْهُ حُليًا
دفعتْ عندَها ذراعين
سُبْحانَ الذي يخلُقُ الجمالَ السّويًا!!

وهنا أود أن أنقل لك القصة التالية: تعرفت على اسكندر الرياشي صاحب صحيفة "الصحفي التائه" الواسعة الانتشار آنذاك في سورية ولبنان

---

[٩٤] ـ الاصل في هذه القصيدة هي قصة للكاتب الفرنسي بيير لويس، الذي ترجمها الى العربية محمد الصاوي، نظم منها الجواهري ست قطع، ثلاثا في عام ١٩٣٢، نشرت في جريدة الاهالي وثلاثا في عام ١٩٤٦ ونشرت في صحيفة "الرأي العام".

والعراق وغيرها من البلدان العربية. وكان الرياشي ملّماً بالادب الفرنسي ومهتماً بالكتابات عن الحب والغزل، بل يعرف هو دروبه وكهوفه ومساراته. وكنت قد سمعت انه قد نقل بعض المقطوعات الشعرية، التي كنت اكتبها في صحيفة "الاهالي" الاولى، التي نشرت افروديت والتي كان يصدرها الشباب التقدمي آنذاك، امثال حسين جميل وجميل عبد الوهاب وغيرهما. وكان هؤلاء يأتون اليّ ويأخذون قطعة للنشر حيث كنت في قلم التحرير في وزارة المعارف آنذاك (١٩٣٢). وقد أثارت القصيدة ضجة في بغداد وكانت الاهالي تنفذ من الاسواق بعد ساعة أو أقل لنشرها تلك "القطع الجريئة".

وحين تصادف وجودي في لبنان، في احدى المرات، زرت الرياشي وكانت مفاجأة له فقد قال لي "...صدّق ان افروديت كانت أجمل من الاصل الفرنسي لبيير لويس... ربما استطعت أن تولّف ذلك بحرارة الحب الشرقي والعاطفة الساخنة..." ثم ذكر لي أن لديه اكثر من ترجمة، لكنه لم يجد واحدة منها تساوي افروديت. وهي شهادة أعتزبها.

اما "الاوباش" فقد كانت مؤشراً على نضوج الفكر التقدمي لدّي... ربما كان موجوداً أساساً منذ وقت مبكر، لكنه تعمق فوجدت نفسي في قصيدة الاوباش المقتبسة من قِصة الاوباش للكاتب الفرنسي "أميل زولا" والقصة تدور حول إظهار الصفات الكريمة والاصلية لدى الفئات الشعبية، والتي يسمونها "الرعاع" احياناً أو "الاوباش" في بعض الاحيان. وقد نشرتها جريدة العراق في ٢٩ أيار (مايو) ١٩٣١.

اتَصلِحُ ماالطبائعُ أفسدَته ... قوانينٌ مفسَّخةٌ هُراء
وماذا غيَّرت نَظمٌ وهذي ... حياتُكَ جُلُّ مافيها شقاءُ
وماعُدِمَ الهناءُ بها ولكن ... تَنوزِعَ فيه فاحتكِرَ الهناء
ولم تتفاوتِ الطبعاتُ الا ... لتنحصرَ الرِّفاهةَ والنماءُ

وأعتقد أن مواقفي تلك الواضحة والجريئة قد جلبت لي خصوماً كثيرين وكان ماكان من حقد وحسد تعرضت لهما.

العبقرية والعزل:

* أبا فرات، لقد شهدت الاربعينات ذروة النضج والتكامل فكانت "المقصورة العظيمة" و"أبو التمن الرائعة" و"المعري" و"أجب أيها القلب" و"أخي جعفراً" و"يوم الشهيد" و"سواستبول" و"دجلة في الخريف" و"يافا" و"طرطرا" و"الوتري" وغيرها..! هل كان ذلك بفعل الجو العام وفترة الحرب والحريات النسبية بعدها وإجازة بعض الاحزاب والجمعيات وإنفتاح الصحافة، أم له علاقة بالوضع الخاص وإمتلاكك ناصية الشعر وتمكنك من أدواتك لدرجة اطلق عليك الرصافي "رب الشعر"!؟

** الاثنان معاً. العام والخاص واشدد هنا على المقصورة، التي أعدّها نقلة نوعية مختلفة ومتميزة. وإذا كانت تلك القصائد، كما أشرت في تقديمك ينبغي أن تكون معلقات وتكتب بماء الذهب وتعلق في الساحات العامة، لكن الواقع كان شيئاً مؤسفاً وأليماً، ليس على مستوى الساسة والحكام بل على مستوى الاعلام والنقاد أيضاً. وكانت هناك محاولات لتغييبي وظلّت إلى أيامنا هذه سواء في الاذاعة وفيما بعد في التلفزيون أو في الكتب والمناهج الدراسية في المدارس والجامعات. وقد سمعت أحد الجامعيين يتحدث من دار الاذاعة حين سُئل لمن تقرأ من الشعراء فأجاب: من الشعراء القدامى أقرأ لأبي تمام وحين سُئل من المعاصرين قال أقرأ لاحمد شوقي وحافظ ابراهيم وهكذا كان البعض في كل مكان يتحدث باللغة التي يريدها المعنيون أو القائمون على الأمر.

* بتقديري أبا فرات أن هناك سببين لمحاولات العزل أو التهميش الأول: متعمد وقصدي بلا أدنى شك وهو محاولة للتغييب لسبب يتعلق بالمواقف

والحضور الثقافي والفكري. والثاني: هو الجهل الذي يجلب معه التعصب. وبين هذا وذاك توجد أكثر من وشيجة.

** وأقول لك إن ذلك لم يكن يجري بمعزل عن أجهزة ومخططات لها علاقة بأمور أمنية وأخرى لها علاقة بالثقافة وتخريبها. ربما أعتبروا قصائدي مدافع ثقيلة وبعيدة المدى..؟ لقد إعتدنا على سماع إذاعة لندن "هيئة الاذاعة البريطانية" و"صوت أمريكا" و"مونت كارلو" مؤخراً وهذه تتحدث عن الادباء والشعراء قديمهم وحديثهم، هل سمعت ذكري وهل مرّ إسمي عليك واذا حدث ذلك فهو لايستحق التوقف!

* أليس هذا واجب الجبهة الثقافية الأخرى، وأعني بها التقدمية؟

** هذا ماينبغي أن يكون لكن أين هم؟ وهو مايحزّ بالنفس.. صحيح انهم مظلومون أيضاً والمجالات شحيحة أمامهم. وبصراحة فان المثقفين الذين يعنون بالادب والشعر قليلون وأقل منهم المهتمون بفلان ناهيك عن ملابساتهم ومشاكلهم.

الوثبة:

* الجواهري الكبير، الذي ارتبط اسمه بالوثبة ضد معاهدة بورتسموث عام ١٩٤٨.. ماذا كانت نتائج الوثبة؟ وهل حدث شيء من الانفراج والى أي مدى؟

** كنت قد عدت من لندن وأصبحت نائباً بالتزكية "وأصبحت عن أمر بليل نائبا" كما قلت وكان الشارع يغلي. وقد أعلن محمد فاضل الجمالي بنود معاهدة بورتسموث في كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ وهو وزير الخارجية انذاك، أما رئيس الوزراء فقد كان صالح جبر. وكان رد الفعل الاول من الطلاب ثم تحركت الاحزاب والصحافة. ونددت في صحيفتي "الرأي العام" بالمعاهدة التي أرادت أن تكبّل العراق لمدة ٢٥ عاماً

بقواعد عسكرية وإمتيازات لصالح بريطانيا ومعروف لن العراق هو الطرف الاضعف وكانت المفاجأة، أن صدر بيان إلى الجمهور من الوصي عبد الاله، يؤكد فيه بعد اجتماعه بقادة الاحزاب والمسؤولين في البلاط الملكي، ان المعاهدة لاتحقق أماني البلاد وليست صالحة لتوطيد العلاقة بين العراق وبريطانيا ووعد الوصي وولي العهد بعدم ابرامها.

ثم حدث شيء مفاجئ حين إستمرت التظاهرات دون سبب مقنع خصوصاً بعد فشل إبرام المعاهدة وسقوط وزارة صالح جبر. وهنا وقعت الواقعة أو الواقعات حين سقط الشباب مضرجين بدمائهم وفي المقدمة منهم اخي جعفر.

وأنا استعيد تلك الفترة أقول ماكان ينبغي الاستمرار في الحماسة وكان ينبغي الاكتفاء بالمكاسب التي تحققت وهو رفض المعاهدة وإسقاط وزارة جبر.

وحين ابتدأت "معركة الجسر" كنت مازال في المجلس، واخترق الرصاص الشوارع ووقع جعفر صريعاً، بعد مقاومة للموت دامت نحو اسبوع. وحملناه إلى النجف بعد اذاعة النبأ من دار الاذاعة، وهي سابقة غير مألوفة ووجدت نفسي في جامع "الحيدر خانة" أعتلي الصفوف لأنشد:

أتعلمُ أم أنت لاتعلم	بأن جراح الضحايا فمُ
فمٌ ليس كالمدعي قولةً	وليس كآخر يسترحم
يصيح على المدقعين الجياع	أريقوا دماءكم تطعموا
ويهتف بالنفر المطعمين	أهينوا لئامكم تكرموا

لقد صدرت الارادة الملكية بعد ذلك بحل المجلس النيابي وقبول استقالة وزارة صالح جبر. ومن الجدير ذكره ان الوصي عبد الاله كان قد ارسل ممثلاً عنه في تشييع جنازة أخي جعفر، فقصدته لاشكره على موقفه واذا به يفاجئني "إن مكانك

محفوظ" وكان يقصد في المجلس النيابي. لكنني دون سابق تخطيط أجبته: أريد أن ينتخبني الشعب، في إشارة مني الى "التزوير" و"التزييف" لإرادة الناخبين.

وأتساءل الآن هل هذا كان مطمحي!؟ ألم يكن ثمة تحدٍ بل غرور!!. وأقول الأن أيضاً، إن الوثبة لووجدت قيادة كفوءة وحازمة لها لما جعلت الأمور تسير على الصورة التي سارت بها. أعود الى سؤالك عن الانفراج، ففي الواقع حدث شيء منه منذ الوثبة الى نيسان (ابريل) مع ان السجون كانت مزدحمة. وأهم حدث في تلك الفترة هو تأسيس "اتحاد الطلبة العراقي العام" وأعتقد إن الدعوة لو تأخرت لمدة اسبوع واحد لما كان قد إنعقد مؤتمر السباع في ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٨، وقد جرى اغتنام الفرصة واقتناص الظرف السياسي بصورة جيدة.

ان الوثبة محطة مهمة في حياتي وتاريخي، خصوصاً صلتي بالجماهير بعد ذلك وأصبحت قصيدة "أخي جعفر" و"يوم الشهيد"، وما كانت تكتبه "الرأي العام" بمثابة التوجيه الى الجماهير، سواء بمحاولات التخفيف تارة أو بتصعيد النقد تارة أخرى. وجرت حملة موحى بها من "المقامات العليا" لكي تهدأ الأمور، بحجة ان الاعمال التجارية في سوق الشورجة وغيرها قد توقفت وكانت مقالتان قد نشرتا في جريدة "الاستقلال" و"الاهالي"، لتقديم مثل هذه التبريرات، فكتبت مقالة في "الرأي العام" قلت فيها: هذا إذن ثمن الوثبة ومكافأة الدماء ونتيجة الشهداء بمعنى "ثمن المجد المزيف"، فقصدني صديقي الاستاذ فائق السامرائي وأنا أحبّه شخصياً، فهو رجل طيب وكان لامعاً ومحباً لشعري الذي يحفظ الكثير منه والتمسني بالقول "دخيلك كفاية هذا الذي كتبته.. فقلت له طيب، وانتهى الامر.

هذا الحديث له دلالة على المرحلة الجديدة التي احسدُ عليها وهي العلاقة بالجماهير. والذي صعّد الوثبة هو الشهيد جعفر في يوم الجسر وقد أخبرني سلطان أمين كرماشه وهو نجفي (مدير شرطة بغداد آنذاك ورجل طيب) وهو

صهر بهجت العطية (زوج ابنته) بالقول التالي: "قسماً بالله كنا في الانذار طيلة فترة رقود جعفر في المستشفى، أي سبعة أيام، الى ان قضى نحبه بجراح بليغة وكان (الحكام) يتمنون لو شفي لانهم يحسبون حساب الجماهير.. ماذا لو إنفجرت ؟.." وهي قد انفجرت فعلاً من سامراء الى الكاظمية الى محطة السكك الحديدية وفي بغداد والنجف ومناطق اخرى من العراق.

اتحاد الطلبة ومؤتمر السباع:

* أبا فرات نعود الى مؤتمر السباع. كيف كان الحدث؟ من بلغّك بالحضور؟ فثمة حلقات ماتزال بحاجة الى سماع اكثر من شهادة(٩٥) .

** هذا تقديره يعود لدى المختصين. أتذكر أنه في اربعينية الشهداء (أي قبل اسبوعين من انعقاد السباع) كنت قد ذهبت الى النجف ثم بعدها عدت الى بغداد. وفي النجف وبغداد فيما بعد اكتملت قصيدة يوم الشهيد.

يومَ الشهيد: تحيةٌ وسلامُ ... بكَ والنضالِ تؤرِّخ الأعوامُ
بك والضحايا الغرِّ يزهو شامخاً ... علمُ الحساب وتفخر الارقام

وقد ألقيت قسماً من هذه القصيدة حول قبر الشهيد في النجف والآخر في مؤتمر السباع ١٤ نيسان (ابريل) ١٩٤٨. كانت "النكسة" قد بدأت وأخذ الناس يتفرقون، فعندما تلقيت الدعوة لحضور مؤتمر اتحاد الطلبة قلت هذه فرصة جديدة للرد على الحكام.

* هل تتذكر من قدّم لك الدعوة؟

** لاوالله لااتذكر، وانت تدري ان الشباب دعوني!

---

(٩٥) ـ أصدر المؤلف كراساً بعنوان "لمحات في تاريخ الحركة الطلابية في العراق" وذلك خلال وجوده في كردستان في عام ١٩٨٣، بناء على حاجة فعلية ولإستمرار التجربة خصوصاً بعد مرحلة التجميد السيئة الصيت ايام الجبهة الوطنية والقومية التقدمية" مع حزب البعث الحاكم ولإنقطاع الكادر. وصدر الكراس عن مطبعة "طريق الشعب" في بشتاشان وسبق لي أن كتبت مقالتين بطلب من مجلة الفكر التي كانت تصدر في براغ ١٩٨١ حول الموضوع ذاته.

* من أوصلك الى ساحة السباع؟ هل تتذكر ذلك؟

** الحق يقال إن الذي رافقني إلى ساحة السباع كان الشخص البارز الطيب المحامي حسين جميل، وأنا اقدره حق تقدير. فقد أخذني الى الساحة ووقف معي واتذكر انه قدمي، وبالمناسبة فله مواقف متميزة قياساً بجماعته. عندما لم تعجبه "وزارة العدلية" إستقال منها وتركها بعد سبعة أيام.

وألقيت هناك يوم الشهيد بصيغتها شبه الكاملة، وكان وقعها كبيراً وتأثيرها عالياً وأثارت ضجة. وبالمناسبة كان الهجوم الحكومي قد بدأ وبدأت "الراي العام" بالتصعيد أيضاً وأكاد أقول بقيت لوحدها، إذ إن اليد لم تمتد اليها لاسباب وخلفيات كثيرة. وعندما علم الناس برفضي قبول عضوية المجلس النيابي تسربت الحماسة الى الكثيرين. وأتذكر هنا قول لبهجت العطية.. لن أنساه أبداً، فبعد مساءلتي أسباب المضايقات، في البيت والصحيفة، قلت له: أنتم تعلمون بانني لست شيوعياً فقال لي: يااستاذ جواهري وا لله نتمنى لو كنت شيوعياً لكي تمتد أيدينا إليك بسهولة. المصيبة إنك لست شيوعياً. وهذه صورة صادقة للمرحلة آنذاك، التي فيها رغم كل المظالم، الكثير من الاعتبارات.

كان بهجت العطية يحترمني، لانني كنت واضحاً. عندما يستقبلني، يرفض الزيارات الاخرى لحين خروجي. نحن خصمان لكن الاحترام لم يكن مفقوداً، بل الأكثر من ذلك كان يقبل شفاعاتي في اطلاق سراح فلان أو فلان وقسم منها بالتلفون. كان متواضعاً ويقدم الشاي والقهوة بنفسه. أنا أختلف مع أساليبهم العنفية ومع هدر الحريات، لكن الامر إختلف في العهود اللاحقة، الى شيء أسود وخصوصاً في العهد الجمهوري والى الآن.

مؤتمر المثقفين العالمي:

* كيف حضرت الى مؤتمر وارشو العالمي ١٩٤٩ ومن وجّه الدعوة اليك؟

** الرسالة جاءتني من بولونيا من شخص طيب اسمه "لطيف الشيخلي" الذي سلمني الدعوة الرسمية مع توصية بتدبير أمر التحويل وسيكون الدفع في باريس. ولهذا ذهبت الى باريس ومن هناك إستلمت اجور الطائرة (التي لم أحمّلهم سواها). كنت العربي الوحيد وكان من المفترض حضور الدكتور طه حسين الذي التقيت به في باريس عند عودتي، وعلمت منه على جلسة شاي في "أوتيل لوتس" انه كان يحضر مؤتمر للمستشرقين.

أثناء عودتي بالقطار الى باريس أروي لك القصة التالية: وجدت حجزاً لي مع بيكاسو في ذات المقصورة وإستلقيت أنا في الطابق الاسفل وأخذ هو الطابق الاعلى، ثم علمت انه يود المنام في الطابق الاسفل وذلك بواسطة السكرتيرة، لأنه قصير القامة وأنا طويل القامة بامكاني الصعود الى الاعلى وضحكنا لهذا الالتباس والمفارقة من خلال الكلمات القليلة التي تحدثنا بها بالانكليزية البسيطة. وطلب مني بيكِاسو أن نأخذ صورة تذكارية، فقلت هذا شرف لي.

* هل كان خروجك من العراق للذهاب الى المؤتمر مسألة سهلة؟ ام إن هناك ثمة عقبات؟

** بمعايير هذه الأيام لم يكن أسهل منها. ومن الإنصاف أن أشير الى انه حتى بمعايير تلك الايام لم تكن القضية صعبة. فقد نشرت في "الراي العام" إفتتاحية تقول بصريح العبارة: انني مدعو لحضور مؤتمر عالمي للمثقفين وانا فخور بذلك. ثم ذهبت الى بهجت العطية وقلت له: لااريد ان اقول لك انني مريض وارغب في العلاج في الخارج.. هذاغير صحيح. انا اقولها بوضوح وصراحة مثلما كتبتها في "الراي العام"، أنا مدعو لمؤتمر عالمي: هل استطيع ان

أحصل على موافقة سفر (جواز)؟ أجابني الرجل بالقول: إن مستواك وأمثالك تصدر موافقاتهم (بسبب الاشكالات) من وزير الداخلية، وهو فوق إختصاصي. وكان وزير الداخلية آنذاك "جلال بابان"، وقال لي هو يحبك وسأرسل معاوني معك واتصل به هاتفياً أيضاً. وبعد الاتصال به قال له: ألف أهلاً وسهلاً. ومرّت المسألة وأخذت جواز السفر. هذا نموذج اما النموذج الاخر فكان نجيب الراوي وزير المعارف، فقد كان يجتمع بمدراء المعارف ومن بينهم السيد جواد الجصّاني (زوج اختي نبيهه) واثناء الحديث أشار إلى أن الوثبة انتهت، وكل شيء استقام الاّ شيء واحد، هو صحيفة "الراي العام" ومقالات الجواهري التي دوختنا. و لم يكن يعلم إنه صهري، وعندما أخبره أحد الجالسين بذلك إحتار بكيفية المعالجة. ولكنه عالج الموضوع فيما بعد خلال وجودي بباريس حيث دعاني لحضور إجتماع لهيئة الامم المتحدة لأول مرّة يعقد في باريس بدلاً من نيويورك، وذلك ضمن الوفد العراقي.

دخلت إجتماع الامم المتحدة ترضية لي، بل ان نجيب الراوي دعا الى حفل خاص على شرفي وذلك تعويضاً لما كان قد تكلم به عني. وهذا فرق كبير بين أخلاق أيام زمان وبين أخلاق هذه الأيام.

بعد أن إلتمسني السيد الراوي ذهبت مع الوفد وبصحبته الى الامم المتحدة، ورايت هناك كيف يستخدم الفيتو Veto باصبعين. نعم باصبعين فقط سقط القرار، و لم يتكلم حرفاً واحداً بعد ذلك. سألت مامعنى ذلك، فحصلت على الاجابة انه الفيتو أي حق النقض وفقاً للميثاق كما عرفته لاحقاً.

وبقيت "الراي العام" لم تغلق رغم ماكانت تثيره من قلق للبعض، وخلال فترة وجودي في باريس ضاقت أمور الصحيفة المالية فتوقفت و لم تمتد اليد

عليها... تستطيع الآن أن تدرك بحكم مهنتك "القانون" المستوى الذي كنّا به والمستوى الذي وصلناه.

* كيف إلتقيت مع الشاعر التشيلي بابلونيرودا الذي ذاع اسمه في السبعينات على نطاق واسع؟

** إلتقيته و لم يكن معروفاً انذاك. كانت تعجبه نفسه ويضعها بين العظماء. اللغة كانت تعوزني و لم يكن هناك مترجمون أو عرب لكي استعين بهم... كان هناك جزائري ومعه رقيب فرنسي لايعرف غير "السلام عليكم". ضمتنا حفلات ولقاءات وأحاديث على قلتها لكنني كنت أشعر انه يمثل مزاج امريكا اللاتينية.

اسماء ودلالات:

* أبا فرات: هل لي أن أسألك عن بعض الاسماء خلال تلك الفترة ومابعدها!؟ ماذا تعني لك وكيف تنظر اليها؟

** مثلاً؟

* عبد الفتاح ابراهيم:

** مثقف كبير وعميق وشخصية لامعة، ديمقراطي وحر ويؤمن بالبرلمانية. كتابه "على طريق الهند" كان متقدماً في حينها (١٩٣٥). نزيه و لم تغره المناصب وظل متوازناً وحافظ على سلوكه بشجاعة. وتربطني معه علاقات وطيدة وانا أحترمه كثيراً.

* كامل الجادرجي:

** صديق منذ الثلاثينات رغم إختلاف وجهات النظر حول الكثير من القضايا ومنها ماهو منشور في الصحافة أيضاً. كنت أزوره باستمرار في أيام

الزيارات التي يستقبل بها الضيوف أو بدونها. إلتقينا في المعتقل أيضاً. كان عنيداً وأبي نفس واحتفظ له بذكريات طيبة.

* فيصل السامر:

** شخصية متميزة وله حضور كبيرة ومرموق. كان استاذاً للتاريخ في جامعة بغداد وعملنا سوية في لجنة الدفاع عن حقوق الشعب العراقي وهو انسان فاضل ونزيه ووفي. رحمه الله فقد ترك أثراً طيباً.

* حسين جميل:

** من عائلة الجميل المشهورة في بغداد. مثقف محترم. شخص ذو كلمة ويتميز بالاخلاص والكفاءة وهو مؤمن بالديمقراطية ويتحسس من الضباط والجيش مثل كامل الجادرجي. نظيف اليد واللسان وعفيف الكلمة والسلوك.

* محمد مهدي كبة:

** من عائلة آل كبة المعروفة. معظمهم من التجار وهو رجل خيّر وطيب. كان وجوده على رأس حزب الاستقلال مهماً جداً رغم ان بعض اعضاء الحزب لم يكونوا على شاكلته. وطني حقيقي وانسان شريف.

* مصطفى البارزاني.

** زعيّم بكل معنى الكلمة فيه من الهيبة والحزم والشجاعة الشيء الكثير، مخلص لشعبه، لكن الظروف عاكسته كثيراً، وكانت أقوى منه فتوفي بعيداً عن الجبال التي أحبها.

* يوسف سلمان يوسف (فهد).

** انا معجبٌ به، رجلٌ صُلْب وغاب بسرعة، ربما ادركوا خطورته، التقيته عام ١٩٤٢ بعد عودتي من ايران حيث ارسل لي عبد الفتاح ابراهيم رسالة وكذلك وصلتني رسالة من ناظم الزهاوي يقولون فيها: الناس بحاجة

الى الرأي العام والعراق بحاجة اليك، فعدتُ وفي الاشهر الاولى بدأت "الرأي العام" تصدر، حيث كان مكتبُها (إدارتها) في منطقة الحيدر خانه وأظنه في بيتنا (البيت في الطابق الاسفل، والادارة في الطابق الاعلى ففي أحد الايام نزلت لاتناول الشاي عصراً مع العائلة، واذا بهم ينادونني من الادارة ويقولون لديك ضيوف "فوجدتُ ذو النون أيوب ومعه شخص قصير القامة نسبياً، جالس في آخر المجلس تلقيته بالترحاب، أما الضيف الذي لاأعرفه فسلمتُ عليه، وسألني ذو النون هل أنتما متعارفان؟ قلت لا! فقال لي: انه "فهد" فإستبدلنا الاماكن واقتربت منه وأدرتُ معه أحاديث مختلفة ثم أعطاني مقالاً من أربع أو خمس صفحات مشدِّداً القول: إذا شئت واذا أعجبك واذا وافقك فسأكون فخوراً ومسروراً إذا نشرته، فناديت على أحد العاملين في الصحيفة واسمه كاظم سلمان وقلت له سيكون إفتتاحية ليوم غدٍ وبأدب سألني: ألا تقرأه؟ قلت له: لا.. طالما جلبته معك، ونُشر إفتتاحية باسم الصحيفة التي تبنته وكان مقالا هزّازاً، المدخل اقتصادي والمخرج سياسة، ومابينهما يعني كل شيء وأقول: قسماً با لله، الطلائع المثقفة صاحت هذا فلان أي فهد، كانت تلك المرّة الاولى، أما الثانية فكانت بعد أيام حيث كنت ماشياً في زقاق "جديد حسن باشا" واذا به يخطف أمامي ويرميني بالسلام وهو متنكرا! عندما حوكم في المرّة الاولى وحكم عليه بالإعدام كنتُ في باريس، وحوكم مرة ثانية وهو في السجن ثم شنق مع حسين محمد الشبيبي وزكي بسيم ويهودا صديق، يوم ١٤ شباط (فبراير) ١٩٤٩، قلت في قصيدتي "هاشم الوتري":

حدِّثْ عميدَ الدارِ كيفَ تبَدّلَتْ ... بُؤَراً، قِبابٌ كُنَّ أمسِ مَحاربا

كيف استمالَ المجدُ عاراً يُتقى ... والمكدْماتُ من الرّجالِ مَعايبا

ولِمَ إستباحَ (الوغدُ) حُرمةَ من سقى ... هذي الديارَ دماً ذكياً ساربا

* هل كان لك علاقة مع حسين أحمد الرضي (سلام عادل)؟ كيف تعرفت عليه؟

** التقيت معه بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨ لمرة أو مرتين في بعض الاحتفالات، ولكني لااتذكر لقاءاً خاصاً في بغداد، ثم التقيتُ به وتعرفتُ عليه عن كثبٍ في براغ عام ١٩٦١، شخصية باهرة واثقٌ من نفسه، مهذبٌ الى أبعد الحدود، كانت لقاءاتي به في براغ أقرب الى الوداع لم ألتقهِ بعد ذلك التاريخ، فقد اختارَ حتفَه وذهب ليواصل مشوارهُ لتختطفه يدُ المنون اللئيمة بخبثٍ ودناءة.

* هل سبق وأن جرت بينكم مراسلة؟

** نعم... وسأروي لك هذه القصة الظريفة . في عام ١٩٥٢ وبعد انتفاضة تشرين، كنّا في معتقل (أبو غريب) وكانت حملة الاعتقالات كبيرة، لقد عوملنا معاملة حسنة (بعض الوجوه والشخصيات المعروفة)، أما الشباب فكان وضعهم صعباً حيث ينامون على الحصران وفوق أرض رطبة، وكانوا يمازحوننا ويسموننا بالبرجوازيين جماعة (فندق بغداد) لأنه كان كل شيء متوفراً لدينا، بما فيها الحراس المكلفون بالخدمةِ إضافةً الى المأكولات التي كانت تأتينا من البيت، وكان وضع البيت بائساً فأمُ نجاح مرضع وعمر الطفل لايزيد على السنتين وابني فرات أُلقي القبض عليه، وإبني الآخر فلاح اعتقل في معسكر الرشيد وأميرة ابنتي هربت الى النجف و لم يكن أحدٌ يستطيع ان يجلب لي الاكل، ولهذا كنتُ أُشارك عبد الرزاق الشيخلي في طعامه، الذي يُجلب له من منطقته في باب الشيخ، وكانت أكلة "حامض الشلغم" شيئاً مدهشاً أما الفواكه فهي انواع. تصور نحن معتقلون ويسموننا معارضين وكل شي كان متوفراً لدينا، وهو مايحزُّ بالنفس لماوصلت اليه أوضاع البلاد في العهود الجديدة.

كان معنا كامل الجادرجي وحسين جميل من الحزب الوطني الديمقراطي،وفائق السامرائي وإسماعيل غانم وصدّيق شنشل وهم شخصيات

قومية مرموقة من حزب الاستقلال، كنا نتقاسم غرفة ذات السريرين بالشراشف النظيفه انا وعبد الرزاق الشيخلي، وسمعت مرة أحد الضباط يقول: "واي واي" دلالة على التعجب من الوضع المريح الذي كنا نعيشه مقارناً ذلك بوضعية المعتقل البائس الذي يضطر معهُ للنوم بملابسه وحتى دون لقمةٍ أكل على حد تعبيره، وانقضى شهر وكنتُ قد بُلِّغت من ادارة المعتقل بأن "حَضِّر نفسَك للطلعه" أي لاطلاق السراح.

هنا بيت القصيد في سؤالك فبعد يومين أو ثلاثة وصلتني رسالةً مطولة من سلام عادل (ابو إيمان) وفيها مداعبات كقوله "ولايعوزنا شيء الا وجودك معنا" قلت مع نفسي... شكراً لايعوزني ذلك، واذا كان يعوزني فلست بقادرٍ عليه (اي لست بقادر على تحملّ المزيد من المشّقات) فالانتماء ليس لعبة، وحدثت مصادفة ففي اليوم التالي طُرقت الباب بقوة وفي ساعة متأخرة فنهضتُ وطلبت من أم نجاح ان تجلب الرسالة (التهمة) التي تضعها تحت السجاده ورميتها في النهر على الفور فخرجت ووجدت ضابطاً وكان المطلوب إستدعائي وإذا كنت في المرة الاولى، أول الخارجين ففي هذه المرة آخر الخارجين، كنتُ أنا وقاسم حسن حيث بقيت وحيداً بعد خروجه، والتهمة كانت (إشتباه).

وإذا أردتُ أن أضيف عن صفات سلام عادل وسجاياه الشخصية وانطباعاتي عنه، فهو انسان محب للحياة بكل معنى الكلمة بالرغم من مركزه وأهميته ومايُحسبْ له من حساب، كان نموذجاً للتواضع والأدب والوقار، مهاب الجانب الصمت لديه صمت (أي بدلاله) والكلمة ... كلمة (أي بمضمون) إلتقيته في براغ مع عزيز الحاج وانا قادم الى قصر الادباء الشهير، حيث كنت ضيفا على اتحاد الادباء التشيكوسلوفاكي والقصر يبعد عن براغ حوالي عشرين كيلومترا ومحاط بالغابات الساحرة. واذا بصديقي موسى أسد يأتيني ليبلغني بوصول سلام عادل وجمال الحيدري. يا لله... سلام وجمال فكيف تختار بين الاثنين!؟ (كلاهما قُتِل تحت التعذيب عام ١٩٦٣، وماتا ميتةً تليق بالأبطال.).

بكل صدق أقول لك الآن بعد أبوإيمان (سلام عادل) لم أرَ مثل جمال الحيدري، الذي يجمع بين الرجولة مملّحة بالبطولة وبحب الحياة، حيث كان مستعداً لتقديم حياته من أجل حياه افضل وضمن قناعات معينه، في المطعم الجميل حيث جلسنا... أول من بادر الى الرقص كان جمال الحيدري مفتتحاً الحلبة، كأنه يرقص رقصة الوداع ليصعد بعدها الى المشنقه، ظلت هذه الصورة ماثلة في ذهني، عنفوانه وتفجره وحبه الشديد للحياة، ولكثرة مارددتُ

واركب الهول في ريعان مأمنه | حب الحياة بحب الموت يغريني

مع نفسي، أقول: "ان الذي لايحب الحياة لايصعد المشنقه" وإلتقينا مرّة ثانية عندما دعانا عزيز الحاج الى مطعم ومرقص (لوتسرنا) في قلب العاصمة وبالمناسبة فان والد عزيز الحاج رجل كريم وكان من أصدقائي، كما جمعتني صداقة قوية بعزيز الحاج خلال وجوده في الستينات في براغ.

السخرية وكاريكاتير الشعر:

* الملاحظ أبا فرات... ان هناك درجة عالية من السخرية تختفي وراء قصائدك... أتستهدف إنهاض الجماهير بتقبيح صورة الخصم، أم انك توظّفها وسيلة لاستفزاز هذه الجماهير، مثل قصائد... (نامي جياع الشعب نامي) (وطرطرا) (ومحمد علي كلاي) وغيرها... كيف تستلهم الصورة في هذا الجو الشديد الوقار أحيانا حد الاكتئاب؟

نامي جياع الشعب نامي | حرستك آلهة الطعامِ
نامي فإن لم تشبعي | من يقظة فمن المنام[٩٦]

---

[٩٦] ـ يصف الكاتب برنار فيسنر في كتابه الموسوم "العراق اليوم" L'IRAK D'AUJOURD'Hui الصادر عام ١٩٦٣ في باريس، بؤس سنوات الخمسينات في العراق: حيث البطالة بمافيها خريجو الجامعات العاطلون، والفقر والامية وغياب الكوادر الوسطى وذلك بالاستناد الى قصيدة الجواهري "نامي جياع الشعب نامي" فيقول "ان أفضل وصف

وكانت هذه القصيدة امتداداً لنهاية الاربعينات. اما قصيدة"هاشم الوتري" فكانت من باب الغضب المباشر وليس من باب السخرية كما في قصيدة "نامي جياع الشعب". وتمثل قصيدة هاشم الوتري، التصاعدية عندي حالة التوتر والتحدي. الواقعية أن يتجرد الانسان من العاطفة، فاذا دخلت العاطفة بما يزيد على الحد، لم تعد ثمة واقعية، ولم تعد ثمة موضوعية. فأنا بعد قصيدة "الوتري" مباشرة وبصفاء الفكر الذي يفرض نفسه على الأرض، خصوصاً بوجود الضحايا والقابعين في زوايا السجون والمعتقلات، أخذت القضية عندي لوناً آخر. وببساطة وبدون "فلسفة" أو تعقيد، فالمسألة ذات طرفين، فاما مع هذا وامّا مع ذاك "الحاكم والمحكوم". والمظلومون كانوا والضحايا هم الدائرة التي وجدتها تتسع لتشمل الجماهير التي كانت تتفرج على مايحصل، ولهذا أردت ان أُنبه وأحذّر وانتقد الجانب السلبي للجماهير، ولم أفكر عند كتابتي القصيدة بإستنهاضها، ولكن ذلك كان تحصيل حاصل فيما بعد، أردتُ أن أقرِّع الجمهور أيضاً، أن أبصّره بحقيقة ما يجري وان أدفعه للتخلص من السلبية.

* لقد ظلت هذه القضية ملازمة لك أبا فرات بل إزدادت في قصائد السبعينات والثمانينات، مثل قصيدة "محمد علي كلاي" و"قصيدة أبا مهند صابر فلحوط" و"ماذا أغني" إلى جلال الطالباني وغيرها...

** بعد أن خرجت من التوقيف إثر قصيدة الوتري "إيهٍ عميد الدار..." كانت لديَّ الكثير من اللواعج التي تطورت ولست أنكر تأثري بذلك، أي

وتعليق لاوضاع العراق هو مايمكن أن نجده في الشعر العراقي الذي يقدم شهاده اجتماعية قيّمة..." للوضع الاقتصادي المجدب، الذي يتجلّى من خلال رائعة الجواهري.
انظر: ترجمة خاصة قام بها الصديق الاستاذ ماجد مكي الجميل والاقتباس منقول من مجلة Orient بعنوان انطباعات حول الشعر العراقي impressions sur La Poésie d'Irak للكاتب بيير روزي. العدد (١٢) ص ١٩٩.

دور العامل الشخصي في اتجاهي وهذا ينطبق على كل العظام ناهيك عن بني البشر الاعتياديين وأنا من بينهم. اذ لايستطيع الحاكم ان يحكم دون شريكٍ أو طرفٍ آخر وهو المحكومون... فالحكام لايحكمون في فراغ ومنذ عقود وهذا الشيء يشغلني ليس في العراق وحده. وإن كانت الأمور قد طفحت ووصل السيل الزبى، اذ كيف يرتضي المحكومون بحكامٍ ظالمين وكيف يستكينون ويستسلمون...!؟ وكيف يستطيع الحكام أن يحكموا لولا رضوخ المحكومين وخنوعهم!؟ فقد أردتُ من قصيدة "نامي جياع الشعب" ومن غيرها مخاطبة هذا الجانب الحساس نقده وحتى تقريعه.

* أستاذنا الكريم... هذه الصور التي رسمَتها تقترب من حد الكاريكاتير الذي هو لغةُ تعبير فمابالك اذا كانت القصيدة تدل من خلال المباني والمعاني على حالة أقرب الى النحت، أي تجسيد الشيء على نحو مجّسم!

** لفرط الذّل لابد من طريقة أخرى للاثارة، غير مقصودة أحياناً. أنا لست أهدف الى الاستثارة لكنها كانت ثورة غضبٍ خلاقة فتدفقت القصيدة، بل وإنسابت لترسم تلك الصورة المريرة

نامي على زَبَد الوعود   يُداف في عسلِ الكلامِ
نامي تزُرك عرائس الـ   أحلام في جُنحِ الظلامِ
تتنوري قرصَ الرغيـ   ـف كدورةِ البدْرِ التمامِ

لست معنياً ببعض التفسيرات المغرِضة التي فسِّرت بها بعض قصائدي سواءٌ هذه القصيدة أو قصيدة كلاي أو غيرها، فهذه ردود أفعال لشاعرٍ مرهف الحس.

أم عوف:

* ماهي قصة قصيدة "أم عوف"؟ ماهي ظروف ميلادها؟

** القصيدة وظروفها لاتخلو من المفارقات وخصوصاً بظروفي الجديدة فلأول مرة أملك سقفاً يأوينا (سابقاً ولسنوات طويلة بالايجار وبالرهينه والاقساط) وشعرت ان كرامتي تُحفظ، كما أن أمور "الرأي العام" المالية بدأت تتحسن، فالاعلانات أصبحت فيها كثيره، وهي مورد الصحيفه الاول، وانا متوجّهٌ الى علي الغربي كنت اختزن حالة شعرية احتاجتها عليٍّ لحظه ولادةٍ ممزوجةٍ بمعاناةٍ وحرمانات تاريخية، وهكذا تفجرت حالتي النفسية المكبوته سلفاً وانا متوجه الى تلك الارض (الموعودة) في لواء العمارة (محافظه ميسان) وربما كان ذلك تعويضاً عن غلق "الرأي العام"، التي كانت محميةً بحصانةِ الجماهير ولهذا كان الحصول على أراض وحتى مكائنِ وكأنها مسألة "مبادلة"! تصور الأمر من باب الهزء والسخرية فلست مزارعاً ولاافقةُ في أمور الزراعة أو الاراضي أو الاملاك، فخسرت الارض وبيعت المكائن وعدت من حيث أتيت، ورغم جمال الموقع الذي قال عنه بعض الاطباء انه يصلح مكاناً للمصدورين (المصابون بالسُّل) لكنني لم اكن أحلم سوى بعشٍ صغير، وفي الطريق وانا اقضي تلك الليلة بالحيرة والتفكير فاذا بإمرأه طيبة تستضيفنا بعد برد شديد، هكذا وتحت ضوء القمر تفجر الألم المكبوت

يا "أمَّ عوفٍ" بَلوْحِ الغيب موعدُنا	هنا، وعندك، أضيافاً، تلاقينا
لم يبرحِ العامُ تِلوَ العام يَقذِفنا	في كلِّ يومِ بمَوماةٍ ويرمينا
يا "أمَّ عوف" وما آهٌ بنافعةٍ	آهٍ على عابثٍ رَخصٍ لماضينا
على خضيلٍ أعارته طلاقتها	شمسُ الربيع وأهدته الرياحينا

وكانت هذه القصيدة كلُّها ألم وغضب واستنزاف للطاقة المكبوته، فجاءت على هذه الدرجة من الحرارة والوضوح، بل والمرارة

يا "أمَّ عوف" وما كنا صيارفةَ	فيما نحبُّ ولاكنا مُرابينا
لم نَدْرِ سُوقَ تِجارٍ في عواطفهم	ومشترينَ مودّاتٍ وشارينا

لانعـــرِفُ الـــودّ إلا أنـــه دَنـــفُ مـــن الصبابـــةِ يعتـــاد المحبينـــا
فمـــا نصـــابح إلا مَـــن يُماســـينا ولانـــــراوح إلا مـــــن يُغادينـــــا

عدنان المالكي:

* ماهي ظروف قصيدة "عدنان المالكي" التي ألقيتها في دمشق؟

** هذه قصة طويلة. فالمتهم الذي حامت حوله الشبهات كان "الحكومة العراقية". ولهذا كانت الدعوة لحضور المهرجان الذي يقام لتأبين عدنان المالكي، إحراجاً لعدد من الجهات، بمافيه الحكومة العراقية، في الموافقة على حضوري أو عند الرفض.

الفكرة الاولى التي ترسخت في العشرينات هي ضرورة توحيد العراق وسورية والتي أخذت فيما بعد بمشاريع ودعوات وحدوية، كالهلال الخصيب أو غيرها، رغم انها استثمرت من جهات مختلفة وبعضها مغرض وربما غير نزيه. حتى ان تمثال الملك فيصل الاول في الكرخ فسّر على ان وجهه كان متجهاً الى الجهة الغربية، أي الى سورية. وكان لهذه الفكرة جذور عميقة وطبيعية، ثم ركبت عليها فكرة الهلال الخصيب وأمثالها ومعها تداخلات خارجية وتآمرات اقليمية، رغم صدق الفكرة ونظافتها. وفي تلك الظروف وحيث كان بيتي "مراقباً" وقصائدي أخذت تزّين صحيفة الرأي العام وتهز الجماهير... في هذا الوقت بالذات، تلقيت مكالمة تلفونية من السفارة السورية وجاء صوت المتحدث! "ياسيدي، أتلو عليك برقية رئاسة أركان الجيش وهذا نصّها: نرجو التفاهم مع الجواهري للمشاركة.. نلتمسه للموافقة..." لاادري ان كان التلفون مراقباً (مثل هذه الايام)؟ بل ان عدنان المالكي قُتل والتهمة تحوم حول الحكومة العراقية.. وهذا يكفي! ورغم إنني كنت بحالة من الظنون بتورط الحكومة العراقية بقضية عدنان المالكي (وهو ماثبت فيما بعد١٤ تموز - يوليو ١٩٥٨) الاّ انني قلت مع نفسي ان باب الرحمة فتحت لي وجاء الفرج

من الحالة التي كنت أعيشها والضائقة التي أعاني منها. والاهم من ذلك كان حلمي أن أخرج من العراق. وعندما كلمني السفير السوري تلفونياً، قلت له مبدئياً انا موافق على المشاركة "وعلى العين والرأس" ولكن كترتيبات أمهلني يوماً أو يومين. وكان غرضي وتساؤلي: هل أحصل على جواز سفر "لرثاء" عدنان المالكي المقتول بمؤامرة من الحكومة العراقية كماقيل!؟

وهنا فكّرت بالرجل ذاته وليس غيره، ذلك الذي منحني جواز سفر لحضور مؤتمر المثقفين العالمي في وارشو عام ١٩٤٩ أي قبل مايزيد على ست سنوات ونيف وأعني به "بهجت العطية" فقصدته وقلت بصريح العبارة "يا ابو غسان.. القضية بصراحة، انني تلقيت دعوة للسفر الى دمشق للمشاركة في تأبين عدنان المالكي، لانه ينبغي عليّ أن أقولها لك ولواحد مثلي تظل العيون شاخصة نحوه، فلايصح عليّ التذرع كذباً بأنني اريد الاستشفاء والراحةومن هناك اذهب للمشاركة، فتظهر القصة كاذبة... هذا الموقف يمسني ويحرجني..." وبصراحة فقد كان موقفه هو ذات الموقف عام ١٩٤٩ فأجابني بأن سعيد قزاز وزير الداخلية (وكان يحبني جداً وسبق لي وأن توسطت لأناس كثيرين عنده ولبّى جميع طلباتي) هو الذي له حق البت بمثل قضيتك. وقال لي: أمهلني الى اليوم التالي لاتحدث معه. وفي اليوم التالي إتصلت به فقال لي هل تستطيع أن تأتي اليّ، فذهبت فوجدت سلطان أمين كرماشة (صهره) هناك. وأخبرني بأنه إتصل بوزير الداخلية (سعيد قزاز) والاخير أخبره بأن لايمنع سفري ومنحي جواز سفر لأي سبب كان، لكن كصديق وهو رجاء شخصي الاّ تذهب الى دمشق، اما اذا كان مصرّاً فامنحه جواز السفر في الحال.

وأخذت جواز السفر و لم أفِ بوعدي وتحمل سعيد قزاز بسبب سفري ومشاركتي نقداً أو عتاباً من مجلس الوزراء... وعندما عدت الى العراق في عام ١٩٥٧ كان قد غادر الوزاره وبعد عام ١٩٥٨ تم اعدامه بعد محاكمته في

محكمة الشعب. أشعر انني لم اكن موفقاً ودقيقاً حين قلت له نعم سأذهب وان ذهابي في هذه الظروف سيساعد في تلطيف الجو بين العراق وسورية وستكون مشاركتي عن العراق (والحكومة متهمة) عنصراً ايجابياً لتخفيف حدة التوتر... قال لي هذا صحيح لكن ياأبا فرات (فوتاتك شلون راح تكون!!) أي ماذا ستكون مشاركتك.. قلت له سأحاول.. قال لي الامر متروك لك. ثم طرق الجرس فجلبوا جواز السفر فحملته الى السفير السوري وقلت له أنا حاضر فقال لي ياسيدي الطائرة غداً... قلت له طائرة، سيارة، شاحنة.. لايهمني وكدت أن أقول له اخشى ماأخشاه أن يتراجعوا عن قرارهم بمنحي جواز سفر. فقال لي اليوم لاتوجد طائره فسألته هل توجد سيارات "نيرن"؟ فذهبت بالسيارة.

ألقيت قصيدتي وكانت بغداد متحفزّة وتستمع من دار الاذاعة ثم بادر صاحب صحيفة "الزمان" بمهارة صحفي متمرس ولديه كادر صحفي جيد الى نشر القصيدة كاملة كما سمعها من دار الاذاعة السورية...؟ (رغم ملاحظاتي الكثيرة على شخصه وسلوكه):

خلفتُ غاشيةَ الخنوع ورائي ... وأتيتُ أقبسُ جمرة الشهداء
أضحّيةَ الحلف الهجين بشارة ... لكَ في تكشفِ سوءةِ الهَجناء
اسطورة "الاحلاف" سوف يمجّها التا ... ريخ مثل خرافة "الحلفاء"
قالوا "تعاقدنا" فقلتُ هنئتمُ ... بقرانِ فَرط خناً بفرطِ غباء
وا هُزأة الأحلاف بين مسّخرٍ ... ومسخرين وسيد وإماء
يامن رأى "حلفاً" عجيباً أمرهُ ... بين الثرى وكواكب الجوزاء
وتعلقت هُزءاً على أضوائه ... بنيوبِ ذؤبانٍ أكارعُ شاء[97]

---

[97] ـ ألقيت هذه القصيدة في دمشق عام ١٩٥٦ في ذكرى مصرع عدنان المالكي وإضطر الجواهري بعدها للاقامة في سورية قرابة عام ونصف ضيفاً على الجيش السوري، بعد غضب

وحينما كنت أقرأ صاحت الجماهير "مايرجع" أي أنه سوف لايعود الى العراق بعد هذه القصيدة. اقيم الاحتفال في الملعب الرياضي وكان يغصّ بحوالي ٦٠ ألف شخص. وكان الوقت شهر رمضان الكريم. ورغم ان مدفع الافطار كان يعلن عن موعد الافطار، لكنني كنت أقرأ والجماهير محتشدة. بعدها استضافني الجيش السوري عام ١٩٥٦ و١٩٥٧. وفي أواسط تموز (يوليو) ١٩٥٧ عدت الى بغداد وقد جرت تغييرات في كل من سورية والعراق. وقضية الوحدة العربية بدأت تستولي على عقول الحكام والجماهير في سورية ومصر. والعراق دخل واندفع في حلف بغداد وامتدت العداوة ليس الى نوري السعيد فحسب، بل أحياناً الى اكثر من ذلك بسبب خصومات الحكومات. ففي أحد الأيام وانا جالس بقلق ومتضايق رغم انهم كانوا يكرمونني بأحسن تكريم وبضيافة رسمية، لكنني سئمت ذلك ففكرت بالعمل. فكلمت هشام العظم الذي قال لي: أبا فرات تعجبني وهذه مجلة الجندي وكنت احرر الشؤون الادبية والثقافية، التي كانت مزدهرة وكان رئيس الجهاز العسكري المسؤول هو عبد الحميد السراج. وكان مجلس المجلة جميلاً، زيارات وأصدقاء وقهوة واحاديث لذيذة.

* لكن لماذا عدت فهل تغيّر شيء على المستوى الشخصي؟

** نعم في عام ١٩٥٧ سمعت بالراديو إن عبد الوهاب مرجان وهو صديقي منذ أيام الشباب، حيث كنّا نجلس في مقهى حسن عجمي وكذلك في الباب الشرقي، يدخل الوزاره. اما عبد الرسول الخالصي صديقي فقد أصبح وزيراً للعدلية. فقلت لأم نجاح (زوجتي) استعدي للرحيل.. الى أين..؟ الى بغداد! بعدها ذهبت الى السفارة العراقية وقابلت هناك عبد الجليل الراوي (القنصل او القائم بالاعمال) الذي طلبت منه تمديد جواز

حكام بغداد عليه بسبب تنديده بالحلف التركي_ الباكستاني الذي أصبح حلف بغداد عام ١٩٥٥ والذي رافق ابرامه حملة اعتقالات واسعة في العراق والتضييق على الصحافة والحريات.

سفري فرفض لانني كنت ممنوعاً من السفر. لكنني لم اكترث فوضعت جواز سفري القديم في جيبي وسافرت الى بغداد ووصلنا الى الرطبة، حيث كانوا يأخذون جواز السفر في (المركز العراقي) وأخذ قلبي يدق، لانني كنت متوقعاً ان ينادوا عليّ. و لم أصدق عندما مرّت الامور "سلامات". فلم تتم إعادتي الى سورية و لم أرسل مخفوراً الى بغداد، قد يكون ذلك غفلة وربما حسن تصرف من شخص طيب إنتبه الى الموضوع وغضّ النظر عنه.. لا أدري! و لم يكن أحد في بغداد يعلم بعودتي وعائلتي معي. بعد أن وصلت الى الرمادي. وهناك كانت نقطة الجمارك، غادرناها ووصلنا الى بغداد "نقطة المطار" وهي الجمارك الثانية. وهنا إنتبهت الى احتمال انكشاف الامر، خصوصاً وان الشباب حين رأوني فزّوا حيث كانت قضيتي معروفة، بل تعتبر ميئوساً منها. فقلت لماذا أنا جالس بإنتظار جواز سفري فربما حصل المحذور!؟ وقررت بسرعة أن أستقل سيارة أجرة وأترك الجواز (غير النافذ) وأذهب الى البيت. وكانت مفاجأة كبيرة لوالدتي التي أبلغت بالامر تدريجياً خوفاً من الصدمة، ثم مكثت في بيت أختي نبيهة (بيت السيد جواد الجصاني-زوجها) في الكاظمية.

وبعد فترة قصيرة، لم تتعدّ بضع ساعات دق جرس الهاتف، فإذا بصهري يتصنّع الإبتسامة، قلت ماذا حدث ياأبا كاظم فقال لي لايوجد شيء ولاداعي للانزعاج، فهناك شاب من الامن (التحقيقات الجنائية) مؤدب ويرتدي ملابس مدنية وهو من بيت الشكري، يقول انه مكلّف باصطحاب الجواهري معه. وأخبرني بأنه لاينبغي عليه الاستعجال، فليحضر نفسه، ليستحم ويرتدي بدلته، لأنه قادم من السفر وانا سأكون بانتظاره. فهمت الموضوع!! دعوه للجلوس انتظاراً لحين تحضير نفسي.

مع نفسي قلت... لقد وقعت في المصيدة وستتحرك عليّ القضايا القديمة والجديدة. وحاولت تدارك الامر، فقلت لهم وعلى نحو سريع وخاطف اتصلوا

بعبد الوهاب مرجان... وفوجئ هو أيضاً مثل الشباب الذين رأوني في جمارك المطار... قال من أين تتكلم... قلت من بغداد فقال "أهلاً ومرحباً"، فقال لي انه قادم لزيارتي فأخبرته "لايا ابو عماد فلديك أشغالك وواجباتك وأنا خارج الآن وسوف آتيك..." وبعد انتهاء المكالمة أخبرت أهل بيتي بأنه بعد ساعة من ذهابي مع الشخص المكلف باصطحابي.. تتصلون بعبد الوهاب مرجان وقولوا له آسفين.. فقد كان فلان قادم إليك، لكن الذي حصل له هو كذا وكذا خصوصاً اذا تأخرّت في التحقيقات الجنائية.

عندما ذهبت الى التحقيقات الجنائية وجدت القضية مثلما تصورتها، بل أوسع بكثير... من بدايتها. واذا بي أمام طاولة مدوّرة وفيها الجلاوزة الوسخين (خمسة أو ستة) وعليها سجل مفتوح. قالوا كيف جئت الى بغداد؟. قلت بالطريقة الاعتيادية والمألوفة (لم أقل تركت جواز سفري في الجمارك).. قالوا كيف دخلت؟ قلت دخلت وظل جواز سفري عندهم، لانني كنت مستعجلاً من أمري. قالوا كانت اجتماعاتك في سورية مع الضباط ومع خالد بكداش!! فضحكت وقلت اما عن الضباط فأنا ضيف الجيش السوري محرراً في مجلة الجندي. ثم ماذا كان المقصود بالاجتماع؟ فقال رئيس المحققين.. المقصود هو اغتيال الملك والامير عبد الاله... ضحكت مرّة ثانية من هذا الكلام السخيف والذي يلقي التهم جزافاً وقلت "أنا وين والاغتيالات وين؟" خاطبت المحقق بالقول: ألا تعرف هذا الرجل الذي يقابلك (مشيراً الى نفسي).. أنا رجل وظيفتي أن أقول الحرف المدوي.. فأنا لااعرف شكل المسدس ولاكيف يرمي.. اما خالد بكداش فهو صديق قبل ٣٠ عاماً.. رأيته عدة مرات، لقاءات عابره. ثم ماهو الغرض من اغتيال الملك؟ ثم واجهته بأن لدي "وسام الرافدين" فإرتبك وأحرج.. أبقوني عندهم وجاء شخص قائلاً لي بخشونه "الغداء والعشاء" فقلت له أنا لاآكل من هنا.. إتصلوا بالبيت ليرسلوا لي الاكل.. في هذا الوقت وبعد مكالمته، كان الاهل قد اتصلوا بعبد الوهاب مرجان الذي بلّغ بدوره عبد الرسول الخالصي وزير العدلية، ثم أبلغ بهجت العطية. واذا بالذي كلمني

يخشونه يقول استاذ جواهري.. نحن نريد كفاله فقط. فقلت له قبل قليل تريد ان تجلب "الغداء والعشاء" بكل فضاضة وكأنني فريسة فلتت منه. فخاطبني اذا لم يتدخل "الاعلى" بأمرك فيتدخل بأمر من؟ وجاء السيد جواد الحصاني ليكفلني كفالة شخصية، وهي مسأله شكلية.. فخرجت وأودعناكم...! وكأن شيئاً لم يكن!

باعتقادي هذه دلالة ليس على احترام بعض المعايير لدى الحكام، لكن علي حصانة الجماهير ومركز الانسان والتجرد. فهم يعرفونني مخالفاً لهم ومعارضاً من الألف الى الياء أحياناً خصوصاً منذ الوثبة لكنهم يعرفونني بأنني واضح ويعرفون أيضاً طريقتي بالحياة والعيش.

تموزيات:

* مالذي حدث ياأبا فرات بعد ثورة ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ حين انقلبت بعض المعايير؟ وتدهورت الى ماوصلت اليه الآن حيث بلغت الحضيض؟ فقد جاءت كرد فعل للاوضاع البائسة وانعدام الحريات والتضيق على الصحافة ولفك ارتباط العراق بحلف بغداد وكانت تتويجاً للوثبات والانتفاضات الشعبية ضد الظلم. وكان إعلان جبهة الاتحاد الوطني عام ١٩٥٧ وتحالفها مع الضباط الاحرار خطوة بإتجاه الاجماع الوطني. وخرجت الجماهير الى الشوارع لحماية الثورة.. لكن الثورة أكلت رجالها بل أكلت جمهورها الذي صنعها فيما بعد... كيف تنظر الى ذلك وكيف تقيّم المرحلة!؟

** وا لله يابو ياسر بصراحة، هذه الاسئلة لاتستدرجني. المسألة شائكة ومعقدة. ربما لم نكن متهيئين للتغيير ولتقبل فكرة الثورة بالنمط المألوف في العالم. قد أختلف معك فأنا لاأسميها "ثورة" والتسمية لاتنطبق عليها. في العالم الحضاري لانستطيع أن نطلق عليها "ثورة" بل "انقلاب عسكري" أطاح بنظام ولكنه لم يأتِ بنظام آخر... لم يكن هناك بديل. الثورة عندي هي من صنع

الجماهير. لكن الجماهير عندنا مسكينة لم تكن مدربة و لم تكن مستعدة بما فيه الكفاية لعملية التغيير. أنا نفسي كتبت مخاطباً الجماهير في الكثير من الموارد. قد تكون تلك من أخطائنا واخطائكم الثورية. فالجماهير لم تكن مهيأة وعياً وحساباً للتوقعات الجديدة و لم تكن مفاهيمها عن الثورة قد بلغت حد النضج. لم تميّز بين الثورة والانقلاب والحكم المدني والحكم العسكري الذي تم التصفيق له، باندفاعات عاطفية بعضها ولكن كان ينبغي كبح جماحها... المسؤولية جماعية بتقديري وتتحمل الحركة السياسية والثقافية أيضاً ومن كل الاتجاهات، نتائج الاوضاع التي وصلنا اليها. لدرجة ان أبناء الشوارع أصبحوا الآن حكاماً وزعماء ويقررون مصائر البلاد.

* هل كانت تموزياتك تحذر من ذلك؟ في أي الموارد؟ كيف رأيت الحدث بعد الانفجار الاول؟ فالحريات الموعودة سلبت في اول الطريق، والارهاب ضوعف بشكل لم يسبق له مثيل، والحرب فيما بعد اندلعت في كردستان، والمثقفون دخلو السجون وتشردوا وضاقت بهم السلطة ذرعاً، والصحافة تقننت والحكم البرلماني أصبح منسياً والحديث عنه محظوراً !

** هذا يؤيد ما أقوله.. فأنا لاسمي الانقلاب ثورة ولست بذلك مغالياً ولكنني اكثر واقعية من "ثوريتكم" أو أقرب الى الواقعية حين أطلق على الانقلاب العسكري، انه كان محاولة لاجهاض عملية التغيير والتطور الحقيقية والمنشودة، وهو ماكنت أريده وأتمناه، لكن الصدمة أخذت تفعل فعلها تدريجياً وما كان من تلاقي بين الاطراف والقوى قبل الانقلاب إنفرط عقده وظهرت الألاعيب السياسية والخدع المعروفة ومحاولات استغلال النفوذ ومحاولات احتكار العمل والتضيق على الآخرين بل الذهاب الى حد تقديس الشخص الذي كان الرأس المدبر لعملية الانقلاب وهو عبد الكريم قاسم.

الزعيم مرافقاً للجواهري:

* زعيم الثورة عبد الكريم قاسم مرافقاً للجواهري في لندن. أليس هذا ياأبا فرات عنواناً مثيراً وجميلاً!؟

** الله يرضى عليك.. كان اسم عبد الكريم قاسم قد بدأ بالانتشار وكذلك صوره بعد ١٤ تموز (يوليو)، وكما تعلم فقد كان بين الرجل وبيني علاقة بدأت في لندن كما ذكرت حيث رافقني لعيادة طب الاسنان لمعالجة اسناني وقد تمسك بصحبتي ومرافقتي، بل انه اسّر لي بان البعثة العسكرية التي كان يدرس على حسابها، لاتغطي نفقات علاج الاسنان له.. فإستأذنت منه أن أبلغ المسؤولين رايه بعد عودتي فسكت.

كنت قماشة وطنية خالصة وكان الجميع يجدون فيّ قاسماً مُشتركاً ويتحلقون من حولي، رغم مزاجي وصعودي ونزولي واندفاعاتي المعروفة ولم أجد لغة مشتركة مع الضباط، الذين كان قسمٌ منهم يحبني ويحترمني ومنهم عبد الكريم قاسم قبل "الثورة" وبعدها. والبيت الوحيد الذي زاره كان بيتي. ورغم نفوري من الضباط في الملحقية العسكرية في لندن، الاّ ان الوحيد الذي اجتذبني كان عبد الكريم قاسم بمجاملاته وتهذيبه وكان يقضي السهرات معي، رغم انه لايشرب.

في صبيحة ١٤ تموز (يوليو) وأنا عائد من علي الغربي واذا بي اصادف صورة على زجاج السيارات "للزعيم" الذي أصبح أوحداً للثورة المزعومة.

عندما أقول لك انه مرافق فقد كان الرجل متطوعاً، اذ ان لي مرافقاً خاصاً. وكان يحاول أن يستمع مني وأن يطيل أحاديثي.

تصور الفرق بين أن تزحف الجماهير لتحطم الباستيل الرهيب في باريس، حيث كان السجين يقضي ٢٠سنة أو اكثر ولايعرف شيئاً عن العالم، لتدكّ أكبر عرش في اوربا وتقضي على لويس السادس عشر وبين ان يقوم شخص

لاتعرف الجماهير بإسمه ولامن هو وكيف جاء، لتتحرك بعد ذلك أي بعد أن تكون الكتائب العسكرية قد أنهت الامر فالقضية شيء آخر.

كنت قد نسيت من يكون أول "الثورة". فماذا تكون الجماهير البريئة قد عرفت من الامر؟!. أعتقد إننا مسؤولون لحد الحساب العسير فيما يخص نظرتنا الى الجماهير وأقولها حتى في أعلى المستويات التنظيمية عندنا.

أن تزحف الجماهير ضد حكام لانتقبلهم وليس لها رأي في اختيارهم شيء وان تؤيد "زعيماً" مغموراً، لاتعرف عنه شيئاً، فالمسألة لها بعدٌ آخر وتتكرر اللعبة دائماً سواء في العهد الملكي، عندما جاء بكر صدقي قائد انقلاب الـ ١٩٣٦، زحفت الجماهير رغبة في الجديد الذي لم يأتِ؟ لم اكن أتنبأ بأن الجماهير ستجلب "مغموراً" لتعلّق التاج على رأسه. كنت اعتقد انها ستختار من تريده ومن تعرفه. ومع عبد الكريم قاسم تكرر الامر، وفيما بعد في حكم عبد السلام عارف أيضاً وفي عام ١٩٦٨ حيث الانقلاب الاخير لعب القادمون الجدد بالاوراق، كما لعب غيرهم ولكنهم كانوا بأوراق ملّونه حسب الطلب.

من جاء بعد "الثورة" ضباط أحرار (لم يسمع أحد بهم) وبضعة وزراء كانوا معروفين كسياسيين "حسين جميل" و"محمد حديد" و"فيصل السامر" و"ابراهيم كبه" وغيرهم. ولكن القيادة الحقيقية كانت بيد "العسكر" الذي بدأ الصراع بينهم يتخذ طابعاً سياسياً واقليمياً.

اغتراب في الداخل... اغتراب في الخارج:

* هل بدأ الاغتراب لديك منذ الايام الاولى للثورة؟ هل كنت تتوقع "الاعظم" بمعنى "الأسوأ" كما يقال، أي انتكاسة الحركة السياسية، التي تركت التمسك بالدستور وبخاصة (الدائم) والحكم المدني والمجلس النيابي (البرلمان) وحقوق وحريات المواطنين وانشغلت بصراعاتها السياسية

اللاعقلانية؟ هل كان الافتراق بين الآمال العريضة وبين ما حصل فعلاً فيما بعد هو سبب الفجوة الكبيرة والاغتراب العميق!؟

** انا احمّل نفسي بعضاً من المسؤولية. وأحاسب نفسي بقساوة فكيف لي وانا الشاعر والمثقف وابن التاريخ العريق، أن أويد جنرالاً حتى وان كان طيباً. ففي سوق الشورجة يوجد العشرات من الطبيبين مثلاً وعندهم ضمير ولديهم رحمة وأمانه في البيع والشراء فلايكفي لهؤلاء أن يصبحو "زعماء". "واذا كان عبد الكريم قاسم طيباً ونظيفاً وباغضاً للاستعمار في دمه ولحمه، لكنه وحده لا يمثل طموحات الجماهير" بالعكس قد إنجرف ومال الى اليمين بعد اليسار واختل توازنه و لم يكن تفكيره سوّياً أو مستقيماً، بل كان مريضاً وإزداد مرضه عندما أمسك بناصية الحكم وإعتلى شهوة الإنفراد. وأعتقد ان بعض الاطباء السوفيت كانوا يعالجونه سرّاً. وعلمت ذلك بعد أن جاءوا الى بيتي لمعالجة ام نجاح. وقد يكون تصرفه وسلوكه فيما بعد هو امتداد لوضعه النفسي وانطوائيته وشكوكه بأقرب الناس. أما الجماهير فبطيبتها وبساطتها لاتدرك مثل هذه الامور، فمابالك اذا كانت طلائعها السياسية قد اندفعت قبلها بذلك لحسابات قصيرة النفس وتقديرات خاطئة بل ضارة.

* كيف انقطع حبل الود بينك وبين "الزعيم" وبدأت مرحلة الجفاء فالقطيعة؟

** سبق وان ذكرت لك انني تحديته في وجهه وأمام جمع من الادباء بعد أن تدهورت امور البلاد. فقد بدأت اعاني من الغربة وانا داخل العراق، بينما كانت غربتي ملاذاً لي في الخارج حيث تنفست الصعداء. فالحملان البغيضان "اتحاد الادباء ونقابه الصحفيين" اللذان كنت أترأسهما أصبحا شديدي الوطأة عليّ خصوصاًوان لملوماً (خليطاً رديئاً) من الصحفيين والادباء أريد له اغراق

هاتين المؤسسيتين المرموقتين(٩٨) والاكثر من ذلك يوم اشتكى عبد الكريم في خطاب له من الصحافة العراقية بقوله "لقد أخفقت الصحافة العراقية في مهمتها وقسمّت صفوف الشعب بدلاً من أن ترصّها(٩٩) " كان اشارة واضحة لعدم إرتياحه، بل محاولة لقطع حبل الودّ مأخوذاً بغروره وعدم سماعه رأي الآخرين.

لقد تحملت بسبب الحملين الكثير من الاشكالات المعنوية والمادية، فلم تكن السلطة ترغب بتقديم التسهيلات لهما، اضافة الى المنغصّات اليومية.

وعندما ذهبت الى "الاتحاد السوفيتي" عام ١٩٥٩ كنت منهاراً لما عانيت وما كابدت. وتم استقبالي بشكل احتفائي كبير وحُجز لي مصّحٌ كان ينزل فيه خروشوف نفسه في سوجي وعالجني طبيب ستالين (للاسنان). والحمد لله كانت صحتي جيده. ولكنه الارهاق فقط وحكيت لهم المتاعب وكيف انني

---

(٩٨) ـ منذ العام الاول للثورة مارست السلطة الجديدة ضغوطاً شديدة على النقابات المهنية ومن بينها نقابة الصحفيين التي كان يرأسها الجواهري. فبعد إلغاء الرقابة على الصحف (بعد الثورة مباشرة) عادت الرقابة باجراءات رجعية وتعرض الجواهري لمحاولات للاساءة بإبطال انتخابه رئيساً لنقابة الصحفيين باستعانة عبد الكريم قاسم بهيئة تحكيم (نيسان-ابريل ١٩٦٠) كما جرت محاولة مماثلة مع الحزب الوطني الديمقراطي لابطال انتخاب كامل الجادرجي بامر من الزعيم قاسم حيث ألغى وزير الداخلية الانتخاب مدعياً "ان اللجنة الادارية للحزب لاتمثل الحزب وان كل القرارات التي تتخذها ستكون غير شرعية" وهو ما اكدّ مخاوف الديمقراطيين بصدد مستقبل الديمقراطية في العراق وزاد من هواجسهم.

(٩٩) ـ القى الزعيم عبد الكريم القاسم خطابه خلال احتفال نقابة الصحفيين بتاريخ ٧ نيسان (أبريل) ١٩٦٠. وكانت تداخلات الحكومة والعسكريين من قادة الجيش بشؤون الصحافة، منعا وتديقاً وإغلاقاً لبعضها، حتى أن السيد حميد الحصونة آمر الفرقة الثانية (التي كان مقرها الديوانية آنذاك)، منع صحيفة "اتحاد الشعب" من التوزيع في المنطقة العسكرية التي تحت نفوذه، وتضم عدداً من محافظات الفرات الأوسط وتصل المنطقة الجنوبية، في حين أنها كانت تصدر بترخيص رسمي من وزارة الداخلية في بغداد. وتلك كانت إحدى مفارقات الحكم القاسمي. وكانت حجته أن هناك "مقالات تلحق الضرر بأمن الجيش والبلاد". كما تم اعتقال العديد من الصحفيين وملاحقة بعضهم قضائياً.

كنت استدين لتمشية امور صحيفتي "الراي العام" وتعرّضها للتوقف بسبب الضائقة عدة مرات وكيف يؤثر ذلك على القراء واستغربوا عندما علموا بانه لم يكن لي "راتبٌ" ولم يكن لي "بيتٌ" ولم تكن لي سيارة خاصة".

ثم كانت المواجهة مع عبد الكريم قاسم بخصوص "الميمونة" كما ذكرت حيث اتصل بي صلاح خالص طالباً مني الذهاب على رأس وفد لمقابلة "الزعيم" ولغرض الحصول على مخصصات للاتحاد..!! ثم حصل ماحصل.

في العهد الملكي، كنت اخرج من العراق، عدة مرات ثم أعود.. الى سوريا ولبنان ولم اكن افكـرّ بالغربة. في عهد "الزعيم" تعرضت الى وضع محرج للغاية. "البيت مطوق.. أسمع الشتائم وانا في السيارة من الأمن.. الصحف السيّاره لم تترك شيئاً قذراً الاّ ونسبته لي.." واذا كنت أريد خوض المعركة والمواجهة في المرات السابقة، ففي هذه المرة فكرت بالخروج، حتى ان إقتضى الامر بدون جواز سفر، عبر كردستان او عبر الجنوب (البصرة) حيث تم إنقاذي بدعوة الى لبنان لحضور مهرجان الاخطل الصغير وتحذيرات وصلتني من جمهورية المانية الديمقراطية بعدم البقاء، فوجدت الفرصة سانحة وحللت ضيفاً على اتحاد الادباء التشيكوسلوفاك كما ذكرت.

* أبا فرات كيف حصل ذلك؟

** تلقيت دعوة من اتحاد الكتاب الالمان عبر السفارة (الممثلية انذاك قبل الاعتراف بها رسمياً عام ١٩٦٩) وطلب سكرتير السفارة اللقاء بي شخصياً فدعوته للاتحاد وأحضرت معي د.مهدي المخزومي ود.علي جواد الطاهر والاستاذ محمود الحبوبي (في حديقة عامة) واعتذرت عن تلبيتي للدعوة لظروفي الخاصة وقلت له اذا رغبتم فأي واحد من الاخوان مؤهل لتمثيل الاتحاد وبالنيابة عني.. لكنه قال ان الدعوة شخصية لك بالذات. وانتهى

اللقاء. وفي اليوم التالي اتصل بي مؤكداً الموضوع وطلب اللقاء. فرجوت الاخوان للحضور مجدداً، لانني كنت أعلم ان الفراش او الحارس (الشغيل الذي يعمل في الاتحاد كان وكيلاً في الامن). فحضروا معي وكان السكرتير متضايقاً لأنه طلب اللقاء بي وحدي وعلى انفراد. فقلت له "هؤلاء نفسي، انا معهم ولاسّر بيننا، وهم أمناء على اسراري وانا واحد منهم" فأوضح لي ان الدعوة قائمة والبطاقة جاهزة والأمر له علاقة بمعلومات عن احتمال تعرضي للتصفية الجسدية. وانتهزت الفرصة كما ذكرت فحملت حقائبي الخفيفة لأتوجه الى لبنان لحضور حفل تكريم بشارة الخوري (الاخطل الصغير) وكانت الدعوة قد نشرت في الصحف.

وهنا إحترت بمن أتصل للحصول على جواز السفر. كنت سابقاً أتصل بالافندي (المقصود عبد الكريم قاسم) او بأحمد صالح العبدي (الحاكم العسكري العام) الذي كان يحيلني عليه وهو رجل طيب ولكن عندما علم بتدهور علاقتي "بالزعيم" "عوج ذيله" أي ادار ظهره وتنكر للامر وكنت قد توسطت لديه سابقاً لاطلاق سراح ثلاثة او اربعة من الصحفيين الذي تم اعتقالهم. فكرت بالامر واتصلت بجلال الأوقاتي (قائد القوة الجوية الذي قتل صبيحة يوم ٨ شباط- فبراير- ١٩٦٣)، وكان مقتله كما أشيع ساعة الصفر الاولى، حيث طرق بابه وعندما فتح الباب، عالجه "حارس قومي" باطلاقات فأردته قتيلاً وقلت له "يا ابا خالد انت تعرف موضوعي".. فأجاب نعم فقلت له إنني أرغب في السفر تلبية للدعوة الخاصة ببشارة الخوري والبقية لديك خصوصاً وان المهرجان تأخر اسبوعاً. فأجابني... انت تعرف هذا (المقصود الزعيم) وتعرف كل شيء ولكن مع ذلك أرسل لي جواز سفرك... أرسلته بيد فرات (ابني)... وا لله لم أصدق حينما أرسله لي ابو خالد نافذاً..." قلت

"أف يامحمد". فجلب لي فرات الجواز بينما كان "الجاسوس" الذي يوصل أخبار الأوقاتي الى الجهة الاخرى يراقب ذلك وهو موجود في مكتبه... ثم تسلمت البطاقة من ممثلية ألمانيا الديمقراطية وعلى الفور الى بيروت ومنها بعد المهرجان الى المانيا عبر براغ، لكن بتوقف الطائرة علمت بانني ضيف اتحاد الادباء التشكوسلوفاكيين، الذين ارادوا أن يكرموني وذلك حسبما أعتقد تنسيقاً بين الجهات الاشتراكية انذاك:..

الملاحـق

مختارات شعرية

يضم قسم الملاحق مختارات شعرية منتقـاة بحيـث تغطـي العمـر الإبداعـي للشاعر والـذي زاد علـى سبعة عقـود ونصـف. فقـد تم اختيـار ٢٥ قصيـدة ومقطوعة، كنماذج من عيون شعر الجواهري، يكفـي للقـارئ أو المتـذوق أو المهتم بدراسته الاستعانة بها. وقد اختيرت وفقاً لمعايير ابداعية وجمالية لتغطي تاريخياً كل عشر سنوات وفي موضوعات منوّعة. وتشكل هذه الاضمامة باقـة ملونـة حـرص المؤلـف أن يقـدم الجواهـري مـن خلالهـا اسـتكمالاً للبحـث والحوارات واللقاءات.

كما تضم جزءً مستّلاً من مقدمة كتاب"الجواهري في العيون من أشعاره" ومقطوعة أهداها الشاعر الكبير للمؤلـف وصـورة تذكاريـة للشـاعر والمؤلـف تعود الى أول الثمانينات.

العشرينات

جربيني

نشرت في جريدة "العراق"، العدد ٢٩٠١ في ٢٣ تشرين الأول ١٩٢٩

جرْبيـــني مــنْ قبــلِ أن تزدَريـــني وإذا مـــــاذممِتني فــــــاهجريني
وَيقينــــاً ســــتندمينَ علـــى أنـــكِ مـــن قبـــلُ كنــتِ لم تعرفيـــني
لاتقيســي علــى ملامــحِ وجهـــي وتقاطيعـــــهِ جميـــعَ شـــؤوني
أنـــا لي في الحيـــاة طبـــعٌ رقيـــقٌ يتنـــافى ولـونَ وجهـي الحزيـــن
قبلَــكِ اغــتر معشــــرٌ قرأونـــي مــن جبـــين مكلــل بـــالغضون
وفريـــقٌ مـــن وجنتـــين شَحوبيـــ ــن وقـدْ فــاتتِ الجميـعَ عُيونـي
اقرئيـــني منهـــا ففيهـــا مطـــاوي النفس طَـرّاً وكــلٌ ســر دفـين
فيهمـــا رغبـــةٌ تفيـض وإخـــلاصٌ وشــــكٌ مخــــــامرٌ لليقـــــين
فيهمـــا شــــهوةٌ تثـــورُ وعقـــلٌ خــاذِلي تــارةً وطـــوراً مُعيــني
فيهمـــا دافـــعُ الغريـــزةِ يُغريــني وعــــدوى وراثــــةٍ تزويــــني
إنــا ضــــدٌ الجمهـــور في العيـــش والتفكـير طَـرّاً. وضـدّه في الدِّيـن
كــلّ مـــافي الحيـــاةِ مـــن مُتَـــع العيش ومـن لـذةٍ بهـا يزدهيـني
التقـــاليدُ والمداجـــاةُ في النـــاس عــــدُوٌ لكــــلّ حُــــر فطــــين

أنجديني: في عالم تنهشُ ... "الذئبانُ" لحميَ فيه.. ولا تسلِميني
وأنا ابنُ العشرين مَنْ مُرجعٌ لي ... إنْ تقضَّتْ لذاذةَ العشرين

إبسِمي لي تبْسِمْ حياتي، ... وإنْ كانت حياةَ مليئةَ بالشُّجون
أَنصِفيني تكفري عن ذنوبِ ... الناس طَرّاً فإنهمْ ظلموني
إعطِفي ساعةً على شاعرٍ ... حُر رقيق يعيشُ عيشَ السجين
أَخذتني الهمومُ إلا قليلاً ... أدركيني ومن يديها خذيني

ساعةً ثم أنطوي عنكِ ... محمولاً بكَرهٍ لظَلمةٍ وسكون
حيث لارونقُ الصباح يُحيِّيني ... ولا الفجرُ باسماً يُغريني
حيث لا "دجلةَ" تلاعبُ ... جنبيها ظِلالُ النخيل والزَّيتون
حيث صَحبي لايملِكونَ ... مُواساتي بشيء إلا بأَنْ يبكوني
مَتعيني قبلَ المماتِ فما ... يُدريكِ مابعدَه وما يُدريني
وهَبي أنَّ بعدَ يوميَ يوماً ... يقتضيني مُخلفاتِ الدَّيون
فمَن الضامنونَ أنكِ في ... الحشر إذا ماطلَبتِني تجديني
فستغرينَ بالمحاسن رُضواناً ... فيُلقيكِ بين حُور وعِين
وأنا في جهنم معَ أشياخ ... غَواةٍ بغيِّهمْ غمروني
أحرَجَتني طبيعتي وبآرائِهم ... ازدَدْتُ بَلةَ في الطين
بالشفيع "العُريان" استملكي ... خيرَ مكان. وأنتِ خيرُ مكين
ودَعيني مُستعرضاً في جحيمي ... كلَّ وجهٍ مُذمَّم ملعون
وستَشجينَ إذ ترينَ معَ البُزل ... القناعيس حيرةَ ابن اللبون(1)

---

(1) البزل جمع "بازل" وهو الجمل الذي شق نابه وبزل. و"القناعيس" الابل القوية الشديدة وفي البيت اشارة إلى قول القائل:

و"ابن اللبون" إذا مالز في قرن ... لم يستطع صولة "البزل القناعيس".

عن يساري أعمى المعرَّةِ و"الشيخ" الزهاويُّ مقعَداً عن يميني(٢)
إئذني لي أنزلَ خفيفاً على صدركِ عذباً كقطرةٍ من مَعين
وافتحي لي الحديث تستملحي خفة رُوحي وتستطيبي مُجوني
تعرفي أنني ظريفٌ جديرٌ فوقَ هذي "النهود" أنْ تعرفيني
مؤنِسٌ كابتسامةٍ حولَ ثغريكِ جذوبٌ كسحرِ تلكَ العيون

إسمحي لي بقبلةٍ تملِكيني ودعي لي الخيارَ في التعيين
قرِّبيني من اللذاذةِ ألمسها أريني بداعةَ التكوين
إنزليني إلى "الحضيض" إذا ماشئِت أو فوقَ ربوةٍ فضعيني
كلّ مافي الوجودِ من عقباتٍ عن وصولي إليكِ لايَثنيني

إحمليني كالطفل بين ذِراعيكِ احتضاناً ومثلَه دلليني
وإذا ماسُئلتِ عني فقولي ليسَ بدعاً إغاثةُ المسكين
لستُ أمّاً لكنْ بأمثال "هذا" شاءتِ الأمهاتُ أنْ تبتليني
أشتهي أنْ أراكِ يوماً على ما ينبغي مِن تكشُّفٍ للمصون
غيرَ أني أرجو إذا ازدهتِ النفسُ وفاضَ الغرامُ أنْ تعذريني
"إلطميني" إذا مَجَنْتُ فعمداً أتحرّى المجونَ كي تلطِميني
وإذا مايدي استطالتْ فمِنْ شَعركِ لطفاً بخصلةٍ قيّديني
ماأشدّ احتياجةَ الشاعرِ الحسّاس يوماً لساعةٍ مِن جنون

(٢) في البيت اشارة إلى الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي. وللزهاوي نكتة معروفة حول هذا البيت هو قوله: شدما يعجبني فيه أن الجواهري لم يكتف بانزالي في جهنم وانما جعلني مقعداً فيها أيضاً.. وكان الزهاوي مصاباً بشلل خفيف في رجليه.

الثلاثينات

عريانة....

نظمت عام ١٩٣٢

أنتِ تدرين أنني ذو لُبانَهْ ألهوى يستثير فيَّ المَجانَهْ
وقوافٍ مثل حُسنك لما لتَعَرَّيْنَ حرَّةٌ عُريانه
وإذا الحبُ ثارَ فلا تَمْـ ـنَعُ أيُ احتشامة ثَورانه
فلماذا تُحاولين بأنْ أعـ ـلنَ مايُنكِرُ الورى إعلانه
ولماذا تُهيجين من الشا عِر أغفى إحساسُهُ، بركانه
لاتقولي تجهُمٌ وانقباضٌ بغَضا منه وَجهَه ولسانه
فهما ثورةٌ على الدهر منّي كجَواد لايرتضي مَيدانه
أنا في مجلسٍ يضمُكِ نشوا نُ سروراً كأنني في حانه
لو تُحسِينَ ماأُحسُ إذا رجَـ ـفْتِ في الرَقص بطنَك الخمصانة

رجلــةٌ لاتمــسُ مابـــين رفْغَيْـــكِ   وتبْقــي الصـــدرَ الجميــلَ مكانـــه
والذراعَـــين كـــلٌ ريانـــةٍ فعـــ   ـــاءَ تلْقِـــي في فَعمـــةٍ رَيّانـــه
والثُديـــين كـــلُ رُمانـــة فـــر   عـــاءَ تَهـــزا بأُختِهـــا الرُمّانـــه
عاريـاً ظهـرُك الرشـيقُ تُحـبُ الـ   عـــينُ منـــه اتســـاقَهُ واتزانـــه
مابــه مــن نحافــةٍ يُستَشَــفُ الـ   عظـمُ منهـا ولابــه مــن سَـمانه
خُـصَ بـالمحض مـن بلهَنيـهِ العَيـ   شِ وأُعطـي مـن الصبـا عنفوانـه[٣]
وتـــراه يجـــيء بـــين ظُهـــور الـ   خُـــرَدِ الغيـــدِ ســـابقاً أقرانـــه
إذ تميلـــين يَمنـــة ويَســـاراً   مثلَمـــا لاعبـــت صبَـــاً خيزُرانـــه
عندمـــا تبسِـــمين فينـــا فتفـــترُ   الشـــفاهُ اللطـــافُ عـــن أُقحُوانـــه
إذ يحـــار الـــراؤون في حُســـنك   الفتَـــان بـــل في ثيـــابك الفتّانـــه
رُبَّ جســمِ تطــري الملاحــةَ فيــه   ثـــمَ تعـــدوه مُطريـــاً فســـتانه
مابـــه مـــن نقيصـــةٍ وكـــأنَ الـ   ثـــوب أضحـــى مُتمِمـــاً نُقصانـــه
إنَ كفَـــاً قاســـت عليـــك لباســـاً   مثـــل هـــذا مهَـــارةٌ شـــيطانه
عَرَفَـــتْ كيـــف تَـــبرُزين إلى الجمـــ   هُـــور فيـــه لتخلِـــبي أذهانـــه
ضيقَـــت مُلتقـــى نهـــودِك والكشْـــ   حَـــين منـــه وشمّـــرت أردانـــه
وأشـــارت إلى اللعوبَيْـــن بالألـــ   بـــاب منـــا بـــوردةٍ مُزدانـــه
ليـت شـعري ماالسرُ في أن بـدت للـ   ـعَـين جَهـراً أعضـاؤُكِ الحُسّـانه
واختفـى عضْـوُك الـذي مـازَه اللّـ   ـــهُ علـــى كـــل مـــالديك وزانـــه
الـــذي نـــال حُظـــوةً حُـــرم   الإنســـانُ منهـــا وخُصَـــت الإنســـانه

---

(٣) ـ البلهنية الرخاء وسعة العيش.

وتمنـــى علـــى الطبيعـــة شـــكلاً   هـــو مـــن خـــير مـــايكونُ فكانـــه

وَمَحَـــلاً خِصبـــاً فحـــلَ بـــوادٍ   أنبـــتَ اللّـــهُ حولَـــهُ ريحانـــه

لم يُـــرد مـــن بَـــراه مُتعـــةَ نَفـــسٍ   أن يُعَطَـــى ولم يُـــرِدْ كِتمانـــه

ككتـــابٍ كشَـــفت عـــن صفحتيـــهِ   ثـــم غطيَـــت عَنـــوةً عُنوانـــه

أو غَديـــرِ جـــمِ السّـــاربِ عـــذبٍ   حَرَمـــوه وحلّلـــوا شُـــطآنه

هيكـــلٌ مـــن هيـــاكِلِ اللّـــهِ سُـــدَّ   البـــابُ منـــه وكفّنـــوا صُلبانـــه

الأربعينات

بنت بيروت

*نظمت صيف عام ١٩٤٢ عندما كان الشاعر يصطاف في ربوع لبنان..

*نشرت في جريدة "الرأي العام" العدد ٦٥٥ في ١٤تشرين الأول ١٩٤٢، تتصدرها عبارة: "مهداة إلى الأستاذ الجليل عمر الفاخوري ذكرى تلك الساعات على الأبيض المتوسط".

ياعَذبَـةَ الـرُّوحِ يافتّانَـةَ الجَسَـدِ ... يـابنتَ "بـيروتَ" ياأنشودةَ البَلـدِ
ياغَيمَـةَ الشَّـعرِ مُلتاثـاً علـى قَمـرٍ ... يابَسمةَ الثغرِ مفـترّاً عـن النَضَـدِ[٤]
يارَوعـةَ البَحـرِ في العينـين صافيـةً ... يانشـوةَ الجبَـلِ الملتـفِ في العضُـدِ
يـاقَطرةً مـن نِطـافِ الفجـرِ سـاقطَها ... من "أرزِ" لبنانَ خفّاقُ الظلالِ نـدي[٥]
يانَبتـةَ اللّـهِ في عَليـا مَظـاهرهِ ... آمنـتُ باللّـهِ لم يُولَـدْ ولم يَلِـدِ

---

(٤) ـ النضد: ماتنضد وتراصف.

(٥) ـ النطاف: جمع نطفة وهي الماء الصافي.

ياتلعــةَ الجيــدِ نصَتــه فمــا وَقَعَــت ... عَـينٌ علـى مِثلـه يَـزدانُ بـالجيَد[٦]

يُطِـلُ منهـا بوجــةٍ أي مُحْتَمِـلِ ... ويَســـتريحُ بصــدرِ أيَّ مقتعَـد
يـاجَوهَر اللُطفِ يـامعنىً يضيـقُ بـه ... لَفـظٌ فيقذِفُـهُ الشِـدقان كـالزَبَد
أُعِيـذُ وجهَــكِ أن أشْـقى برقَتِـه ... وَفَيْضُ حُسنِك أن يَعيـا بـريٍّ صَـدي
ولايليـــقُ بأجفـــان أنشّـــرُها ... على جمالكِ أن تُطوى علـى السُهُد
يَـدٌ مَسحتُ بهـا عَيـني لأُغمِضَهـا ... على الهوى، ويدي الأخرى على كبدي
وَرَدتُ عـن ظمـأٍ مـاءً غَصِصـتُ بـه ... فليـــتَ أنّـــيَ لم أظمَـــأْ ولم أرِد
قـالَ الرِفـاقُ ونـارُ الحُـبِ آكلـةٌ ... مِـن وَجْنَـتيّ أهـذا وجــهُ مُبـتَرِد

لمْ أدرِ أذكُــرُ "بيروتــاً" بأَيَكُمــا ... أألنـتِ أم لَوعتـني ياليلـــةَ الأحــد
عَـجَّ الرصيـفُ بأسرابِ المهـا وهَفـا ... قلــبي بزفـرةِ قَنَـاصٍ ولم يصِـد
فمِــن مُوافِيـــةٍ وعـــداً، وراقبـــةٍ ... وعـداً وأيــن الــتي وفَـت ولم تَعِـد؟

فُويـقَ صـدرِكِ مـن رفـق الشـباب بـه ... أشـهى وأعنــفُ مــايُعطى لمنتهِـد[٧]
كـنزان مِـن مُتَـع الدُنيــا يُقِلُهُمـا ... جـمٌ النــدى سَـرِفٌ في زي مُقْتَصِـد
قـالوا تشـاغَلَ عـن أهـلِ وعـن ولَـدٍ ... فقـال نهـداك: لم يَشغَلْه من أحــد
سـوى رَضيعـي لبـانٍ تـوأمٍ حُبِسـا ... رهـنَ الغِلالـة إشـفاقاً مـن الحسـد

(٦) ـ تلعة الجيد: وتلعة انتصابه وارتفاعه. والجيد بفتح الجيم والباء: الحسن في الجيد.
(٧) ـ المنتهد: المرأة الناهد.

راجَعْتُ نَفسي بما أبقى الشبابُ وماتخلّفَ من أسارِهِ بيدي[8]
فما أمرَ وأقسى ماخَرجتُ به لولا بَقيةُ قلبٍ فيَّ مُتَقِد
أمس مَضى بلُبانات الهوى وأتى يَومي يُمهِّد بادي بَدءةٍ لِغَدي.

(8) ـ الأسار: جمع سؤر وهو البقية في الإناء.

ستالينغراد

*نظمت عام ١٩٤٣

*نشرت في جريدة "الرأي العام" العدد ٧٠١ في ٢١شباط ١٩٤٣

نضـــت الـــروح وهزتهـــا لـــواء وكسَـــته واكتســـتْ منـــه الدمـــاءَ
واســتمدتْ مــن إلــه الحَقْــلِ والــ بيـــتِ والمصنـــعِ عَزمـــاً ومَضَـــاءَ
رمَــتِ الــزرعَ بعــين أثلــجَ الدّمــعُ فيهـــا ضـــرمَ الحِقْـــد اجتـــواء
أعجلـــتْ عنـــهُ فـــآلت قَسَـــماً أن ستســـقيهِ دمَ الأعـــداء مـــاء
ومشـــت في زحمـــةِ المـــوتِ علـــى قَـــدمٍ لم تخـــشَ مَيْـــلاً والتـــواء
أقســـمتْ باســـم عظيـــمٍ كرُمـــت باسمِـــه أنْ لاتُهـــين العظمـــاء

يـــا"ســـتَالينُ" وماأعظمَهـــا في التهجّـــي أحرُفـــاً تـــأبى الهجـــاء
أحـــرفٌ يســـتمطرُ الكـــونُ بهـــا انعتاقـــاً وازدهـــاراً وإخـــاء
خـــالقُ الأمّـــةِ لم يمنُـــنْ ولم يبـــغِ ـــ لـــولا أرَجُ الزهـــرِ ـــ ثنـــاء

وزعيـــمٌ شـــعَّ فيمـــنْ حولَـــه
قبـــسٌ منـــه فكـــانوا الزعمـــاء

زَرَّ بُرْديـــهِ علـــى جـــذي مِـــرَةٍ
فـــاض إشـــفاقاً وبأســـاً وعنـــاء[٩]

مسّـــه الظُلـــمُ فعـــادى أهلَـــه
وامـــترى البـــؤسَ فَحَـــبَّ البؤســـاء

وانـــبرى كـــالغيم في مُضْحِيَـــةٍ
فســـقى دهـــراً، وأحيـــا، وأفـــاء

بُـــوركَ البـــاني وعاشـــت أمـــةٌ
وفَّـــتِ البـــاني حُقوقـــاً والبنـــاء

قيـــل للعيـــش ففـــاضت أُمنـــاء
وإلى المـــوتِ ففـــاضتْ شـــهداء

ومشـــى التـــاريخُ مـــوزونَ الخُطـــى
مـــاانحنى ذُلاً ولاضـــجَّ ادِعـــاء

هـــذة التربـــة لاماسُـــمِّيت
وطنـــاً يُنبِـــتُ جوعـــاً وعـــراء

وهي ذي الحُفـرَةُ إذْ طـارت عَجاجـاً
ألـفُ نفـس معهـا طـارت فـداء

وهـو ذا العِـرضُ فهـل تبغـي وُقـاةً
مثلَهـم، أو مثـلَ ذا تبغـي وَقـاء

يـــاعروسَ "الفَلَـــغِ" والفلغـــا دمٌ
ســاءت البلـوى فأحســنت البـلاء

صُبِـــغَ "الـــدونُ" دمَـــاءين هُمـــا
بُعـدُ بـين الرجـس والطهـرِ التقـاء

وجـــرت أمواجُـــه حاملـــةً
فوقهـــا الضدّيـــن صُبحـــاً ومســـاء

وعلـى الجُرفـين "عظمـان" همـا
رمـــزُ عهدَيْـــن انحطاطـــاً وارتقـــاء

ياابنـــةَ النهريـــن دومـــي شَـــبَحاً
لقـــوي وضعيـــفٍ يُـــتراءى

للمُهينـــينَ عِقابـــاً وجَـــزاء
والمُهـــانين انتفاضـــاً وإبـــاء

حسِـبوا أمـــرَكِ مـــاقد عُـــوِّدُوا
صَعَـقَ الحـربِ اتقـاداً وانطفـاء

---

[٩] ـ المِرّة: القُوّة.

وابتـــداءً مـــن حديـــدٍ ودمٍ يُمهَـرُ الفتـحُ بـه ثـم انتهـاء
واستجاشـوا فيلـقَ المـوتِ علـى ظمـأ للـدم منّـوه ارتـواء
ومضـوا فيمـا أرادوا خطـوةً أوشك اليـأسُ بهـا يمحـو الرجـاء
أوجـف الغـربُ علـى وطأتِهـا وأمـالت كلكـل الشـرق فنـاء[10]

فـإذا العِـزّةُ في عَليائهـا تتضـرّى فتـدوسُ الكبريـاء
وإذا الأنقـاضُ في كُرْبتِهـا تُفْعِـمُ المكـروبَ كـالرّوض شـذاء
وإذا المُنقـضُّ مـن أحجارهـا لمـحُ النجـمِ تعـالى فأضـاء
وإذا الطـاغوتُ في أعراسـه يمـلأ الدنيـا نحيبـاً وبكـاء
أنـتِ أمليـتِ علـى تاريخـه طافحـاً بالكِـبر ذُلاً واختـذاء
ومحـوتِ العُجْـبَ مـن أسـطاره ومـلأتِ الصّلَـفَ المحـضَ ازدراء
وصفعـتِ الـدنَّ في يافوخِـهِ صفعـةً لم تُبْـقِ خَمْـراً وانتشـاء
نحـنُ أهـلُ الأرض لـو نقْـوى وفـاء لرفعنـاكِ علـى الأرض سمـاء
لجعلنـا كـلَّ عـين ـــ مثلمـا كـلُّ قلـبٍ ـــ تتمـلاكِ اجتـلاء

ورأوا في السِـلمِ دينـاً يُقْتَضـى ورأوا في الحـربِ للدِّيـن اقتضـاء
أترجـى –أن تنجـي وطنـاً . مـن يـد المـوت– جنـوداً فقـراء
إنَّ للحـربِ رجـالاً ليتَهُـمْ خبَرونـا أنَ للحـرب نسـاء
وغيـوراتٍ أبـى تاريخُهـا أن تُـرَى دون الغيوريـنَ غَنـاء

---

(١٠) ـ وجف: اضطرب

زانهـــــاالطهرُ رُواءً وارتمـــــــتْ ... في مُثـــار النقــعِ فـــازدادت رُواء
ذادتِ الأمُ عـــن البيـــــتِ وَقـــاء ... وارتمـى الطفـلُ علــى الأمِ افتـــداء
وتعـــزَّت حـــين أخلـــت طُنفــا ... لم تَصُنْـه ، أنَّهـا صـانت فِنـاء(١١)
"أُمَّ غوركـي" ليـت عنـدي ووحيَـه ... لأوفي (بنتَــك) اليـــومَ الثنـــاء
لـــو يعوداليـــومَ حيّــاً لـــرأى ... مثلَهـــا ألْفـــاً تهـــزُّ البُلَغـــاء
بـــل ولــولا أن غوركـــي أمُّــــهُ ... مثـــل هـــذي لم يُـبزّ النبغـــاء

يــا "تولسـتوي" ولم تذهـبْ سُــدىً ... ثـــورةُ الفكـــر ولاطـــارت هَبـــاء
ياثريّـــاً وهـــبَ النـــاسَ الـــثراء ... قُـمْ تـــرَ النـــاسَ جميعـــاً أثريـــاء
قُـــمْ تَجِـــدهُ مـــالِكي غلّتهـــمْ ... مـن علـى عهـدِك كـانوا الأُجَـراء
هكـــذا (الفكـــرةُ) تزكـــو ثمَـــراً ... إن زكـتْ غرسـاً وإن طـابت نَمـاء
ياابنـــةَ "النهريــن" هــذا نَسَـــبٌ ... مـــن وَلاءٍ لـــو تقبّلـــتِ الـــولاء
بَعُـــدَ المَرْمـــى بمـــا اســـتهدفتهُ ... واختـذى السـهمُ فقصـرَّتُ عيـاء
وارتمى الحِسُّ علــى الحِـسِّ فمـا ... يســـتطيعُ اللفـــظُ للوعـــي أداء
ومـــن الظُلْـــمِ -الـــذي تأبَيْنَــه- ... أن تسـومي المُعجـزاتِ الشـعراء(١٢)
عاطفـــاتٌ حُــوَّمٌ عـــاجت علـــى ... أبْحُـــرِ الشـــعر فردَّتهـــا ظمـــاء
وهـــي ماكـــانت لتُـــدلي ســـبباً ... لــك لــولا أنهــا كــانت بَـــراء
لم تثِرْهـــا نـــزوةُ النفـــسِ ولم ... يَزهِهــا العُجْــبُ ولم تنبـضْ ريـــاء
جُـــلُّ مايُســـعِفُني الشـــعرُ بـــه ... أن يلبـــي "الفـمُ" للقلـــبِ نـــداء

---

(١١) ـ الطنف: إفريز الحائط أو ماأشرف من البناء خارجاً.
(١٢) ـ المعجزات: مايعجز.

أبو العلاء المعري

* ألقاها الشاعر في مهرجان "ذكرى أبي العلاء المعري"، الذي أقامه المجمع العلمي العربي بدمشق، ونشرت في جريدة "الرأي العام" العدد ١١٢١ في ٥ تشرين الأول ١٩٤٤.

قِفْ بالمعرَةِ وامسح خدّها التَرِبا ... واستوحِ مِن طوّق الدُّنيا بما وهبا[1]
واستوحِ مِن طَبَّبِ الدُّنيا بحكمتِهِ ... ومَن على جُرحها من جرحه سكبا
وسائل الحفرةَ المرموقَ جانِبُها ... هل تبتغي مطمعاً أو ترتجي طلبا
يابُرجَ مَفخرة الأجداث لا تهني ... أن لم تكوني لأبراج السما قُطبا
وهل تصحَّح في عقباكَ مقترحٌ ... مما تفكرتَ، أو حدثتَ، أو كَتِبا[2]
نوِّر لنا، إننا في أي مُدَّلجٍ ... مماتشككتَ، إن صِدقاً وإن كذبا[3]
"أبا العلاء"، وحتى اليوم مابرحتْ ... صَناجةَ الشعر تَهدي المترفَ الطربا[4]

---

(١) الترب (بكسر الراء): الذي يكسوه التراب.
(٢) تفكرت: بمعنى فكرت.
(٣) المُدلِج: السائر في آخر الليل خاصة.
(٤) الصنج: من آلات الطرب وصناجات الشعر المغنون به والمرققون إياه.

يســتنزلُ الفكــرَ مــن عَليـا منازلــهِ رأسٌ ليمســحَ مــن ذي نعمــةٍ ذنبــا

على الحصـير.. وكـوزُ المـاء يرفـدُه وذِهنُــه.. ورفـوفٌ تحمــلُ الكتبــا
أقــامَ بالضجَّــةِ الدنيــا وأقعدَهـــا شـيخٌ أطـلَّ عليهــا مُشـفقاً حَدِبــا
بكــى لأوجــاعِ ماضيهــا وحاضرِهــا وشــامَ مســتقبَلاً منهــا ومرتقَبــا
وللكآبــــةِ ألــــوانٌ، وأفجعُهـــا أن تبصرَ الفيلسـوفَ الحـرَّ مكتئبـا
لثــورةِ الفكــر تـــاريخٌ يحدثنـــا بــأنَّ ألــفَ مســيحٍ دونهــا صُلِبــا
إن الـذي ألهــبَ الأفــلاكَ مِقولُــه والدهـرَ.. لا رَغَبـاً يرجـو ولا رَهَبــا..
حَنـا علــى كــلِّ مغصــوبٍ فضمَّــده وشجَّ مَـن كـان، أيّـاً كـان، مُغتصِبـا
سَـل المقـاديرَ، هـل لا زلـتِ ســادرةً أم أنـتِ خجلى لِما أرهقتِـه نصَبــا؟
"زنجيَّـةَ الليـل" تـروي كيـف قلدهــا في عُرسـها غُـرَرَ الأشـعار.. لا الشُـهُبا[٥]
لعــلَّ بــين العمــى في ليـل غربتــه وبــين فحمَتِهــا مــن ألفــةٍ نســبا
و"ســاهرُ الـبرق" والسُـمَّارُ يُوقِظهــم بالجزع يخفق مـن ذكـراه مُضطربـا[٦]
و"الفجـرُ" لـو لم يلَـذ بـالصبح يشـربه مـن المطايــا ظِمــاءً شُــرَّعاً شُــربا[٧]

---

[٥] البيت إشارة إلى بيت أبي العلاء المشهور:
ليلــتي هــذه عــروس مــن "الزنــج" عليهـــا قلائـــد مــــن جمـــان

[٦] إشارة إلى مطلع قصيدته الرائية المشهورة أيضاً
يـا "سـاهر الـبرق" أيقـظ راقـد السـمر لعـل بـالجزع أعوانـا علـى السـهر

[٧] إشارة إلى بيته وهو أجمل وأرق ماسمع في وصف تبلج الصباح:
يكـاد الفجــر تشــربه المطايـــا وتمـــلأ منـــه أوعيـــة شــــنان

والصبحُ مازال مُصفرّاً لمقرَنهِ — في الحسن بالليل يُزجي نحوه العتبا[8]

ياعارياً من نَتاجِ الحُبِّ تكرمةً — وناسجاً عَفَّةً أبرادُهُ القُشُبا
نعوا عليكَ ــ وأنتَ النورُ ــ فلسفةً — سوداءَ لا لذةَ تبغي ولا طربا
وحمَّلوكَ ــ وأنتَ النارُ لاهبةً ــ — وزرَ الذي لا يُحسُّ الحبَّ ملتهبا
لا موجةَ الصدرِ بالنهدين تدفعه — ولا يشقُّ طريقاً في الهوى سَرَبا
ولا تَدغدغ منه لذةٌ حُلُماً — بل لا يُطيقُ حديثَ اللذةِ العذبا
حاشاك، إنك أذكى في الهوى نفساً — سَمْحاً، وأسلسُ منهم جانباً رطِبا
لا أكذبنكَ إنَّ الحبَّ متهمٌ — بالجور يأخذ مِنا فوق ماوهبا
كم شيَّعَ الأدب المفجوعُ مُحتضراً — لدى العيون وعندَ الصدر مُحتسَبا[9]
صرعى نشاوى بأن الخودَ لَعبتهم — حتى إذا استيقظوا كانوا هُمُ اللعُبَا

عانى لَظَى الحُبِّ "بشارٌ" وعُصبتهُ — فهل سوى أنهم كانوا له حَطبا
وهل سوى أنهم راحوا وقد نذروا — للحبِّ مالم يجب منهم وما وَجَبا
هل كنتَ تخلدُ إذ ذابوا وإذ غَبرُوا — لولم ترضْ من جماحِ النفس ماصَعُبا
تأبى انحلالاً رسالاتٌ مقدَّسةٌ — جاءت تقوِّمُ هذا العالَمَ الخربا

---

(٨) إشارة إلى بيت له من قصيدته التي مر ذكر البيت السابق منها وهو:
رب ليل كأنه "الصبح" في الحسن — وان كان أسود الطيلسان

والبيتان من قصيدته الشهيرة التي يقول في مطلعها:
"عللاني فإن بيض الأماني — فنيت والزمان ليس بفان"

(٩) المحتضر: من أدركه الموت فأشرف عليه. والمحتسب: المفقود بالموت ويقال ذلك للكبير. فإن كان المفقود صغيراً قيل فيه "مفترط" بفتح الراء.

ياحـــاقِرَ النبـــعِ مزهُـــوّاً بقوتِـــهِ وناصراً في مجالي ضعفه الغَرَبا[10]
وشاجبَ الموت من هـذا بأسـهمه ومسـتمِنا لهـذا ظِلـه الرَّحِبـا
ومحـرج الموسـر الطـاغي بنعمتـه أن يُشركَ المعسِرَ الخاوي بما نهبا
والتـاج إذ تتحـدى رأس حاملـهِ بـأيٍّ حـق وإجماعِ بـه اعتصبا

أجللتُ فيك مـن الميزات خالدةً حريَّـةَ الفكـر والحرمـانَ والغضبـا
مجموعـةً قـد وجدنـاهنَّ مفـردةً لـدى سـواكَ فمـا أغنيننـا أرَبـا
فـربَّ ثـاقبِ رأيٍ حـط فكرتـه غُنْمٌ فسفٌّ.. وغطـى نورَهـا فخبـا
وأثقلـت مُتـعُ الدنيـا قوادِمَـهُ فما ارتقـى صُعُداً حتى ادَّنى صبَبَا

آمنتُ بـا للّه والنـور الـذي رسمَـتْ بـه الشـرائعُ غُـرّاً منهجـاً لَحِبـا
وصنتُ كـلَّ دُعـاةِ الحقِّ عـن زَيـغٍ والمصلحين الهداة، العُجـمُ والعَرَبـا
وقد حَمِدتُ شفيعاً لي على رَشَدي أمّاً وجدتُ علـى الاسلامِ لي وأبـا
لكن بي جَنَفاً عـن وعـي فلسفةٍ تقضي بأنَّ البرايا صُنِفت رُتَبا[11]
وأنَّ مِن حكمـةٍ أن يجتـني الرُّطَبا فـردٌ بجهـد ألـوفٍ تعلكُ الكَرَبا[12]

---

(10) النبع: شجر يعرف بقوته وتتخذ من السهام والقسي. والغرب: شجر معروف بسهولة انكساره ومعنى البيت الإشارة إلى شجب المعري القوة بكل مظاهرها، واحتضانه الضعفاء من كل جنس.
(11) الجنف: الميل والانحراف.
(12) الكرب: أصول سعف النخل.

طرطرا

*نظمت عام ١٩٤٥

*نشرت أول مرة، في جريدة "الرأي العام" العدد١٤٨٤ في ٢٤آذار ١٩٤٦

هذه القصيدة الساخرة حاكت في الوزن القصيدة الدبدبية المشهورة في العهد العباسي ومطلعها:

أي دبدبــــي تدبدبــــي | أنــــا علــــي "المغربــــي"
أيْ طرطــــرا تطرطــــري | تقدَّمــــي، تــــأخَّري
تَشــــيَعي، تســــنَّني | تَهــــوَّدي،تنصَــــرَّي
تكــــرَّدي، تَعرَّبــــي | تهــــاتَري بــــالعُنصرِ
تَعمَّمــــي، تَــــبَرنطي | تعقَّلــــي تســــدَّري
كونــــي -إذا رُمــــت العُلــــى | - مــــن قُبُــــلٍ أو دُبُــــرِ
صالِحــــةً "كصــــالحٍ" | عــــامرةً "كــــالعُمري"

وأنـــــتِ إنْ لم تَجـــبـــدي أبــــاَ حميـــــدَ الأثَــــر
ومَفخــــراً مــــن الجُــــدو دِ طيـــــبَ المُنحـــــدَر
ولم تَـــرَي في النَفْـــس مـــا يُغنيـــــكِ أنْ تفتخــــري
شـــأنُ عِصـــامِ قـــد كَفَتْــــ ــــهُ النفـــس شـــرَّ مَفْخَـــر
طُـــوفي علـــى الأعـــرابِ مـــن بـــادِ ومـــن مُحتَضِــــر
والتَمِســـي منهـــم جـــدو داً جُــــــــدُداً وزَوِّري
تَزيَّــــدِي تزيَّـــــدي تعــــنَّزي تشــــمَّري
في زَمَــنِ الـــذَرِّ إلى بَــــداوةٍ تَقَهْقَـــري

تَقلَّـــبي تَقلُّـــبَ الـــد هـــرِ بشـــتَى الغِــيَر
تصــــرَّفي كمـــا تشـــا ئــــينَ ولاتعتَــــذري
أي طرطـــرا إن كـــانَ شَعـــ ـــبٌ جـــاع أو خلـــقٌ عَـــري
أو أجْمَـــع الســـتُّ المـــلا يـــينُ علــــى التذمُّـــر
أو حكَـــمَ النســـاءُ حُكـــ ـــم الغـــاصبِ المقتَـــدِر
أو صـــاحَ نَهبـــاً بـــالبلا د بـــائعٌ ومشـــتري
أو نفَّـــذَ المرســـومُ في محـــابرٍ وأســـطُر
أو أخِـــذَ الـــبريءُ بالـــ ـجـــرمِ أخـــذَ "طرطـــر"
أو دُفِـــع العـــرا قُ للـــذل أو التدهـــور
فـــاحتكمي تُحكَّمـــي وتُحمَّـــدي وتؤجَـــري

أي طرطـــــرا تطرطـــــري — وهلِلّـــــي وكَـــــبّري
وطَبِّلـــي لكـــلِ مـــا — يُخـــزي الفَتَـــى وزمّـــري
وسَـــبِّحي بحمـــدِ مـــأ — فـــونِ وشـــكرِ أبـــتَر[١٣]
أعطـــي سمـــاتِ فـــارعِ — شَـــمَردَل لبُحـــتر[١٤]
واغتَصِـــبي لضِفـــدعِ — سمـــاتِ ليـــثٍ قَسْـــوَر
وعَطّـــري قـــاذورةً — وبـــالمديح بَخّـــري
وصـــيّري مـــن جُعَـــلٍ — حديقـــةً مـــن زَهَـــر
وشَـــبّهي الظـــلامَ ظُلـــ — ـمـــاً بالصَبَـــاح المُســـفِر
وألبســـي الغـــبيَّ والأ — حمـــقَ ثَـــوبَ "عبقـــر"
وأفرِغـــي علـــى المخـــا — نيـــثِ دُروعَ "عنـــتَر"
إن قيـــلَ إنَّ مجدَهـــم — مزيَـــفٌ فـــأنكِري
أوقيـــلَ إن بطشَـــهم — مـــن بَطْشـــة المســـتعير
وإنَ هـــذا المستعيـــ — ـــرَ صولـــةَ الغَضَنفَـــر
أهـــوَنُ مـــن ذبابـــةٍ — في مســـتَحمِ قَـــذِر
فهـــي تطـــير حُـــرَةً — جَناحُهـــا لم يُعَـــر
أي طرطـــراً سيـــري علـــى — نَهجِهـــمُ والأثَـــر
واســـتَقبلي يومَـــك مـــن — يومهـــمُ واســـتدبري

---

(١٣) ـ الأبتر: الخبيث من الحيّات.

(١٤) ـ الشمردل: الطويل. والبحتر: القصير.

وأجمِعـــــي أمــــرَكِ مـــــن		أمرهِـــــــمُ تَســـــــتكثِري
كُونـــــي بُغاثــــاً واســــلَمي		بــــالنفس ثـــم استَنْسِـــري[١٥]

أي طرطــــــرا لاتُنكــــــري		ذَنْبـــــاً ولاتَســـــتَغْفِري
ولاتُغطِـــــــي ســــــوءةً		بـــــانت ولاتَـــــتَزري
ولاتُغضِـــي الطــــرفَ عـــن		فَـــرط الحيـــا والخَفَـــر
كُونـــي علــــى شــــاكِلةٍ		مـــن أمرهـــم تُؤَمَـــري
كُونـــي علــى شــاكلةٍ الــــ		ـوزيـــرِ بـــادي الخَطَـــر
أيْ طرطـــــرا كُونــــــي		علـــى تـــاريخِك المُحتقَـــر
احـــرَصَ مـــن صاحبـــةَ		النِحيِيْـــن إنْ تَذكَّـــري
طـــولي علـــى "كِســـرى" ولا		تُعنَـــي بتـــاج "قَيصـــر"
كونـــي علـــى مـــافيك مـــن		مســـــاوئ لم تُحصَـــــر
كونـــي علـــى الأضـــداد في		تكوينـــــــك المُبعـــــــثَر
شــامخةً شمـــوخَ قَـــر		نِ الثـــور بـــين البَقـــر
أيْ طرطـــــرا أقســــــم		بالســــــويكةِ المشـــــهَّر
والخَـــــرزِ المَعقـــــود في		البطـــن فُوَيـــق المشـــعر
بوجهِـــــكِ المعتكـــــر		وثَغـــــرِك المنـــــوَّر
وعينيـــكِ: الحمـــراءِ تـــر		مِـــي حاســـداً بالشَـــرَر
وصنـــوك الثـــور يُثـــا		رُ غيظُــــه بـــالأحمر

---

[١٥] ـ بغاث الطير: الخامل منه والحقير. واستنسر: صار كالنسر.

أقســـــــم "بالكـــــــافور" لا　　　أقصِـــــدُ شَـــتم "العَنْـــبر"

لأنــــتِ فــــوقَ البشَـــــر　　　فــــوق القَضَـــا والقَـــدَر

أيْ طرطــــــرا "يـــــالَكِ　　　مـــــن قُـــــبْرة بمَعمَـــــر

خـــلا لـــكِ الجـــوُّ" وقــــد　　　طـــاب "فبيضـــي واصفِـــري""

"ونقِّـــري" مــــن بَعدِهــــم　　　"ماشـــــئت أن تنَقَّـــري"

قــــد غفَـــل الصيَـــادُ في　　　"لَنــدَنَ" عنـــك فأبشِـــري

ذكرى أبو التمَن

*ألقيت في الحفل الأربعيني الكبير الذي أقيم لذكرى الفقيد "محمد جعفر أبو التمن" في٥ كانون الثاني ١٩٤٦.

ولقد كان لإلقاء هذه القصيدة ونشرها في جريدة "الرأي العام" في العدد ١٤٢٢ في ٦ كانون الثاني ١٩٤٦ دويٌ كبير وصدى شديد؛ وقامت السلطة بتحريك الدعوى على الشاعر..

*نشرت في مجلة "الكاتب المصري"

قَسَماً بيومِكَ والفُراتِ الجاري ... والثورةِ الحمراء والثُوّار[١٦]

والأرضِ بالدَمِ ترتوي عن دِمْنَةٍ ... وتَمُجّهُ عن روضةٍ مِعطار[١٧]

والخيلِ تَزحفُ لم تَدَعْ لمُغيرها ... جثثٌ تُغَطّى الأرضَ أيَّ مَغار

---

(١٦) ـ إشارة إلى الثورة العراقية في الفرات.

(١٧) ـ الدمنة: ماتجمع من فضلات البقر والأوساخ والمعنى أن دم الثوار سال على أرض مقفرة فأحالها، بما سقاها ومانفحها من كرامة وعزة، روضة معطار.

قسَماً بتلكَ العاطفاتِ ولم تكُنْ
لي قبلَها من حِلْفةٍ بالنّار
إنَ الذينَ عهدتَهُم حطَبَ الوغى
لولاهُمُ لم تشتعِل بأُوار
واللّاقِحينَ نَتاجَها بأعز ما
مَلَكَتْ يمينٌ من حِمىً وذمار
والداهناتِ دماؤُهم لِمَمَ الثرى
والمُؤنساتِ شواطئَ الأنهار[18]
والناحرينَ مِنَ الضحايا خيرَ ما
حَمَلَتْ بُطُونُ حرائرِ أطهار
ما إنْ تَزالُ حقُوقُهُمْ كذَويهِمُ
في القَفْرِ سارحةً معَ الأبقار
وأعزُّ ماتبغي "الحلائلُ" مِنْهُم
أنْ تُسترَ العَوراتُ بالأطمار[19]

خمسٌ وعشرونَ انقضَتْ وكأنّها
بشُخوصِها خَبَرٌ منَ الأخبار[20]
ضِقنا بها ضِيقَ السجين بقيدهِ
من فَرْطِ ماحمَلَتْ من الأوزار
وتَجَهَّمَتْ فيها السماءُ فلم تَجُدْ
للخابطين بكوكبٍ سيَّار
شاخ الشبابُ الطيبون وجُدِّدتْ
فيها شَبيبةُ شِيخةٍ أشرار
وبدا على وَجه الحفيدِ وجدِّه
للناظرينَ تقارُبُ الأعمار
من كان يحسَبُ أنْ يُمَدَّ بعُمره
حُكْمٌ أقيمَ على أساسٍ هاري؟!
ومن الفَظاعةِ أنْ تُريدَ رَعيّةٌ
في ظِلِّ دُستورٍ لها وشِعار
مايَطْلُبُ المأسورُ من يدِ آسرٍ:
إسداء عارفةٍ وفكَّ إسار

ذُعِر الجنوبُ فقيلَ: كيدُ خوارجٍ
وشكا الشَمالُ فقيلَ: صُنْعُ جوارِ

---

(18) ـ اللمة: في الأصل ماجاور شحمة الأذن من شعر ويراد بها هنا وجه الأرض.
(19) ـ الحلائل: جمع حليلة وهي الزوجة.
(20) ـ إشارة إلى المدة التي انقضت على ابتداء العهد البائد حتى عام وفاة الفقيد.

وتنـابزَ الوسَـــط المُــدِلُّ فلــم يَـــدَعْ بعـــضٌ لـــبعض ظِنَـــةً لفَخـــار[21]
ودعـــا فريـــقٌ أنْ تســــودَ عَدالــــةٌ فرُمــــوا بكـــل شــــنيعةٍ وشَـــنار
ومَشى المُغيثُ على الجياع ـ يَقوتُهمْ ـ وعلـــى العُـــراةِ، بجحفـــل جرّار ـ
وتســـاءلَ المُتَعَجبـــونَ لحالــــةٍ نكـراءَ: مَـنْ هُـمْ أهـلُ هـذي الـدار؟
هِـيَ للصحابـــةِ مِـن بَـني الأنصـار مـن كـل بَـدري، وكـل حَـــواري
للحـــاكمينَ بـــأمرهم عـــن غـــيرهم ولصَفْـوَةِ الأســـباطِ والأصهـــار[22]
مـن كـل غـــازٍ شـــامخٍ في صـــدره زاهـــي الوســـامِ، مـدوخِ الأمصـــار
هـــيَ للذيـــنَ لـو امتحنــتَ بَلاءهُـــم لعجبـــتَ مـــن سُــخْرِيَةِ الأقـــدار[23]
هـي للـذي مـن كـل مـايَصِمُ الفتـى كاس، ومن جُهْـدٍ يُشـرَفُ عـاري[24]
إيـهٍ شـبابَ "الرافديـــن" ومَـــنْ بهـــم يرجـــو العـــراقُ تَبَلُّـــجَ الأســـحار
الحـــامِلينَ مِـــنَ الفـــوادِحِ ثِقْلَهـــا ليســـوا بأنكـــاس ولاأغمـــار[25]
والذائِديـنَ عـن الحيـاض إذا انتحَـتْ كُـــرَبٌ، ولاذَ مُكـــابرٌ بفـــرار
والبـاذلينَ عـن الكرامـة ـأرخصَـتْـ أغلَـــى المُهـــور، وأفـــدحَ الأســـعار
الفقْـــرَ إذ طـــرُقِ الغِنـــى مفتوحــــةٌ والبـؤسَ إذ غُـدَقُ النعيـم جـــواري[26]
ومؤججـــينَ نفوسَـــهمْ وقُلوبَهـــمْ شُـعَلاً يسـيرُ علـــى هُداهـا السـاري

---

(21) ـ الوسط المدل: يراد به العاصمة العراقية بغداد.
(22) ـ الأسباط: جمع سبط (بكسر فسكون)، ولد الولد، ويغلب على ولد البنت.
(23) ـ امتحن الشيء: اختبره وأبلى في الأمر بلاء: أظهر فيه قدرته.
(24) ـ كاس: أي مَكسوّ.
(25) ـ الأنكاس: جمع نكس الرجل الضعيف. والأغمار: جمع غمر الخامل كالمغمور.
(26) ـ الفقر منصوب على البدلية من "أغلى" و"أفدح" وهما مفعولان لاسم الفاعل "الباذلين".
والغدق: محركة: الماء الكثير.

والحابســينَ زئـــيرَهم بصدورِهـــم   فــإذا انفجــرنَ بــهِ فــأيٌّ ضـــواري
والقــانعينَ مِــن الحيـــاة رخيَـــةٌ   بلُماظَــةٍ، ومــن الكَـــرَى بغِــرار[27]
والمغرِيـــاتُ مُـــرودِاتٌ ترتجـــي   وتَخيـبُ، مـن عُـونٍ ومـن أبكـــار[28]

---

[27] ـ اللماظة: بقية الطعام في الم. والغرار: القليل من نوم.
[28] ـ العون: جمع عوان وهي (بالفتح) المرأة المتزوجة. والأبكار: جمع بكر، والعون والأبكار كناية عن تنوع المغريات.

المقصورة

*المقصورة من مختارات قصائد الشاعر، وقد نظمها في أواسط عام ١٩٤٧، ونشر قطعاً منها في أمهات الصحف العراقية. وفي العدد ١٩١٠ في ١١آب ١٩٤٨ من جريدة "الرأي العام" نشر هذا النص المثبت هنا.

ومن المؤسف أن يكون جزء كبير منها يزيد على مائة بيت قد أطارته الريح وألقته في دجلة في أثناء اشتغال الشاعر بتنقيحه خلال صيف عام١٩٤٧ حيث كان يسكن داراً مطلة علىالنهر، وأن يكون جزء منها يؤلف حوالي خمسين بيتاً قد فقدت جذوره الأساسية التي يعتمدها الشاعر ساعة تدوين خواطره فيما فقد من أوراقه الخاصة في أثناء انتقال جريدته "الجهاد" خلال عام ١٩٥٢.. وعلى هذا تكون "مقصورة الجواهري" مشتملة في الأصل على مايقارب أربعمائة بيت من الشعر.

برغمِ الإباء ورغمِ العُلى ورغمِ أنوفِ كِرامِ المَلا

ورغمِ القلوبِ التي تستفيـ ـضُ عطفاً تَحوطُكَ حَوْطَ الحِمى

وإذ أنـــتَ ترعـــاكَ عـــينُ الزمـــان ... ويَهْفُـو لجَرْسِـكَ سمْـعُ الدُنـــى[٢٩]
وتلتـــفُّ حولَـكَ شـتَى النفُـــوس ... تَجيـشُ بشـــتَى ضــروب الأســـى
وتُعـــرِبُ عنهـــا بمـــا لاتُبـــين ... كـــأنَكَ مـــن كـــلِ نفـــس حشـــا
فــأنتَ مــع الصبــحِ شَــدْوُ الرعـــاةِ ... وحلــمُ العـــذارى إذا الليــلُ جـــا
وأنــت إذا الخطــبُ ألقــى الجـرانَ ... وحـــطَ بكلكلـــــهِ فـــارتمى[٣٠]
ألَحْـــتَ بشِـــعرك للبائســـين، ... بداجـي الخُطـوبِ، بَريــقَ الْمُنـــى
بــ"علقمـةَ الفحــل" أزجــي اليمـينَ ... أنِـــي ألَـــذُ بمُـــرِ الجنـــى[٣١]
وبـــ"الشـــنفَرى" أنَّ عيـــنيَّ لا ... تلَــذَانِ في النـــومِ طعـــمَ الكـــرى
وبـــ"المتنبـــئ" أنَ البَـــلاءَ، ... إذا جـدَّ، يَعلـم "أنـي الفتـــى"[٣٢]

ألا مِـــن كريـــمٍ يَسُـــرُّ الكـــرامَ ... بحيفـــةِ جِلْـــفٍ زَنيـــمٍ عَتـــا[٣٣]
فياطالمـــا كـــانَ جِـــدُّ البَغِـــي ... يُخفَــفُ مِــن فحــش أهـــل البغـــا
ويـاطالمـــا ثُنِـــيَ الســـادِرونَ ... بمـا اقتِيـدَ مـــن ســادرِ مـاارعوى[٣٤]
علـــى أنَـــه مِـــن شِـفاءِ الصُـــدو ... رِ لـــو أنَ حُـــرَاً كريمـــاً شـــفى

---

(٢٩) ـ الجرس: الصوت الخفيض، والنغم.
(٣٠) ـ جران البعير: رقبته. وكلكله: صدره. وألقى جرانه وحط كلكله: برك وأناخ.
(٣١) ـ علقمة الفحل والشنفرى: شاعران جاهليان عرف عنهما قشوبة العيش وصلابة العود.
(٣٢) ـ إشارة إلى بيت المتنبي في مقصورته:
لتعلـــم مصـــر ومـــن بـــالعراق ... ومـــن بـــالعواصم أنـــي الفتـــى

(٣٣) ـ الجلف: الرجل الحقير الجافي الطبع. الزنيم: الملحق بالقوم وليس منهم.
(٣٤) ـ السادر: اللاهي العبث، الذي يعيش بلاهدف.

تـأصّلَ هـذي العـروقَ الخِبـاثَ فقد ساقَ بالجذْمِ منهـا الـثرى(٣٥)

أنبيـك عـن أطيـب الأخبثـينَ فقُـلْ أنـتَ بـالأخبثِ المُـزدرى

رفـاقٌ مـن الريـحِ منفوخـةٌ وإن ثقَـلَ الزهـوُ منهـا الخطـى(٣٦)

وأشـباحُ نـاسٍ، وإنْ أوهِمُـوا بـأنّهُمُ: "قـادةٌ" في الـورى

ألمْ تـرَ أنِـيَ حـربُ الطغـا ةِ سـلْمٌ لكـلِ ضعيـفِ الذَمـا(٣٧)

وأنـي تركـتُ دهـيَ، السِبـالِ كثـيرَ الصيـالِ، شـديدَ القـوى(٣٨)

مـن الخـوفِ كـالعَيْر قبـلَ الكـوا ءِ يَحبـقُ ممـا اصطلـى واكتـوى(٣٩)

بمـاذا يخوفـني الأرْذلُـونَ ومـمَ تخـافُ صِـلالُ الفلاـ؟ـ

أيُسْـلَبُ عنهـا نعيـمُ الهجـيرِ، ونفـحُ الرمـالِ، وبـذْخُ العراـ؟

بلى_ إنَ عنـديَ خـوفَ الشُـجاعِ وطيشَ الحليـمِ، ومـوتَ الـرَدى

إذا شـئتُ أنضجـتُ نَضـجَ الشِـواءِ جلـوداً تعصَـتْ فمـا تُشـتوى

وأبقيـتُ مـن ميسَـمي في الجبـا هِ وشْـماً كَوَشْـمِ بنـاتِ الهـوى(٤٠)

فـوارقُ لايَمَحـي عـارهُنَ ولايَلتَبِسْـنَ بوصـفٍ "سـوى"ـ

بحيـثُ يُقـالُ إذا مامشـى الصَلـ ـيُ بهـا: إنَ وغـداً بـدا(٤١)

وحيـثُ يُعـيَّرُ أبنـاؤهُ بـأنَ لهُـمْ والـداً مثـلَ ذا

---

(٣٥) ـ ـجذم الشجرة: جذرها.
(٣٦) ـ زقاق: جمع زق وهو الجراب.
(٣٧) ـ الدماء: بقية الروح.
(٣٨) ـ السبال: اللحى، والواحدة سبلة.
(٣٩) ـ العير: الحمار. الكواء: اسم من كوى يكوي كالشواء من شوى يشوي. يحبق: يضرط.
(٤٠) ـ الميسم: اسم آلة يوسم بها.
(٤١) ـ الصلي: الموسوم بالميسم.

أقـولُ لنفسـي ــ إذا ضمَهـا وأترابَهـا محفِـلٌ يُزدهـى:
تسـامَيْ فـإنكِ خـيرُ النفـوسِ إذا قيسَ كـلٌ علـى مـاانطوى
وأحسـنُ مـافيكِ أنَ "الضمـيرَ" يَصيـحُ مـن القلـبِ إنِـي هُنـا
تسـامَيْ فـإنَ جنـاحيكِ لا يَقَـرَانِ إلا علـى مُرتقـى
كذلـك كـلُ ذواتِ الطِمـا حِ والهـمِ، مخلوقـةٌ للـذُرى
شـهدتُ بـأنكِ مذخـورةٌ لأبعـدَ مـافي المـدى مـن مـدى
وأنَـكِ سـوفَ تـدوي العصـورُ بمـا تـتركينَ بهـا مـن صـدى
بآيـةِ أنَّ يـدَ المُغريـاتِ تهـابُكِ إلاَّ كَلمـسِ النَـدى
وأنَـك إنْ يَلتمـعْ مطمـعُ يُخـافُ علـى الـرُوحِ منـه العمـى
يمـوتُ "النبـوغُ" بأحضانـه ويُنعـى بـه "الأمـلُ" المرتجـى
وتمشـي الجمـوعُ علـى ضوئـهِ لتبكـي علـى عبقـريٍ قضـى
وكـادتْ تلُفُّـكِ في طيهـا حَواشـيه.. رَدَتـكِ كـفُ القضـا[٤٢]

لِشـرِ النِهايـاتِ هـذا "المطـافُ" وكُـلُ مَطـافٍ إلى مُنتهـى
متـى ترعَـوي أمَـةٌ بـالعِراق تُسـاقُ إلى حتفِهـا بالعصـا
تُـذَرَى علـى الضَيْـمِ ذَرْوَ الهشـيمِ ويَعرقُهـا الـذُلُ عَـرْقَ اللِحـا[٤٣]
وتـنزو بهـا شـهوةُ المشـتهينَ كمـا دُحرِجـت كُـرةٌ تُرتمـى

(٤٢) ـ ردك: جواب شرط (إن) في قوله وأنك إن يلتمع مطمع.
(٤٣) ـ عرق العظم: أزال ماعليه من لحم. واللحاء: قشر جذع الشجرة.

يُجِدُّ بَغيضٌ بها عهدَهُ إذا قيلَ عهدٌ بَغيضٌ مضى
وتسمَنُ منها عِجافٌ مَشَتْ إلى الأجنبيِ تَجُرُّ الخُصى
تراودُها عِزَها كالقُرومِ هَجانٌ عليها غريبٌ نَزا[44]
عجبتُ وقد أسلمتْ نفسَها لعَرْكِ الخُطوبِ وعَصْرِ الشِقا
وقَرَ على الذُل خيشومُها كما خطمَ الصعب جَذبُ البُرى[45]
وأغْفَتْ فلم أُدْرِ عن حَيْرَةٍ بها: كيف إيقاظُها او متى؟
ولم أدرِ مِن طيبِ إغفائها على الذُل، أيَ خيال تَرى
أهِمَاً تغشَاهُ بَعْدَ العنا كرىً، أمْ صبياً بريئاً غفا؟[46]
متى تستفيقُ وفحمُ الدُجى عليها مشتْ فيه نارُ الضُحى؟

وأصنامِ بَغْيٍ يصبُونها ويَدْعُونها مَثَلاً يُقتدى
يُثيرونَ من حولِها ضَجَةً بها عن مَخازيهِمُ يُلتهى
كما حَجَبَتْ بالغُبارِ العيون خِفافٌ مُهَرَاَةٌ تُحتذى[47]
فهذا سيَمضي، وهذامضى وهذا سيأتي، وهذا أتى!!
وهذا "زعيمٌ"، لأنَ "السفيـ ـرَ" يرنو إليه بعين الرضا
وفي ذاكَ عن سُخطِ أهلِ البلادِ على حُكمهِ أو رضاهم غِنى

---

(44) ـ القروم: السادة: واحدها قرم. الهجان: جمع هجين وهو الذي ولد من أبوين مختلفين في الجنس.
(45) ـ قرَ على الذل: خضع للذلّ. والخيشوم: أعلى الأنف. البري: جمع برة، وهي الخزامة وحلقة تجعل في أنف البعير الصعب القياد لينقاد. وخطم: ههنا بمعنى أذل وأخضع.
(46) ـ الهم الشيخ الكبير.
(47) ـ خفاف: جمع خف. ومهرأ: ممزقة بالية.

وهـــــذا بعِمَتـــــهِ، ســـــاحِرٌ، مــن "الجـــن" يَرفعُهـــا للعلـــى
تَطُـــقُ المســـابحُ مـــن حولِهـــا لتَعلِـــنَ أنَ مَلاكـــــاً أتــــــى
تجـــيءُ المطـــــامعُ منقـــادةً إليـــه إذا شـــاءَ أولم يَشـــا
وليتـــك تحسِـــبُ أزيـــاءَهم فتجمـــعَ منهـــا زهـــورَ الرُبـــى
فتلـــك اللفـــائفُ كـــالأُقحُوان بهـــا العِلـمُ ينفـحُ طيـبَ الشـذا!
وتلـــكَ الشراشـــفُ كالياسميـــــن تـاهَ "العِقـالُ" بهـا وازدهـى!
تَدلَـــتْ عنـــاقيدُ مثـــلُ الكـــرومِ على كتفَـيّ "يـابس" كـالصُوى[٤٨]
يَـــوَدُ مـــن "التيـــهِ"! لـــو أنَـــه يَشُـدُ بهـــا "جَرَســـاً"! إنْ مشـــى
لِيعلَـــمَ ســـامعُهُ أنَـــــه "ينـوبُ"! عـن البلـدِ المُبتلـى
إذا رفَـــعَ اليـــدَ للحـــاكمينَ بَـدَتْ "نَعَـمٌ" وهـي في زِيِ"لا"!
وبينهمـــا محـــدَثٌ ناشـــئٌ إذا خـــطَ تَعرفُـــه أوحَكـــى
تعـــوِذُه أُمُــــه إنْ مَشـــى إلى "البرلـــان" بـــأمِ القُـــرى[٤٩]

ومُستســـلِمين يَـــرونَ الكفـــاحَ قَـــوراء مدحـــوَةً تُمتطـــى[٥٠]
فتَغـــرَزُ في رَخـــوةٍ سَـــمْحَةٍ وتنفِـــرُ عـــن ذي مِسَـــن قَســـا
يَـرَوْنَ السياسـةَ أنْ لايُمَـس هـذا، وأن يُتَقـــى شـــرُ ذا
وهـــذا وذا في صميـــمِ البـــلا دِ سُـل، وفي العـين مِنهـا قـذى

---

(٤٨) ـ الصوى: العلامات التي توضع في الطريق لتـدل السـائرين. ويريـد بالعنـاقد مـاتدلى مـن خيوط "العقال"!
(٤٩) ـ أم القرى: مكة.
(٥٠) ـ قوراء: مستديرة.

مســــاكينُ يقتحمـــونَ الكفــــاحَ وقــد شــرعَتْ بابُــه مِــن كُــوى(٥١)

ومنتحلـــينَ سمـــاتِ الأديـــبِ يظنُونهـــا جُبَبـــاً تُرتـــدى
كمــا جــاوبتْ "بُومـــةٌ"! بُومـــةً تَقـــارَضُ مابينهـــا بالثّنـــا
ويرعَـــونَ في هـــذَرٍ يـــابس مـن القول، رعـيَ الجمال الكـلا(٥٢)
يُـــرَوْنَ "وُرَيقـــاتِهم" بُلغـــةً مـــن العيـــشِ لاغايـــةً تُبتغـــى
فَهُـمْ والضّمـيرُ الـذي يصنعـونَ لمـنْ يعتلـي، صهـوةٌ تعتلـى
ولاهِـينَ عـن جدِهِـم بـالفراغِ زوايـا المقـاهي لهـم مُنتـدى

وعـارِ تحلّـى بثـوب الأديـب وممّـا يُزكِـي أديبـاً خَـلا
ومـن تبعـات النُفـوس الكبـار بسِـنِ اليَراعِ الرخيـص احتمـى
ووغـــدٍ تخـــيَرَ أمثالَـــه فوغـداً أهـرَ، ووغـداً شـلا(٥٣)
يقولـونَ إنَّ يـداً في الغُيـوبِ تُديـرُ علـى الأرض حُكـم السَـما
ولَمـا يَـزَلْ مَثَـلٌ سـائرٌ على النـاسِ يَجـري: بـأيدي سـبا
وتحريـقُ "لـوطٍ" بذنـبٍ أتـى وأخـذُ "ثمـودٍ" بسِـقبٍ رغـا(٥٤)
فمـا بـالُ كـفٌ القضـا لاتـدورُ علـى بلـدٍ ظـلَّ حتـى اخـتزى؟!
وأضحـى "ثمـودٌ" و"لـوطٌ" بـه ومَـن لهمـا مـن الشـرورِ انتمـى

---

(٥١) ـ الكوى: جمع كوة وهي النافذة الصغيرة.
(٥٢) ـ الكلأ: الحشيش.
(٥٣) ـ أر الكلب وشلاه: أغراه على التحرش والاعتداء.
(٥٤) ـ السقب: ولد الناقة. والرغاء: صوت البعير.

وَمَــن عــاشَ في أُمــمِ المشــرقَينِ ... وجــارَ علـــى أهلهـــا واحتمـــى
حَبيِّـــنَ بـــينَ ولاة الأُمــــورِ ... في بلـــدٍ ضـــاعَ فيـــه الحيـــا
يُســـائلُ بعـــض بـــه بَعضهـــم ... أنحـــنُ أُخذْنــا وهــذا نجــا؟!
أُخِــذتُ لأنِـــي ربــتُ الطريــقَ ... "شَــذاً" إلى غايـــةٍ تُبتغـــى
وأنـــتَ أُخـــذْت علـــى ناقـــةٍ ... بفَلْســين أمثالُهــا تُشــترى
وجَدنــا هُنــا كــلَّ ذي عَــورةٍ ... علــى كـلِ ذي حُرمـةٍ قــد سـطا
وكـــلَّ كريـــمِ الثّنـــا أصيـــدٍ ... تقَلّــص في كِنَــةٍ وانـــزوى(٥٥)
وجَدنــا الرِجــالَ هنــا "الرجــا ... ل" لاهـينَ، في وَضَـحِ مـن سَـنا!!
علـــى حـــينَ تختــصُ نِســوانُهم ... "نسـاءً"، ومنتصِـفٌ مَـن جـزى!!
وجَدنــا الزعيــمَ -كمــا يَنْعَتُــونَ- ... علــى قدَمــيْ غاصبيـــهِ ارتمـــى

بَــنيَّ إذا الدَهــرُ ألقـــى القنـــاعَ ... وصـرَح مـــن حَســوهِ مــاارتغى
ودالـــتْ لهـــمْ دولـــةٌ كـــالّتي ... لــدى النـاسِ في وجههـا والقفـا
فـــلا تبخَلـــوا أنْ تـــزوروا أبـــاً ... جريرتُـــه أنَّ ذُلاً أبـــى
ولاتبخَلـــوا أنْ تَمُـــدوا يـــداً ... لتحضِـــنَ منـــه خيـــالاً سَــرى
وطيفـــاً أتـــاكمْ يُهنِيكـــمُ ... بـــأنْ قــد وُقِيتــمْ زمانــاً مضــى
وشـــرُّ "الســهامِ" رُواءُ النعيـــمِ ... وشـرُ "النصـال" بريــق الغِنــى(٥٦)

(٥٥) ـ الأصيد: السيد الكريم.
(٥٦) ـ إذا أحيط الإنسان بالنعيم أو لوحوا له بالغنى و لم يكن صلباً في النضال تخاذل وفتر، فالنعيم والغنى شر السهام وشر النصال.

سـلامٌ علـى هَضَبـاتِ العـراق ... وشـطيهِ والجُـرْفِ والمُنحنـى
على النَخْلِ ذي السَعَفاتِ الطـوال ... علـى سـيدِ الشَـجَرِ المُقتنـى
علـى الرُطَـبِ الغَـضِ إذ يُجتلَـى ... كَوَشْـي العـروسِ وإذ يُجتنـى
بإيسـارهِ يـومَ أعذاقُـه ... تـرفٌّ، وبالعسـرِ عندَالقنـى[57]
وبالسَـعْفِ والكَـربِ المُسـتجدِ ... ثوبـاً "تهـرّاً" وثوبـاً نضـا
ودجلـةَ إذْ فـارَ آذِيُهـا ... كمـا حُـمَّ ذُو حَـرَدٍ فـاغتلى[58]
ودجلـةَ تمشـي علـى هَوْنِهـا ... وتمشـي رُخـاءً عليهـا الصَبـا
ودجلـةَ زهـوِ الصَبايـا المـلاحِ ... تُخَـوضُ منهـا بمـاء صـرَى[59]
تُريـكَ العراقـيَّ في الحالتيـ ... ـنِ يُسـرفُ في شُـحِهِ والنَـدى!

سـلامٌ علـى قَمَـرٍ فوقَهـا ... عليهـا هَفـا وإليهـا رَنـا
تُدغـدِغُ أضـواؤهُ صَدْرَهـا ... وتَمسـحُ طيّاتِهـا والثِنـى[60]
كـأنَّ يـداً طـرَزَتْ فوقَهـا ... مـن الحُسـنِ مَوشِـيةً تُجتلـى
رواءُ النمـيرِ لهـا لُحمـة ... وذَوبُ الشـعاعِ عليهـا سَـدى
ونجـمٌ تَغـوّرَ مـن حبهـا ... ونجـمٌ عليهـا ادّنـى فـادّلى

(57) ـ أي سلام عله في حالة إيساره بإغداقه الرأفة وفي حالة إعساره إذ قنواته متعثكلة يابسة.
(58) ـ آذى البحر أو النهر: ماؤه الكثير "المواضع العميقة". ذوحرد: صاحب ثأر، يشبه دجلة في تدفق مياهها الفوارة بصاحب ثأر يغلي غضبا؟
(59) ـ ماء صرى: وشل بقية ماء.
(60) ـ الثنى: بالكسر جمع ثنية وهي الطية.

على الجسرِ ماانفكَ من جانبيهِ ... يُتيحُ الهوى مِن عيونِ المها[61]
فيااليتهنَّ الذي يعتدي ... ويااليتكَ الرَجلُ المُعتدى
ويااليتَ بلواكَ قُبُّ الصدور ... ولعسُ الشفاهِ، وبيضُ الطُلى
سلامٌ على جاعلاتِ النَقيق، ... على الشَطئين، بَريدَ الهوى
لُعنتنَّ مِن صِبْيةٍ لاتشيخُ ... ومن شِيْخَةٍ دَهْرَها تُصطبى

سجا الليلُ إلا حماماً أجدُّ ... هديلاً وترجيعَ كلبٍ عَوى[63]
وجُنْدُبةً طارحَتْ جُنْدُباً ... وبُوماً زقا وسحيلاً ثغا[64]
وديكاً يؤذِنُ في جَمعهم ... بأن قد مضى الليلُ إلا إنى[65]
سلامٌ على عاطراتِ الحقول ... تناثرُ مِن حولهن القُرى
وياللَطافةِ هذي الدُنى ... يُتمِمها لُطفُ تلكَ القُصى
وحبلِ ضياء تدلّى به ... على أُفُقٍ أفقٌ والتقى

سلامٌ على بلدٍ صُنْتُه ... وإيايَ مِن جفوةٍ أوقِلى[66]

---

(61) ـ يشير بهذا البيت إلى بيت علي بن الجهم:
عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولاأدري.

(62) ـ قب الصدور: مرتفعات الصدور، والواحدة قباء، وأقب للمذكر، لعس الشفاه: حمرة الشفاه المائلة إلى السمرة والطلى: الرقاب، والواحدة طلية.
(63) ـ سجا الليل: خيم وهدأ.
(64) ـ الجندب: الصرصر. وسحيل: الثعلب.
(65) ـ إنى: بقية قليلة.
(66) ـ القلى: الكره والبغض.

كلانـــا يكـــابدُ مُـــرَّ الفــــراق علـــى كبدَينـــا، ولَـــذْعَ النَـــوى
وكــــلٌ يُغِـــذُ إلى طِيَـــة لنـــا عنـــد غايتهـــا مُلتقـــى[٦٧]
غـــداً إذ يَطِـــنُّ فضـــاءُ العـــراق طنـــينَ الـثرى مـــن هِزيـــزِ خَـــلا[٦٨]
وإذ يســـتقلُّ بضَبْعِـــي فتـــىً يَرى الغُنْمَ في العيـش كسبَ الثنـا[٦٩]
ويقـــدُرُ إن ضـــمَ منـــه اليديـــــن أيَ ثمـــين نفيـــس حَـــوى[٧٠]
غـــداً إذ فريـــقٌ يحـــوزُ الثنـــا يَعَـــضُّ فريـــقٌ بصـــمِ الصفـــا.

---

(٦٧) ـ أغذَ السير: أسرع إلى طية: إلى نية يقصد إليها.
(٦٨) ـ يطنُ: يصفر أي يخلو.
(٦٩) ـ الضبع: العضد، ويستقل بضبعي أي يتعلق بها.
(٧٠) ـ يقدّر الشيء: يعرف قدره وفي القرآن: ﴿وماقدروا اللّه حق قدره﴾.

آمنت بالحسين

*ألقاها الشاعر في الحفل الذي أقيم في كربلاء يوم ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧، لذكرى استشهاد الحسين.

*نشرت في جريدة "الرأي العام"، العدد ٢٢٩ في ٣٠تشرين الثاني ١٩٤٧.

*كتب خمسة عشر بيتاً منها بالذهب على الباب الرئيسي الذي يؤدي إلى الرواق الحسيني.

فِداءٌ لَمثواكَ مِن مَضْجَعِ		تَنَوَّرَ بالأبلَجِ الأروَعِ[٧١]
بأعبقَ من نَفحاتِ الجِنا		نِ رَوحاً، ومن مِسكِها أضوع[٧٢]
ورَعياً ليومِكَ يومِ "الطُفوف"		وسَقياً لأرضِكَ مِن مَصرَعِ[٧٣]

(٧١) ـ الأبلج: الوضاء الوجه. والأروع: المعجب بشجاعته أو حسنه.
(٧٢) ـ الروح هنا نسيم الريح. و"ضاع" من ضاع المسك يضوع إذا عبقت رائحته.
(٧٣) ـ الطفوف: هي الأراضي المشرفة من جوانب الشاطئ، وهي تطلق بصورة خاصة على ماأشرف من أراضي "الغاضرية" -وهي مدينة كربلاء الآن- على نهر الفرات وفيها كان مصرع الحسين الشهيد وآله وأبنائه.

وحُزنـاً عليـك بحَبْـس النُفـوس ... علـى نهجـك النَـيرِ المَهْيَـع[٧٤]
وصَوتـاً لمجـدِك مِـنْ أنْ يُـذالَ ... بمـا أنـتَ تأبـاهُ مِـن مبـدَع[٧٥]
فيـا أيُهـا الوتْـرُ في الخالِديـ ... ـنَ فَـذّاً، إلى الآنَ لم يُشْـفَع
ويـاعِظَـةَ الطـامحينَ العِظـامِ ... لِلاهـينَ عـن غَدِهـمْ قُنَّـع
تعـاليتَ مِـن مُفْـزِعٍ للحتُـوفِ ... وبُـورك قـبرُك مِـن مَفْـزَع
تلـوذُ الدُهـورُ فمِـنْ سُجَّـدٍ ... علـى جانبيـه ومِـنْ رُكَّـع
شَـممتُ ثَـراكَ فهـبَّ النسـيمُ ... نسـيمُ الكرامـةِ مِـن بَلقـع
وعفَـرتُ خـدِي بحيـثُ اسـترا ... حَ خـدِ تفـرَى ولمْ يَضْـرع
وحيـثُ سـنابِكُ خيـلِ الطُغـا ... ةِ جـالتْ عليـهِ ولم يَخشـع

وخلـتُ وقـد طـارت الذكريـات ... بروحـي إلى عـالم أرفـع
وطفـتُ بقـبركَ طـوفَ الخيـال ... بصومعـةِ الملهـمِ المبـدعِ
كـأنَّ يـداً مـن وراء الضـر ... يـح حمـراء مبتـورة الأصبـع
تمـدُّ إلى عـالم بـالخنو ... ع والضيـمِ ذي شَـرَقٍ مُـتْرَع
تخبّـطَ في غابـةٍ اطبقَـتْ ... علـى مَذئـبٍ منـه أوْ مُسْـبع
وتدفـعَ هـذي النفـوس الصغـا ... ر خوفـاً إلى حـرمِ أمنـع

تعـاليتَ مـن صـاعِقٍ يلتظـي ... فـإنْ تَـدْجُ داجيـةٌ يَلمـع

---

[٧٤] ـ المهيع: البين الواضح.
[٧٥] ـ يذال: يهان. المبدع بفتح الدال من "البدعة".

تــأزُمُ حِقـداً علـى الصاعقـاتِ ... لم تُـنءْ ضَبـيراً ولم تَنْفَـع(٧٦)
ولم تَبْـذُرِ الحَـبَّ إثـرَ الهشـيمِ ... وقـد حرَقْتـهُ ولمْ تَـزرع
تعـاليتَ مـن "فَلَـك" قُطْـرُهُ ... يـدورُ علـى المِحـوَرِ الأوسـع
فيـا بـنَ "البتـول" وحَسْـبي بهـا ... ضَمانـاً علـى كـل مـاأدَعي
ويـابنَ الـتي لم يَضَـعْ مِثلُـه ... كمِثلِـكَ حَمـلاً ولم تُرْضِـع
ويـابنَ البطـين بلابطنـةٍ ... ويـابن الفتـى الحاسـر الأنْـزَع(٧٧)
ويـاغُصْنَ "هاشِـمَ" لم ينفَتِـحْ ... بـأزهرَ منـك ولم يُفْـرِع(٧٨)
ويـاواصِلاً مِـن نشـيدِ "الخُلـود" ... ختـامَ القصيـدة بـالمطلع

تمثّلـتُ "يومَـكَ" في خـاطري ... وردّدت "صوتَـكَ" في مَسـمعي
ومَحَصـتُ أمـرَك لم "أرتَهـبْ" ... بنقـل "الـرُواة" ولم أُخـدَع
وقلـتُ: لعـلَ دويَ السِـنين ... بـأصداء حـادِثِكَ المُفْجِـع
ومـا رتَـلَ المُخلِصـونَ الدُعـا ... ةُ مِـن "مُرسـلِينَ" ومـن "سُـجَع"
أريـد "الحقيقـةً" في ذاتِهـا ... بغـيرِ الطبيعـةِ لم تُطْبَـع
وجدتُـكَ في صُـورةٍ لم أرَعْ ... بـأعظَم منهـا ولاأرْوَع
ومـاذا! أأروعُ مِـنْ أن يكـو ... نَ لحمُـكَ وَقْفـاً علـى المِبْضَـع
وخـيرَ بـني "الأمِ" مِـن هاشـمٍ ... وخـيرَ بـني "الأب" مـن تُبَـع

---

(٧٦) ـ التأزم: حك الأسنان بعضها ببعض من الغيظ، أي أنك تتحرق إذ ترى الصاعقات لاتدفع ضرا ولاتجلب نفعا.

(٧٧) ـ البطنة: النهم. الأنزع: من انحسر الشعر عن جانبي جبهته. وكان يقال للإمام علي "الأنزع البطين".

(٧٨) ـ لم تنون "هاشم" للضرورة فجرّت بالفتحة.

وخـيرَ الصِحـــاب بخـــيرِ الصـــدو ... رِ، كـــــانوا وِقـــــاءكَ، والأذْرع

وآمنـــتُ إيمـــانَ مَـــن لايَـــرى ... سِوى (العقـلِ) في الشكِ مِن مَرْجـِع

بـأنَ (الإبـــاء)، ووحـــيَ السـماء، ... وفيـــضَ النبـــوَةِ، مِـــن مَنْبَـــع

تجمَـــعُ في (جوهـــرٍ) خـــالصِ ... تَـــنَزَّهَ عـــن (عَـــرَضِ) المَطْمَـــع

هاشم الوتري

ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي الذي أقيم للدكتور هاشم الوتري، وكان عميداً للكلية الطبية بمناسبة انتخابه عضواً شرفاً في الجمعية الطبية البريطانية.. وذلك في شهر حزيران عام ١٩٤٩

* ولنظمها بواعث رواها الشاعر في المقابلة التي نشرت له في العدد الثاني من مجلة "المثقف العربي" لشهر حزيران ١٩٧١

قال:

ـ ... كان الجو السياسي محتدماً، وكنت أشعر أن الواجب يقضي بأن أحدد موقفي.. كان كل شيء يدفع إلى الحدّية: الجو السياسي.. المناسبة.. شخص نوري السعيد.. شخص الجواهري.. كنت موطِناً نفسي حتى الموت!

ـ اتّصلوا بي تلفونياً، وطلبوا إليّ بإلحاح أن أشارك بقصيدة في الاحتفال، فتظاهرت بالرفض.. فالحوا، وأصررت على الرفض.. وفي حقيقة الأمر كنت أُهلِلُ للطلب، كنت أرقص وراء التلفون، وإنما كان الرفض تظاهراً ودلالاً..

لأنني أردت ألا أدع لهم مجالاً للتنصل من الدعوة إذا ماعلموا بما كنت مزمعاً عليه..

ـ قلت لاسماعيل ناجي -سكرتير الوتري- إن القصيدةَ قد توقعهم في مأزق.. قال: لاعليك إن نقابةَ الأطباء ستتحمل المسؤولية. "وبالمناسبة فالدكتور إسماعيل ناجي هذا هو نفسه الذي أذاع بياناً على الصحف يقول فيه: إنهم لم يدعوني إلى المشاركة في الاحتفال، كل ذلك -والبطاقة "المذهّبة" بالدعوة إياها كانت ماتزال معي- ولربما حتى الآن بين أوراقي".

ويمضي:

ـ على هذا النحو تثبَتُ، ومن فَوري عرضتُ مطبعتي للبيع، ونشرتُ إعلاناً في الصحف بذلك.. أردت أن أدّخر ثمن المطبعة للعائلة ضماناً لها وتَحسُباً لما قد يحدث فيما بعد... ولاأكتمك أن العائلة كانت يومئذ تشتري حتى الخبز والحليب بالدين!!.

ـ ومإن نُشر الإعلان حتى صادفني في مقهى "حسن العجمي" شابٌ ذكر أن اسمه "حسن".. كانت الجريدة مغلقة(يقصد جريدة "الرأي العام")، فعرض عليَّ حسن ـ و لم أكن أعرفه من قبل ـ أن يقرضني ثمن المطبعة دون أن يطلب مني أية ضمانة.. فقلتُ الأفضل أن نرهنها، فوافق بعد إلحاح مني وأعطاني في اليوم التالي ٥٠٠دينار. وقد وفَيتها له بعد ذلك بقليل، أي بعد بيع المطبعة نهائياً.

ـ لقد أنعشني هذا أكثر وزاد من عنفي في القصيدة، بخاصة وأنني قد اطمأننت، لما حصلت عليه من نقود، على مصير العائلة.

ـ وفي الليل.. في سطح الدار.. كنت منبطحاً على حصير، وكنت أحدو ـ كما هي عادتي- بما أنظمه من القصيد.. كان صوتي رقيقاً جداً ومؤثراً.. ومإن وصلت المورد الذي يبدأ.بـ: "إيه عميد الدار شكوى صاحب"، حتى

سمعت زوجتي وهي خالة فرات تقول: "عوافي أبو فرات".. كنت أظنها نائمة، ففوجئت بها تنصت لي، ولاتضنّ عليّ بالتشجيع. مهما كانت العقبى التي تنتظرها ومن معها!

- وقبل الموعد بيوم أعطيتُها النقود وسفَرتهُم جميعاً إلى "النجف" وهيأت مايلزم لما قد يقع..

- وحلَّ اليومُ الموعود.. كانت القصيدة قد اكتملت، فلبست بدلة جديدة خِطتها للمناسبة، وذهبتُ وألقيتُ القصيدة..

- كان المكان يغصُ بالحضور، وقد احتشد الشباب فيه احتشاداً، غير أنَّ أحداً لم يَستعِد بيتاً واحداً من فرط الرهبة.. أما "الوتري" الممتدح المقصود فكان يتلفت حوله مُستغرباً أو كالمُستغرب.. خائفاً أوكالخائف.. متنصلاً أوكالمتنصّل.. وأما أقطابُ الحكم وكل وجوهه البارزة تقريباً فقد أُخِذوا أخذ الذين كفروا!!

"وأما أنا فقد مضيتُ في الإلقاء حتى النهاية.. وبعد أن أكملت مزَقتُ أوراقي وذريتها أمام الجمهور، ثم غادرت المكان سيراً لى الأقدام ومضيتُ إلى المطبعة حيث كان هي مقرّي بعد سفر العائلة".

ويختتم القصة:

- ومر يومان وثالث ولم يأخذني أحدٌ... وفي صباح اليوم الرابع جاؤوني ففتشوا المطبعة بحثاً عن القصيدة فلم يجدوها ثم اعتقلوني ومكثت في الاعتقال شهراً واحداً.. وأطلق سراحي بمناسبة العيد".

"وفي معتقلي -في مديرية التحقيقات الجنائية- جاءني وفدٌ من الشباب ومعه "قصاصات القصيدة" الممزَقة وقد جمعوها من حديقة المسبح حيث أُقيم الاحتفال وذلك لغرض مقابلتها.

إيهٍ "عميدَ الدار"! شكوى صاحبٍ طَفَحَتْ لواعجُهُ فناجى صاحبا
خُبِرْتُ أنَكَ لستَ تبرحُ سائلاً عنِي، تُناشِدُ ذاهباً، أو آيبا
وتقول كيفَ يَظَلُ "نجمٌ" ساطعٌ ملءُ العيون، عن المحافل غائبا
الآن أُنبيكَ اليقينَ كما جلا وضَحُ "الصَباح" عن العيون غياهبا
فلقد سَكَتُّ مخاطباً إذ لم أجِدْ مَن يستحقُ صَدى الشَكاةِ مُخاطَبا
أنبيكَ عن شرِ الطَغامِ مَفاجراً ومَفاخراً، ومَساعياً، ومكاسبا
الشَاربينَ دمَ الشَبابِ لأنَّهُ لو نالَ من دَمِهِمْ لكانَ الشَاربا
والحاقدين على البلادِ لأنها حَقَرَتْهُمُ حَقْرَ السَليبِ السَالبا
ولأنَها أبداً تدوسُ أفاعياً منهمْ تَمُجُّ سمومَها.. وعقاربا
شَلَتْ يدُ المستعمرينَ وفرضُها هذي العُلوقَ على الدِماء ضرائبا
ألقى إليهم وِزْرَهُ فتحمَلوا أثقالَهُ حَمْلَ "الثِيابِ" مشاجبا
وأذابَهُم في "المُوبقاتِ" فأصبحوا منها "فُجوراً" في فجورٍ ذائبا
يَتَمَهَلُ الباغي عواقبَ بَغْيِهِ وتراهُمُ يَستعجلونَ عواقبا
حتى كأنَ مصايراً محتومةً سُوداً تُنيلُهُمُ منى ورَغائبا
قد قلتُ لِلشاكينَ أنَّ "عِصابةً" غَصَبَتْ حقوقَ الأكثرينَ تَلاعُبا:
ليتَ "الموالِيَ" يَغصِبونَ بأمرِهِمْ بل ليتَهم يترَسَمونَ "الغاصبا"
فيُهادِنون شهامةً ورُجولةً ويُحاربونَ "عقائداً"! ومذاهبا

أنبيكَ عن شرِ الطِغام نكايةً بالمؤثرينَ ضميرَهمْ والواجبا

لَقَـدِ ابتلُـوا بـــي صاعقــاً مُتَلَهبــاً ... وَقَد ابتُلِيتُ بهِـمْ جَهامــاً كاذبـا[٧٩]

حشَـدوا علـــيَ المُغريـــاتِ مُســيلةً ... صغــراً لُعـــابُ الأرذلـــينَ رغائبــا

بالكـــأسِ يَقرَعُهـــا نديـــمٌ مَالِئـــاً ... بـالوعدِ منهـــا الحـــافقَيْن وقاطبـا[٨٠]

وبتلكُـمُ الخَلَـواتِ تُمْسَـــخُ عندَهـــا ... تُلْـعُ الرقـابِ مـن الظِباء ثعالبـا ! ! !

وبـأنْ أروحَ ضُحـــىً "وزيــراً" مثلَمــا ... أصبحـــتُ عـــن أمْـــرِ بليــلِ "نائبـا"

ظنَــاً بـــأنَّ يـــدي تمُـــدّ لتشـــتري ... سـقطَ المتـاعِ، وأن أبيـــعَ مواهبـــا

وبـأنْ يـــروحَ وراءَ ظهـــريَ موطـــنٌ ... أسمنـــتُ نحـــراً عنـــدَه وترائبـــا

حتـــى إذا عجَمـــوا قنـــاةً مُـــرَةً ... شـوكاءَ، تُدمـي مـن أتاهـا حاطبـا[٨١]

واستيأسُـوا منهـا، ومـن مُتخشِـبٍ ... عَنَتـاً كصِـلِ الرَمـلِ يَنْفُـخ غاضبـا

حُـرٌ يُحاسِـبُ نفسَـــهُ أنْ تَرْعَـــوي ... حتَـى يـروحَ لِمـن سـواه مُحاسِـبا

ويحـــوزَ مـــدحَ الأكـــثرينَ مَفـــاخراً ... ويحـــوزَ ذمَّ الأكــــثرينَ مثالبــــا ! !

حتـى إذا الجنْـديُّ شـــدَ حِزامَـــهُ ... ورأى الفضيلـــةَ أن يظَـــلَ مُحاربـــا

حَشـدوا عليـه الجُـوعَ يَنْشِـبُ نابَـهُ ... في جـدِ "أرقـــطَ" لايُبـــالي ناشــبا !

وعلى شُـبولِ اللَيـثِ خـرقٌ نعـالِهم ! ... أزكـــى مـــن المُـــترهِلينَ حقائبـــا[٨٢]

يتســـاءلونَ أيـــــنزلُونَ بلادَهــــم؟ ... أم يقطعـــونَ فدافِـــداً وسباســـبا؟

إنْ يعصِـــرِ المتحكِمـــونَ دمـــاءَهم؟ ... أو يغتـدوا صُفْـرَ الوجـوه شــواحبا

فـالأرضُ تشـهدُ أنهـا خَضِبَـتْ دمــاً ... منِـي، وكـان أخـو النعيـمِ الخاضبـا

---

(٧٩) ـ الجهام الكاذب: هو السحاب الذي لايعقبه مطر.
(٨٠) ـ البيت والتاليان له تعريضٌ بالوصيِّ على عرش العراق آنذاك الأمير عبد الإله.
(٨١) ـ القناة الشوكاء: هي التي يكثر في فروعها وأغصانها الشوك.
(٨٢) ـ يريد الشاعر بـ(شبل) الليث أولاده وأطفاله.

مـاذا يضُـرُّ الجـوعُ؟ مجـدٌ شـامخٌ … أنِّـي أظَـلُّ مـع الرعيَـة سـاغبا
أنِّـي أظَـلُّ مـع الرعيَـةِ مُرْهَفـاً … أنِّـي أظَـلُّ مـع الرعيَـةِ لاغبـا
يتبجَّحـون بـأنَّ موجـاً طاغيـاً … سَـدُّوا عليـهِ مَنـافذاً ومَسـاربا
كَذِبوا فملءُ فـمِ الزَمـان قصائدي … أبـداً تجـوبُ مَشـارقاً ومَغاربـا
تسـتَلُّ مـن أظفـارهم وتحـطُّ مـن … أقدارهِـمْ، وتثـلُّ مجـداً كاذبـا
أنـا حتفهُـم ألجُ البيـوتَ عليهـمُ … أغـري الوليـدَ بشـتمهمْ والحاجبـا
خسـئوا: فَلَـمْ تَـزَلِ ارُجولـةٌ حُـرَةً … تـأبى لهـا غـيرَ الأمـاثِلِ خاطبـا
والأمثلـونَ هـمُ السَـوادُ: فديتُهـمْ … بـالأرذلينَ مـن الشُـراةِ مَناصِبـا
بمُمَلَكـينَ الأجنـبيَّ نفوسَـهُمْ … ومُصَعِّديـنَ علـى الجُمـوعِ مَناكِبـا

بغـدادُ كـانَ المجـدُ عنـدَكِ قَيْنَـةً … تَلهـو، وعُـوداً يَسـتحثُّ الضَاربـا
ورِقـاقَ خَمـرٍ تسـتَجدُّ مَسـاحِباً … وهَشـيمَ رَيْحـان يُـذَرَى جانبـا
و"الجسـرُ" تمنحُـهُ العيـونُ مـن المَهـا … في الناسِـبينَ وشـائجاً ومَناسـبا
الحَـدُّ للتـأريخِ حـينَ تحوَلَـت … تلـكَ المَرافِـهُ فاسـتَحَلْنَ مَتاعبـا
الشَـعْرُ أصبـحَ وهـو لُعْبَـةُ لاعـبٍ … إنْ لم يَسِـلْ ضَرَمـاً وجَمْـراً لاهبـا
والكأسُ عـادتْ كـأسَ مـوتٍ ينتشـي … زاهي الشبابِ بهـا، ويمسـحُ شـاربا!
و"الجسـرُ" يفخـرُ أنَ فـوقَ أديمِـهِ، … جثثَ الضَحايـا قـد تَركْـنَ مساحبا!
وعلـى بريـقِ المـوتِ رُحْـنَ سـوافراً … بيـضٌ كواعـبُ، يندفعـنَ عَصائبـا

حـدَّثْ عميدَ الـدارِ كيـفَ تبدَلَـتْ … بُـوَراً، قِبـابُ كُـنَّ أمـسِ مَحارِبـا

كيفَ استحالَ المجدُ عاراً يُتَقى
والمكرُماتُ من الرجالِ مَعايبا

ولِمَ استباحَ "الوغدُ" حُرمةَ من سَقى
هذي الديارَ دماً زكِيّاً ساربا

إيهٍ "عميدَ الدار" كلُّ لئيمةٍ
لابُدَّ واجدةٌ لئيماً صاحبا

ولكلِّ "فاحشةِ" المتاعِ دَميمةٍ
سوقٌ تُتيحُ لها دَميماً راغبا

ولقد رأى المستعمِرونَ فرائساً
منّا، وألفَوْا كلبَ صيدٍ سائبا!

فتعهّدوهُ، فراحَ طوعَ بَنانِهِمْ
يَبْرُونَ أنياباً لهُ ومَخالبا

أعَرَفتَ مملكةً يُباحُ "شهيدُها"
للخائنينَ الخادمينَ أجانبا؟

مستأجَرينَ يُخرِّبونَ دِيارَهُم
ويُكافؤون على الخرابِ رواتبا

مُتَنمِّرينَ يُنَصِّبونَ صُدورَهُمْ
مِثلَ السِباعِ ضَراوةً وتكالُبا

حتى إذا جَدَّتْ وغىً وتضرَّمَتْ
نارٌ تلُفُّ أباعِداً وأقاربا

لَزِمُوا "جُحورَهُمُ" وطارَ حليمُهُمْ
ذُعراً، وبُدِّلَتِ الأسودُ أرانبا

لابُدَّ "هاشِمُ" والزمانُ كما ترى
يُجري مع الصَفْوِ الزُلالِ شوائبا

والفجرُ ينصُرُ لامحالةَ "ديكَةٌ"
ويُطيرُ من ليلٍ "غراباً" ناعبا!

والأرضُ تَعْمُرُ بالشُعوبِ فلن ترى
بُوماً مَشُوماً يَستطيبُ خرائبا

والحالِمونَ سَيفْقَهون إذا انجلَتْ
هذي الطُيوفُ خوادعاً وكواذبا

لابُدَّ عائدةٌ إلى عُشّاقِها
تلكَ العهودُ وإنْ حُسِبنَ ذواهبا

الخمسينات

خلّفَت غاشية الخنوع..

*ألقيت في الحفل المهيب الذي أقيم في دمشق عام١٩٥٦ احتفالاً بذكرى مصرع الشهيد عدنان المالكي. وكان الشاعر ممثلاً للعراق في هذا الحفل بدعوة تلقاها من الجيش السوري. وقد اضطر إلى الإقامة في سورية قرابة عام ونصف العام من جراء تنمر المسؤولين وحنقهم بسبب هذه القصيدة. وكان طوال هذه المدة ضيفاً على الجيش السوري.

خلّفتُ غاشيةَ الخنوع ورائي ... وأتيتُ أقبسُ جمرةَ الشهداء
ودرجتُ في دربٍ على عَنَتِ السُرى ... ألِقٍ بنور خطاهُمُ وضَاء
خلَفتها وأتيت يعتصرُ الأسى ... قلبي وينتصبُ الكفاحُ إزائي
وحمِدْتُ نفساً حرَةً لم تنتقص ... شَهْدُ الوفاء بعلقم الإغراء
صبغان يأتلقان ماعصفَ الدُجى ... بالناس لونُ سناً ولونُ دماء
يلِدانِ فجراً صادقاً حلوَ السَنا ... خضِلَ الظِلال منعَمَ الأفياء

مـن عهـد "قـابيل" وكـلُّ ضحيَـةٍ رمـزُ اصطـراع الحـقِ والأهـواء

ومـرارةُ الثكـل المقـدَس إرثـة مـن "آدمٍ" جـاءت ومـن "حـوَاء"

وفظاعـةُ التـاريخ بلـوى فكـرةٍ تهـدي السـبيلَ بفكـرة عميـاء

قـد قلـتُ للإلـفِ الخديـن يدُلُـني أنـى تكـون معـالمُ الفيحـاء؟

قف بي على النَسر الخضيب ولُمَّ لي منـه نسـيلَ قـوادمٍ حمـراء[٨٣]

وتخـطَّ بـي أرضـاً تعفَـرَ فوقهـا ملـكُ السـماءِ مـدوخُ الأجـواء

قـف بـي فلسـتُ بمـأتمٍ لرثـاء أيْهـان عُـرْسُ رجولـةٍ ببكـاء؟

قـف بـي ألمَ هنـا قـوافيَ جُمّعـت للمجـدِ مـن ألِـفٍ بـه أويـاء

أنـا لاأرى العصمـاءَ غـيرَ عقيـدةٍ منسـابةٍ في فكـرةٍ عصمـاء

هـذا أنـا.. عَظْـمُ الضحيَـةِ ريشـتي أبـداً ولفْـحُ دمائهـا أضوائـي

أسـتلهم النغَـمَ الخفـيَ يمـوجُ في جُـرح الشـهيد بثـورةٍ خرسـاء

وأُحِـسُ أنَّ يـدَ الشـهيدِ تجرُنـي لتلُفَـني وضمـيرَهُ بـرداء

هـاتيكَ أبيـاتي يصـوغ خيالَهـا دون "العنـاصر" عنصـرُ الأرزاء

عدنـانُ إنَ دمـاً وهبـتَ رسـالةً أنـا مـن صميـمِ دعاتهـا الأُمَنـاء

آمنـتُ بـالحُمر النوافـح في الـثَرى يبسـاً، أريـجَ الواحـة الخضـراء[٨٤]

المهديـاتِ العُمْـيِ أيَـةَ رؤيـة والمسـمعاتِ الصـمِ أيَ دعـاء

والمـنزِلات علـى المَدى سُورَ الهـدى ورسـالةَ الآبـاء للأبنـاء

---

(٨٣) ـ النسيل: مايسقط من ريش الطائر.

(٨٤) ـ يريد بـ"الحمر": الدماء.

والجـاعلاتِ "الجيـل" جسـر رديفـه وبنيـــهِ للآتـــيْنَ رمـــزَ فـــداء

آمنـتُ لاوحـــي العقيــدةِ وحدَهــا لكـنْ بمـا أسـلفتُ مـن خُلَصـائي

آمنـتُ إيمـــانَ الحجيـــج بقصـــدهِ فهنـاك لي جَـدَثٌ علـى البطحـاء[٨٥]

آمنـــتُ إيمـــانَ النَهـــار بشمســـه فلقـــد غُمـــرتُ بنورهـــا الوضـــاء

آمنـــتُ إيمـــانَ الدمـــاء بنفســـها فأنـا الصبيـغُ بهـا صبـاحَ مسـاء

عدنـانُ أنطِقْـني فقـد خَنَـقَ الشَـجا بفمـــي البليـــغِ مقالـــةَ البلغـــاء

حاسـبتُ نفســـي والأنـــاة تردُّهـــا في معـــرِض التصريـــح للإيمـــاء

بيني لُعنتِ فلسـتُ منـكِ وقـد مشـى فلكِ الخمـولُ ولسـتِ مـن خُلَطـائي

مـاذا يَمـيزكِ والسـكوت قسـيمة عـن خـانعٍ، ومهـــادن، ومرائـــي

أبـأضعفِ الإيمـان يخـــدع نفـــسُ مَـن سـنَّ حُـبَّ المـوت للضعفـاء؟

أيـــزَمُّ مـــن شـــفةٍ علـــى عذباتـــه نضحـــتْ أمـــاني عـــزَةٍ وإبـــاء؟

خلِي النِقـاطَ على الحـروف وأوغلـي في الجهـر ماوسعتْ حـروفُ هجـاء

مـــاأنتِ إذ لاتصدَعـــينَ فواحشـــاً إلا كراضيـــةٍ عـــن الفحشـــاء.

أضحيَـةَ الحلـفِ الهجـين بشـارة لـكَ في تكشـفِ سـوءةِ الهُجَنـاء[٨٦]

أسطورة "الأحــلاف" سوف يمُجُهـا التـا ريـخُ مثـلَ خرافـــة "الحلفـــاء"

سَـــرعان مـــاتنهَدُّ بعـــد أواره تعشـــي العيـــون كفحمـــة الطُرفـاء

---

(٨٥) ـ إشارة إلى قبر أخيه "جعفر الجواهري" في النجف.

(٨٦) ـ المقصود هنا هو""حلف بغداد" الذي كـان الشـهيد في جملـة الأحـرار الشـجعان الذيـن يناصبونه وعاقديه العداء.

قـالوا "تعاقدنـا" فقلـتُ هنئتُـم بقـران فَـرطِ خنـاً بفـرطِ غبـاء
واهُـزأة الأحـلاف بـين مسـخرٍ ومسـخَرين، وسـيدٍ وإمـاء
يـامن رأى "حلفـاً" عجيبـاً أمـرهُ بـين الـثرى وكواكـب الجـوزاء
وتعلَقـت هُـزْءاً علـى أضوائـه بنيـوبِ ذؤبـانٍ أكـارعُ شـاء

هـاتيكَ أنعـم حلفـةٍ وإخـاء إعصـار طـاعون وريـح وبـاء
وعصـارةٌ لـلرجس تنسِـفُ مـا ابتنَى الأجـدادُ مـن أكرومـةٍ وحيـاء
وجيـوشُ بغـيٍ تسـتعينُ بمثلهـا مـن خـائني وطـنٍ ومـن دخـلاء
نسـجوا نسـيجَ العنكبـوتِ وهـاهُم منـه بليلـةِ حـاطبٍ عشـواء
واهـي الخيـوط يشِـفُ عمَـا تحتـه فكـأنهم منـه بغـيرِ غطـاء
واعتـاصَ رتـقُ فتوقـه حتـى مشـى سـأمُ الكـلال علـى يـدِ الرَفـاء

قسماً بقـبرك وهـي حِلفـةُ صـادق أجلـى بيانـاً مـن أجـلِّ ثنـاء
ماضيعـةُ الشـهداء في أسـر الـرَدى كمتاهـةِ الشـهداء في الأحيـاء
في كـلِ يـومٍ ميتـةٌ ملحـودةٌ بالصَـبرِ آونـةٌ وبالإغضـاء
وبكـلِ زاويـةٍ ضمـيرٌ يلتـوي لَـيَّ الطعـين بحربـةٍ عقفـاء
أبـداً تـنزُّ دمـاً جـراحُ كرامـةٍ هـانتْ هـوان الجُـرحِ في عجمـاء[87]
حَسْبُ الكريـم مـن الأذى إحجامـه حتـى عـن الشـكوى مـن الإيـذاء
وكَفَـى الشـجاعَ رويـةً وعزيمـةً ذلاً تمنِـي عيشـة الجبنـاء
وسُقيتَ مـن وعـي البـلاد وعزهـا مـايصطفيكَ بروضـةٍ غنَـاء

---

(87) ـ العجماء: البهيمة.

ياأمَّ عَوف

*نظمت عام١٩٥٥، وكان الشاعر قد نزل وهو في طريقه إلى مدينة "علي الغربي" ضيفاً على راعية غنم تدعى "أم عوف" في حماد من الأرض.. ولقي منها كرماً وحسن ضيافة..

يا"أمَّ عوفٍ" عجيباتٌ ليالينا ... يُدنينَ أهواءَنا القُصوى ويُقصينا
في كلِّ يومٍ بلا وعيٍ ولاسببٍ ... يُنزلنَ ناساً على حُكمٍ ويُعلينا
يَدفنَّ شهْدَ ابتسامٍ في مراشِفنا ... عَذْباً بعلقمِ دمعٍ في مآقينا
ويقترِحْنَ علينا أنْ نُجرَعَهُ ... كالسمِ يجرعهُ "سُقراطُ" تَوْطينا

يا"أُمَّ عوفٍ" وَمايُدريكِ ماخَبأَتْ ... لنا المقاديرُ من عُقبى ويُدرينا
أنّى وكيف سيُرخي من أعنّتنا ... تَطوافُنا.. ومتى تُلقى مَراسينا؟!

أزرى بأبيـــات أشـــعارٍ تقاذفُنــــا / بيـتٌ مـن "الشَــعَرِ المفتــول" يؤوينـا
عِشـنا لهـا حِقَبـاً جُلَــى نذلِّلهـــا / فتجتوينـــا.. ونُعليهـــا فتُدنينـــا[88]
تقتـاتُ مـن لحمنــا غضـّـاً وتُسـغِبُنا / وتسـتقي دَمنـــا محضــاً وتُظمينـا[89]
يـا"أمَ عـوفٍ" حُرمنا كـلَّ جارحـةٍ / فينـــا لِنُســرجَ هـــاتيكَ الدواوينـــا
لم يـدرِ أنَا دُفِنَـا تحـتَ جاحِمِهـا / مطـــالعٌ، يتملاّهــــا بَراكينــــا

يـا"أُمَ عـوفٍ" بِلَوْحِ الغيـب موعدُنــا / هنـا، وعنـدك، أضيافـاً، تَلاقِينــا
لم يـبرحِ العـامُ تِلـوَ العـامِ يَقذِفُنــا / في كــلِ يـــومٍ بمَومـــاةٍ ويرمينـــا[90]
يـــا"أُمَ عــــوفٍ" ومـــاآهٌ بنافعـــةٍ / آهٍ علـى عـابثٍ رَخْـصٍ لماضينـا[91]
علــى خضيـــلٍ أعارتــه طلاقتهـــا / شمسُ الربيـع وأهدتـه الرياحينـا[92]
قـالتْ لِطافـاً بـــه أصباحُنــا ومشــتْ / بـالمنِّ تنطِـفُ والسـلوى ليالينـا[93]
سمـحٍ نجـــرّ بـــه أذيالَنـــا مرَحـــاً / حينـــاً..ونعـــثُرُ في أذيالـــه حينـــا
آهٍ علــى ملعـــبٍ ـــ أن نســتبدَّ بـــه / ويســـتبدّ بنـــا أقصـــى أمانينـــا
مثـلَ الطيـورِ وماريشَـــتْ قوادمُنـــا / نطير رَهواً بما اسـطاعت خَوافينا[94]
من ضِحكة السَحَرِ المشبوب ضحكتُنـا / ومـن رفيـفِ الصِبـا فيـه أغانينـا

---

(88) ـ تجتوينا: تكرهنا، تدنينا: تنزلنا.
(89) ـ تسغبنا: تجيعنا.
(90) ـ الموماة: الصحراء.
(91) ـ الرخص: الناعم.
(92) ـ الخضل: الرطب.
(93) ـ تنطف: تسيل.
(94) ـ ريشت قوادمنا: نبتت وطالت..رهواً: ناشرين أجنحتنا أي نطير في سكون

يـا"أُمَّ عـوفٍ" وكـاد الحِلـمُ يَسـلُبنا خـيرَ الطِبـاع وكـاد العقـل يُردينـا
خمســونَ زُمَّـتْ مليئـاتٍ حقائبُهـا مـن التجـاريب بغناهـا بعشـرينا[٩٥]
إذ نحـنُ مِن هـذه الدنيـا ضراوتُهـا وإذ مغـاني الصِبـا فيهـا مغانينـا
يـا"أُمَّ عـوفٍ" بريئـاتٌ جرائرُنـا كـانت، وآمنـةٌ العقبـى مَهاوينـا
نسـتلهمُ الأمـرَ عفـواً لانخرِّجُـهُ مـن الفحـاوي ولانَـدري المضامينـا[٩٦]
ولانُعـاني طويَـاتٍ معقَـدةً كمـا يَحُـلُّ تلاميـذٌ تمارينـا
نـأتي المـآتيَ مـن تلقـاء أنفُسِـنا فيمـا تصرفنـا منهـا وتُثنينـا
يـا"أُمَّ عـوفٍ" أدالَ الدهـرُ دولتَنـا وعـاد غَمْـزاً بنـا ماكـان يزهونـا
خبا مـن العمـر نـوءٌ كـان يَرزُمنـا وغـابَ نجـمُ شبابٍ كـان يَهدينـا[٩٧]
وغـاضَ نبـعُ صفـا كنّـا نلـوذ بـه في الهـاجرات فيَروينـا ويُصفينـا

يـا"أُمَّ عـوفٍ" وقد طـالَ العنـاءُ بنـا آهٍ علـى حِقبـةٍ كـانت تعانينـا
آهٍ علـى أيمنٍ مـن ربـعِ صبوتنـا كنّـا نجـولُ بـه غـرّاً ميامينـا
كـانت تُجِـدُّ لنـا الأحـلامُ حاشـيةً مذهوبـةً كلَمـا قُصّـت حواشـينا
كنّـا نقـول إذا مافاتنـا سَـحَرٌ: لابُـدَّ مـن سَـحَرٍ ثـانٍ يُواتينـا
لابُدَ مـن مطلـعٍ للشـمس يُفرحنـا ومـن أصيـلٍ علـى مهـلٍ يُحيينـا
واليـومَ نَرقُـبُ في أسـحارنا أجـلاً تقـومُ مـن بعـدهِ عَجلـىً نواعينـا

---

(٩٥) ـ زمت: شدت أي مضت
(٩٦) ـ الفحاوي: جمع فحوى.
(٩٧) ـ النوء: المطر. يرزم: يشتد صوته.

يـا"أُمَ عـوفٍ" كـوادٍ أنـت نازلـه ... دَمْثاً، فَسيحاً، نديّاً كان وادينا(٩٨)
في مثـل رملتـكِ الحمـراء زاهيـةً ... كـانت تخُبُّ "عفاريتاً" مَهارينا(٩٩)
ومثـل خيمتـكِ الدكنـاء فارهـةً ... كـانت تـرفُّ علـى رمـل صَوارينـا

يـاأُمَ عـوفٍ" ماكنَـا صيارفـةً ... فيمـا نُحـبُّ ولاكنـا مُرابينـا
لم نَـدْرِ سُـوقَ تِجـارٍ في عواطفهـم ... ومُشـترينَ مـودّاتٍ وشـارينا
لانعـرفُ الـودَ إلاّ أنَـهُ دنَـفٌ ... مـن الصبابـةِ يعتـاد المُحبينـا(١٠٠)
فمـا نصـابح إلا مَـن يماسـينا ... ولانُـراوح إلا مَـن يُغادينـا
يـا"أُمَ عـوفٍ" ولاتغـرُرْكِ بارقـةٌ ... منَـا، ولازائـفٌ مـن قـول مُطرينـا
غُفـلاً أتينـاكِ لم تعلَـقْ بنـا غُـرَرٌ ... ولاحُجـولٌ وإنْ رفَـتْ هوادينـا(١٠١)
إنـا أتينـاكِ مـن أرض ملائكُهـا ... بـالعُهر تُرجـمُ أو تُرضـي الشـياطينا
إنْ لم يَلُـحْ شـبحٌ للخـوف يُفزعنـا ... فيهـا يَلُـحْ شـبحٌ للـذل يُصمينـا
يـا"أُمَ عـوفٍ" أأوهـامٌ مضلِلـةٌ ... أم الأسـاطيرُ يُبدعـنَ الاسـاطينا
مـن عهـد "آدم" والأقـوامُ مزجيـةٌ، ... خـوفَ الشـرورِ، الضحايا والقرابينـا
أكُلَمـا ابتـدعَ الإنسـانُ آلهـةً ... للخـير صيَّرهـا شـرٌّ ثعابينـا!؟
يـا"أُمَ عـوفٍ" سئِمنا عيشَ حـاضرةٍ ... تَـرُبُّ سِـقْطين شِـريرا ومِسـكينا(١٠٢)
وحـشٌ وإنْ روَضَ الإنسـيُّ جامحَهـا ... قفـرٌ، وإنْ مُلئـتْ ورداً ونِسـرينا

---

(٩٨) ـ دمث: لين.
(٩٩) ـ المهاري والمهاري: جمع مهرة
(١٠٠) ـ دنف: مرض (لازمة من لوازم الصبابة)
(١٠١) ـ الهوادي: الأوائل.
(١٠٢) ـ ترب: تربي. القط: المولود قبل أوانه.

ضحَاكــةُ الثغــرِ بُهتانــاً وحاملــةٌ في الصدرِ للشرِ أو للبؤس تنِينـا[103]

وخانقــاً مــن "قراميــد" يحوطنــا حوطَ السجون منـاكيداً مساجينا[104]

رانَ الخمـولُ عليـه.. واسـتبدَ بـــه جذبُ الجوانب مـن هَنَا ومن هِينا

ولُقمــةٍ ردَهــا مانســـترقُّ بـــه ومانكـــافحُ زَقُومـــاً وغِســـلينا[105]

يا"أُمَ عـوفٍ" وقـد شِـبْنا بمعـتركٍ نرعـى المقـاييسَ منـه والموازينـا

عُميـاً نَـدور علـى مرمـى حوافـره معقـــودةٌ بتواليـــه نَواصينـــا[106]

مـاانفكَ فُحْـــشٌ تَظنِيــهِ يُلاحقنــا حتـى عُدينا بفُحـش في تظنِينـا[107]

فمـــا نصـــدِقُ أفواهـــاً بألســـنةٍ مـــالم يُقمْـــنَ عليهـــنَّ البراهينـــا

ولابــــأفئدةٍ حتـــــى تُعاهدَنـــــا بـــأنَّ أنياطهـــا ليســت ثعابينـــا[108]

جئنــا مغــانيكِ نُسَــاكاً يُـــبرِّحهمْ لُقيـا حبيــبٍ أقـاموا حُبَــه دينـا

ولاءَمتنــا شِــعابٌ منــكِ طـــاهرةٌ كمــا تضــمُّ المحــاريبُ المصلِينــا

لم ألـفِ أحفـلَ منهـا وهـي موحشـةٌ بالمؤنســات.. ولاأزهـــى ميادينـــا

ولاأدق بيانـــاً مِـــن، مجاهِلِهـــا ولاأرقَ لمـــا توحيـــه تبيينـــا

حتـى كـأنَّ الفِجـاجَ الغُـبرَ تفهمُنـا والمبهمـاتِ مـن الـوادي تُناغينـا[109]

---

(١٠٣) ـ التنين: ضرب من الحيات.

(١٠٤) ـ القراميد: جمع قرميد، وهو نوع من الطابوق

(١٠٥) ـ ردها: جعلها وصيرها. الزقوم والغسلين وردتا في القرآن: تعني الأولى شجرة تخرج من أصل الجحيم، وتعني الثانية ماانغسل من لحوم أهل النار ودمائهم.

(١٠٦) ـ النواصي: جمع ناصية وهي مقدم الرأس.

(١٠٧) ـ التظني: الظن.

(١٠٨) ـ النياط: جمع نيط بفتح النون وهو العرق.

(١٠٩) ـ الفجاج: جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين.

تجـاوبتْ بصـدى الدُنيـا مفاوزُهـا		واستعرضت من بَني الدنيـا الملايينـا[110]

وانساب حشدُ الرمال السـافياتِ بهـا		يُحصي الأناسي منها والأحايينـا[111]

كم لَمَتِ الشمسُ أوراسـاً وكـم قطقتْ		مـن الأهلَـةِ عُرجونـاً فعرجونـا[112]

وكـم حـوتْ مـن ربيـع الدهـر أخيلـةً		فطـرْنَ رعبـاً، وأفراسـاً فعُرينـا[113]

أحالهـا النـور شـيئاً غـيرَ عالمهـا		حتـى كأنَـا بـوادٍ غـيرِ وادينـا

حتـى كأنَـا –وضـوءُ البـدر يَفرشـها–		نمشـي علـى غيمـةٍ منـه تُماشـينا.

---

(110) ـ المفاوز: جمع مفازة وهي الصحراء.

(111) ـ السافية: المتحركة. الأحايين: الأزمان.

(112) ـ الأوراس: جمع ورس وهو نبت أصفر. العرجون: عنق النمر إذا يبس.

(113) ـ أخيلة: جمع "خيال"، من التخيل والتظنن والتوهم. والمعنى أنها حوت الكثير من تخيلات الصبا.

كفارة وندم

*نشرت في جريدة "الرأي العام"، العدد٢٤٧٩ في ٢٠حزيران ١٩٥٤.

ستبقى ــ ويَفْنَى نَيزكٌ وشِهابُ ــ   عــروقٌ أبيّـات الدِمــاء غضــابُ
لطــافٌ كأنفــاسِ النَسـيمِ نوافـحٌ   كريَاه صُـمٌ كـالصخورِ صِـلاب(١١٤)
هـوتْ عَذَبـاتُ العمـرِ إلاّ صوامـداً   على لَفْحِ إعصارِ فهنَ رِطــاب(١١٥)
وجــفٌ وريــقٌ منـــه إلا نديَــةٌ   تعاصت على الأيامِ فهــي شـباب
عييتُ بطــبِ الأحمقـينَ وجهلِهـمْ   بـأنَ النفـوسَ الخــيراتِ عجــاب
فهــنَ إذا مــاالأمرُ هــانَ أبــاطحٌ   وهــنَّ إذامــاالجدُّ جَــدَّ هِضــاب
وهــنَ "منيفــاتٌ" لأنَّ هُويَهـــا   بألسُـــنِهنَّ يُــــزدَرَى ويُعـــابُ
وهـنَ "عظيمــاتٌ" لأنَّ صريحَهــا   يَئِـنُ أنـينَ الكلْـبِ حـين يُشــاب

(١١٤) ـ النفح: هبوب النسيم.
(١١٥) ـ عذبات: جمع عذبة (بفتحتين) وهي طرف كل شيء. واللفح: هبوب السموم.

يضيـق بهـا كــونٌ وهــن فســائحٌ ... وسـبعُ سمـاواتٍ وهـنَ رحـابُ
يُسـاقين أحقابـاً وهـنَّ ظوامـئٌ ... ويُطعِمْنَ أجيـالاً وهـنَ سِـغابُ[116]
ويَنْحَتْـنَ والدنيـا لهـنَ نمـوذجٌ ... ويرسُـمْنَ والرؤيـا لَهـنَ خِضـاب

أقولُ وقد كـلَّ الجـوادُ فلم تَجُـل ... مسـوَّمةً غـالوا بهـنَّ عِـرابُ
ولاح مِحَـكٌ للرجـال فلـم يكـنْ ... هنـالك إلاَّ زائفـون كِـذابُ
وصـوَّحَ قـاعُ الطيبـاتِ وأعولـتْ ... عليهـا مـن الضِغْـن الخبيثِ ذئـاب
وقـاءَ اللئيـمُ الـدونُ مـافي ضميـره ... وجـفَّ فمـا عنـدَ الكريـمِ شـراب
حنانَيْكِ نفسـي لايضيق منك جـانبٌ ... إذا ضاق مـن رُحْـبِ النُفوس جَنـاب
ولايَتَهَضَمْـكِ انخفـاضٌ فطالمـا ... تخفَـضَ نَسْـرٌ صـاعدٌ وعُقـاب
وشـامخةُ الأدواحِ يُلـوى عِنانُهـا ... مع الريحِ، والمحضُ الصريحُ يُراب
ومالَكِ مـن عتـبٍ علـى الدَهـرِ إنمـا ... عليـكِ لمـا هوَنْـتِ منـه، عِتـاب
تقحَمتِـهِ حتـى كـأنكِ فوقَـه ... وإنَـكِ إذ طَـمَ ألأَبـاب عُبـاب[117]
ورُحـتِ سمَاحـاً تَحضنـين صُروفَـه ... كما احتضَنَ السيفَ الجُرازَ قِراب[118]
فلا تهـنِ الشـكْوى عليـكِ وإن مَشـتْ ... بمنحسِـرِ بـادي الضلـوعِ حـراب
فـإنْ تقتنـص منـكِ الليـالي فريسـةً ... وإنْ يجتمـع ظُفْـرٌ عليـكِ ونـاب
وإنْ تتشـابكْ للحـزازاتِ أجمـةٌ ... ويلتـفَ للحِقـد المـبرحِ غـاب
فللَيـثُ أضـرى مـايُرى إذ تَهيجُـهُ ... وأقتَـلُ ماتَخشـاه حـينَ يُصـاب

---

(١١٦) ـ السغاب: جمع ساغب وسغبى بمعنى جائعات.
(١١٧) ـ طم: علا وغمر.
(١١٨) ـ الجراز (بالضم): القاطع.

هبينيَ لم أُسلفْ جميلاً ولم أقلْ ... جميلاً، ولم تُخضَبْ عليَّ ثياب
ولم أُزجِ تلكَ التضحياتِ كريمةً ... بها راح يُجْزي مُدَّعٍ ويُثاب
ولم أدعَ للجُلّى كقيسٍ ورهطهِ ... وللحَيْسِ تدعى خثعمٌ وكِلاب[119]
فهل أنا إلاّ من سوادِ نقائصي ... إلى نقص أزكاهم حصيٌ وتراب

تعالَيْ فقد أغلى نسيجَكِ حاضرٌ ... كمثلكِ فذٍ جلّلته صعاب
وشعبٌ على البلوى يعيش وموطنٌ ... لكلِ الهمومِ الخانقاتِ مَثاب
ولن يجدَ الآتونَ مثلَكِ عندما ... يخفُّ قِراعٌ، أويهون طِلاب
فلاتكتُمي عاباً فمجدُكِ كاذبٌ ... إذا لم يَشُبْهُ للحراجةِ عاب
ولوحي خلالَ الحادثاتِ مُشعَّةً ... كما لاحَ مابينَ الغيومِ شِهاب
وماهي إلاّ غمرةٌ ثمَّ تنجلي ... ومـاأنتِ إلا خمرةٌ وحَباب

دعيها تَسِلْ قَيْحاً "لوحدِك" ثرةً ... جراحٌ أجِدّت فانتكأن، رَغاب[120]
فهنَّ لنفحِ الطيِّباتِ مجامرٌ ... وهنَ لعِطرِ الذكرياتِ عِياب[121]
وهنّ وماَيَنْزفْنَ كأسٌ وخمرةٌ ... وثغرُ كَعابٍ رَوْدةٍ ورُضاب[122]
هو الشعرُ موجوعاً ينابيعُ رحمةٍ ... وخلواً من القلبِ الجريحِ سَراب

---

(119) ـ الحيس: تمر يخلط بسمن.
(120) ـ نكأ الجرح: أزال قشرته. والرغاب: اللينة.
(121) ـ المجامر: المباخر. والعباب: الحقائب.
(122) ـ الرود: المرأة الحسنة اللينة.

ألِلنـــاس زادٌ غـــيرُ آهـــةِ شـــاعرٍ؟ وغـيرُ الـدم المـنزوف منــه شــراب؟
وياوطنـــاً رُدَت علـــيَّ ظلالـــهُ مصوَحـــةٌ رَوَى ثــراكَ سَـــحاب
نـدى المسك فيما غـبَرتني عجاجـةٌ وفيمـا سـيُحثَى بالحِمـام تـراب
ولكنـــني آسٍ لنهـــبٍ مقسَـــمٍ وليـس بـه للصـالحينَ نِصـاب
وبـــتٍ لسُـــراقٍ تلـــوذُ بركنـــه سـباقٌ علـى تهديمـه وغِـلاب
مجافيـــةٌ أحكامُـــه.. فهـــو جنـــةٌ لرجـسٍ، ولـلزاكي لظًـى وعـذاب
ومعكوســـةٌ حتـــى كـــأن خِيـــارَه بـه خطـأ.. والأرذلـون صـواب
أطـاحت بأعشـاشِ النُسـورِ بُغاثُـه وحـلَ بـه خـيرَ الوكـورِ غُـراب[123]
وجـاءت ملايـينٌ بـه وزروعـهُ، لسـبعٍ سمـانٍ يَعتلفـنَ، نِهـاب

(١٢٣) ـ بغاث الطير (بفتح الباء وضمها وكسرها): شرارها ومالايقوى على الصيد منها.

الستينات

لبنان ياخمري وطيبي

*ألقيت في المهرجان الذي أقامه أدباء لبنان وشعراؤه في بيروت تكريماً لشاعر لبنان بشارة الخوري (الأخطل الصغير) وشارك فيه جمع من الشعراء العرب وأدبائهم وكان ذلك صيف ١٩٦١.

كان الشاعر في هذه الأثناء مضايقاً في العراق –والسلطة غير راضية عنه حتى أنه أوقف مدة أسبوع– وربما خشي عليه ماهو أكثر من ذلك بكثير وقد كاشفته ممثلية ألمانية الديمقراطية وهي تقدم إليه الدعوة لتمثيل العراق في مؤتمر الأدباء الألمان –وصرحت له بما يبيت له من خطر، وبوجوب مغادرته العراق، فوافق بعد تردد، ولكنه كان يخشى ألا يحصل على جواز سفر... حتى إذا وصلت إله دعوة من لجنة تكريم بشارة الخوري اتخذ ذلك ذريعة للحصول على جواز السفر. وكان أن وصل إلى براغ في طريقه إلى برلين، فإذا بوفد "اتحاد الكتاب" التشيكوسلوفاكيين يستقبله في المطار ويرجو منه قبول دعوة "الاتحاد" ليكون هو وعائلته ضيفاً على تشيكوسلوفاكيا ماطاب له المقام.. وذلك ماكان.

"لُبنانُ" يا خمري وطيبي هلاّ لَمَمتِ حُطامَ كوبي

هلاّ رَدَدْتِ لسُهدِها عيني، وقلبيَ للوجيب[١٢٤]

هَلاّ عطفتِ ليَ الصِبَا نشوانَ يرفُلُ بالذُنوب

نزَقُ الشبابِ عبدتُه وبَرِئتُ من حِلْمِ المشيب

لُبنان ما ذنبي إذا رقَعتُ شَيْبي بالنسيب

الأخضرُ الريَّانُ بين جوانحي عِرمْ الشُبوب[١٢٥]

يامن يقايضُني صدى الهمساتِ والسَمَرِ المُريب

وترصُدُ الأقمارِ كابن أبي ربيعة في المغيب[١٢٦]

والكاعبَ الحسْناءَ تسترني بمِفْضِلِها القشيب[١٢٧]

وتنابزَ القبلات في نجوى كمسترَق الدبيب

ويداً تخبُطُ في الهوى ويداً تُعابثُ في الجيُوب[١٢٨]

يامن يُقايضني ربيعَ العُمرِ ذا المَرْجِ العشيب

بالعبقريَة كلُها بخُرافة الذهن الخصيب

بعُصارة الستينَ ترزح بالأديب وبالأريب

---

(١٢٤) ـ الوجيب: الاضطراب.

(١٢٥) ـ عرم: شديد، والبيت كناية عن القلب.

(١٢٦) ـ في البيت ومابعده إشارة إلى رائية عمر بن أبي ربيعة الشهيرة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر

(١٢٧) ـ المفضل: الثوب الواسع.

(١٢٨) ـ الجيوب: جمع جيب وهو فتحة الثوب من جهة الصدر.

شـــيطانَ "غوتـــــةَ" ياربيـــــ ـــب الغـدرِ والـدمِ والحـــروب[129]
ومُقـــايضَ الســـبعينَ بالـــ ـعشــرينَ عـــن ثمـــن رهيـــب
لـــو جئتـــني لوجدتـــني مَحــضَ الســميعِ المســتجيب
إيــــهٍ بشـــارةُ والليـــا لي مثقـــلاتٌ بـــالعجيب
متدافعـــــاتٌ بالفُجـــا ءة لايَنــينَ مــن اللغُــوب[130]
والدهـــرُ في صَعَـــدٍ ومـــا عـزَ الطِـلاب علـى طَلُـوب[131]
و"الزُهـــرةُ" الشـــقراء طـــو عُ يـــديْ "ككـــارينَ" الرهيـــب
"الأخطـــلُ" الجبَـــارُ جـــا ء "الكوفتــين" علــى نجيــب[132]
وأبـــو العـــلاء علـــى بنـــا تِ المــاء تُحــدَى بــالجنوب[133]
وذعـــرتَ صحــــراءَ العـــرا قِ بموكــبِ النــارِ الهيـــب[134]
بالآلـــةِ الخرســـاء تســـ ـتوري علــى وهــج اللهيــب
وأتيـــتُ "لبنانـــاً" بجـــا نحتــين مــن ريــحِ غَضــوب
مثـــلَ المســـيح إلى الســـما ءوقــد حُمِلــتُ علــى صليــب
كأســـي تُصفَـــق بالغمـــا مِ بكـــفِ غيـــداء لَعـــوب[135]
ويـــدي علـــى جَـــرَس تشـــدّ ومقلـــتي لفـــم المجيـــب

---

(129) ـ إشارة إلى فاوست قصة الأديب الألماني غوتة.

(130) ـ اللغوب: التعب والإعياء.

(131) ـ صعد: شدة، عذاب صعد: عذاب شديد.

(132) ـ الأخطل: الشاعر الأموي. النحيب: من الإبل.

(133) ـ بنات الماء: السفن. الجنوب: الريح.

(134) ـ يشير إلى مجيء بشارة الخوري إلى العراق بالسيارة.

(135) ـ تصفق: تمزج. الغيداء: المضيفة.

وتحفَـــــــز النهـــــــدانِ في		أفــقِ مـــن الصـــدرِ الرحيـــب

هـــل صـــكَ سمعَـــك أنـــني		مـــن رافـــدَيَّ بـــلا نصيـــب

في كُربـــةٍ وأنـــا الفتـــى الـــ		ـممـــراحُ فَـــراجُ الكـــروب

أنـــا "عـــروةُ الـــوردي" رمـــ		ـــزُ مـــروءةِ العَـــرَبِ العريـــب

يادجلة الخير

براغ عام ١٩٦٢م

حَيَيتُ سفحَكِ عن بُعْدٍ فحييني ... يادجلةَ الخيرِ، ياأُمَّ البساتينِ
حييتُ سفحَك ظمآناً ألوذُ به ... لوذَ الحمائمِ بين الماء والطين
يادجلةَ الخيرِ يانبعاً أفارقُهُ ... على الكراهةِ بين الحين والحين
إنِي وردتُ عُيونَ الماء صافيةً ... نَبْعاً فنبعاً فماكانت لتَرْويني
وأنتَ ياقارِباً تَلْوي الرياحُ به ... لَيَّ النسائمِ أطرافَ الأفانين
وددتُ ذاك الشِراعَ الرخص لوكفني ... يُحاكُ منه غَداةَ البَين يَطويني
يادجلةَ الخيرِ: قد هانت مطامحُنا ... حتى لأدنى طماحٍ غيرُ مضمون
أتَضْمنين مَقيلاً لي سَواسيةً ... بين الحشائش أوبينَ الرياحين؟
خِلْواً من الهمِ إلاّ همَّ خافقةٍ ... بينَ الجوانحِ أعنيها وتَعنيني

تَهُزُّنــي فأُجاريهـــا فتدفعُـــني   كـالريح تُعجـل في دفـع الطواحـين

يادجلـةَ الخـير: ياأطيـافَ سـاحرةٍ   يـاخمرَ خابيــةٍ في ظـلِ عُرْجـون
ياسـكتةَ المـوتِ، ياإعصـارَ زوبعـةٍ   يـاخنجرَ الغـدر، ياأغصـانَ زيتـون
ياأُمَّ بغـدادَ، مـن ظَـرفٍ، ومـن غَنَـج   مشـى التبغـدُدُ حتـى في الدهـاقين
يـاأُمَّ تلك التـي مـن "ألـفِ ليلتِهـا"   لـلآن يعبـق عِطـرٌ في التلاحــين
يامُستَجمَّ "النُّواسـيِ" الـذي لبسـتْ   بـه الحضـارةُ ثوبـاً وشـيَ "هـارون"
الغاسـلِ الهـمَّ في ثغـرٍ، وفي حَبَـبٍ   والمُلبـس العقـلَ أزيـاء المجـانين
والسـاحبِ يأبـاه الـزقُّ ويُكرِهـهُ   والمُنْفِـق اليـومَ يُغـدى بـالثلاثين
والراهِـن السـابريَ الخـزَ في قـدحٍ   والملهـمِ الفـنَ مـن لهـو أفـانين
والمُسْمعِ الدهـرَ، والدنيـا، وسـاكنَها   قـرْعَ النواقيـسِ في عيـدِ الشـعانين

يادجلـةَ الخـير: مـايُغليكِ مـن حَنَـق   يُغلي فؤادي: ومايُشجيكِ يشجيني
مـاإن تـزالَ سِـياطُ البغـي ناقعـة   في مائِكِ الطُهْرِ بـين الحـين والحـين
يادجلةَ الخير: أدري بالذي طفحـت   بـه مجـاريك مـن فـوق إلى دون
أدري علـى أيِ قيثـارٍ قـد انفجـرت   أنغـامُكِ السُمر عـن أنَـات محـزون
أدري بـأنكِ مـن ألـفٍ مضـتْ هَـدَراً   لـلآن تَهْزِيـنَ مـن حكـم السـلاطين

يادجلـةَ الخـير: والدنيـا مُفارقَـةٌ   وأيُّ شـرٍ بخـيرٍ غـيرُ مقـرون
وأيُ خـيرٍ بـلا شـرٍ يُلَقِحـه   طهـرُ الملائـك مـن رجـس الشـياطين

يادجلة الخير: كم مِن كنزِ موهِبةٍ لديك في "القُمقُم" المسحورِ مخزون
لعلَ تلك العفاريتَ التي احتُجِزتْ مُحَمَلاتُ على أكتاف "دُلفين"
لعلَ يوماً عصوفاً جارفاً عَرِماً آتٍ فتُرضيك عقباه وترضيني

يادجلةَ الخير: من كل الألى بلوايَ لم ألفِ حتى من يواسيني
يادجلةٍ الخيرِ: خلِي الموجَ مُرتفعاً طيفاً يمرُ وإن بعضَ الأحاديين
وحمِليه بحيث الثلجُ يغمرني دفء "الكوانين" أو عطر "التشارين"

واهاً لنفسيَ من جمعِ النقيض بها نقيضَه جمْعَ تحريكٍ وتسكين
جنباً إلى جنبِ آلامٍ أُقطِفُها قَطفَ الجياع جَني اللَذاتِ يزهوني
وأركبُ الهوْلَ في ريعان مأمنَةٍ حبُ الحياة بحبِ الموتِ يُغريني
غُولاً تسنَمتُ لم أسألْ أكارعَه إلى الهُوى، أمْ على الواحات ترميني
وماالبُطولاتُ إعجازٌ وإنْ قنِعت نفسُ الجبانِ عن العلياء بالهُون
وإنَما هي صفوٌ منْ مُمارسَةٍ للطارئاتِ، وإمعان، وتمرين
لايُولَدُ المَرء لاهِراً ولاسَبعاً لكن عصارةَ تجريبٍ وتلقين

يادجلةَ الخير: شكوى أمْرُها إن الذي جئت أشكو منه يشكوني
ماذا صَنعتُ بنفسي قد أحَقْتُ بها مالم يُحقْهُ بـ"روما" عسفُ "نيرون"
ألزمتها الجدَ حيثُ الناسُ هازلة والهزلَ في موقفٍ بالجدِ مقرون

يادجلةَ الخيرِ: هل في الشكِ منجلياً ... حقيقـــةٌ دون تلميـــحٍ وتخمـــين؟
أم خولطـت فيــه أوهـــامٌ وأخيلـــةٌ ... كمـا تخـالطت الألـوانُ في الجُـون
أقـول: ليـت كفافـاً والكفـافُ بـه ... رُحـبُ الحيـاةِ، وأقـواتُ المسـاجين
أقولهُـــنَّ وعنـــدي علـــمُ ذي ثِقـــةٍ ... أنْ ليـس يُؤْخـــذَ علـمٌ بالأظـــانين
وإنمـا هـي نفـسٌ هـــمُّ صاحبهـا ... أن لاتُصـــدِقَ مرحـــوضَ الـــبراهين
لم يوهــب الفكـرُ قانونـــاً يُحصِنــه ... مـن الظنـون، ومـن سُخف القوانـين

يانـــازحَ الـدارَ نـــاغِ العُـــودَ ثانيـــةً ... وجُـــسَ أوتـــارهُ بـــالرِفْق واللـــين
لعــلَ نجـوى تُـداوي حـرَ أفئـــدة ... فيهـا الحـــزازاتُ تَغلـي كالـبراكين
ويـاضجيعي كـرىً أعمـى يلفُهمـــا ... لـــفَ الحبيبـــين في مطمـــورةٍ دُون
حسبي وحسبكُما مـن فرقـةٍ وجـوىً ... بلاعـــجٍ ضَـــرمٍ كـــالجمرِ يكويـــني
لم أعْـدُ أبـوابَ سـتين، وأحسـبني ... هِمّـاً وقفـتُ علـى أبـواب تسـعين
ياصـــاحبيَّ إذا أبصـــرت طيفَكمـــا ... يمشـــي إليَّ علـــى مَهـــلِ يحييـــني
أطبقتُ جَفنـاً علـى جَفْـنِ لأبصُـرَه ... حتـى كـأنَ بريـــقَ المـوتِ يُعشـيني
إنِـي شَـمِمتُ ثـرىً عفنـاً يضمُكمـا ... وفي لُهـاتيَ منـــه عِطـــرُ "داريـــن"
لقـد وَددْتُ وأسـرابُ المنـى خُـدع ... لـو تَسـلمان وأنَ المـــوت يطويـــني
قـد مِـتُّ سبعينَ موتـاً بعـد يومكمـا ... يـاذلَّ مـــن يشـتري موتـاً بسـبعين
أقول صبراً علـى شـجوِ يرمِضُـني ... حـرَانَ في قفـص الأضـلاع مسـجون
تصعـــدتْ آهِ مـــن تلقـــاء فطرتهـــا ... وأردفـــت آهـــةُ أخـــرى بـــآمين
ودبَّ في القلـبِ مـن تـأموره ضـرمٌ ... ماانفكَّ يُثلـج صـدري حـين يُصليني

كردستان ياموطن الأبطال

*نظمت عام ١٩٦٤. وألقيت لأول مرة في مؤتمر جمعية الطلبة الأكراد في أوروبا المنعقد بمدينة ميونيخ الألمانية في آب ١٩٦٤، حيث كان لهيب الثورة في كردستان العراق ضد الطغاة الحاكمين مندلعاً وبالغاً أشده...

وقد أعيد نشر القصيدة عدة مرات في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات في الصحافة العراقية.

قلبي لكردستان يُهدى والفم ... ولقد يجود بأصغريه المُعدمُ
ودمي وإن لم يُبقِ في جسمي دما ... غرثى جراح من دمائي تطعم
تلكم هدية مستميت مغرم ... وأنا المضحي والضحية مغرم
أنا صورةُ الألم الذبيحِ أصوغه ... كَلماً عن القلب الجريح يترجم
ولربَ آهاتِ حيارى شُرَّدٍ ... راحت على فم شاعر تتنظمُ
ذوَبت آلامي فكانت قطرةً ... في كأس من بنوا الحياة ورمَموا

ووهمـت أنـي في الصبابـة منهـم ... ولقـد يُعين علـى اليقـين توهُـم

غـاليتُ في حـبِ الشـهيد وراعـني ... فيمـا أحـدِّث عنـه فكـر مبهـم
أبـداً تسـددني خطـاه وأُلهـمُ ... وتعـنُّ لي منـه الطيـوف وأرسـم
نفسـي الفـداءُ لعبقـري ثـائرٍ ... يهـبُ الحيـاة كأنَـه لايفهـم

سلِم علـى الجبـل الأشـم وأهلِـه ... ولأنـت تعرف عن بنيـه من هـم
وتقـصُّ كـلَّ مـدبٍّ رجـلٍ عنـده ... هـو بالرجولـة والشـهامة مفعـم
والثم ثـرىً بـدم الشـهيد مخضبـاً ... عبقـاً يضـوع كمـا يضـوع الـبرعم
متفتـحُ أبـدَ الأبيـد كأنَـه ... فيمـا يخلِـد عبقـريٌّ مُلهـم
وأهتـف تجبـك سـفوحه وسـهوله ... طربـاً، وتبسُـم ثـاكل، أو أيِـمُ
باسم "الأمـين" المُصطفـى مـن أمـةٍ ... بحياتـه عندالتخـاصم تُقسـم
سـترى الكُمـاةَ المعلمـينَ تحلقـوا ... فـذاً تهيبِـهُ الكمـيُ المُعلـم
صُلـب الملامـح تتقـي نظراتِـه ... شـهبُ النسـور ويدِّربهـا الضيغـم
يـابن الشـمالِ وليـس تـبرح كربـة ... بالبشـر تـؤذن عندمـا تتـأزم
وتنـاقضُ الأشـياء سـرُّ وجودهـا ... وبخيرهـا وبشـرِها يتحكـم
صحـو السماء يُريـك قُبـحَ جهامِهـا ... وتُريـك لطـفَ الصحـو إذ تتجهـم
وكـذا الحيـاةُ فليـس يُقـدر شَـهدُها ... عـن خـبرةٍ، حتَـى يـذاق العلقـم
سـلِمْ علـى الجبـل الأشـم وعنـده ... مـن "أبجديَـات" الضحايـا معجـم
سِفْر يضـمُ المجـدَ، مـن أطرافـه ... ألقـاً كمـا ضـمَّ السـبائكَ منجـم

ودع الحـروفَ تـبنْ قـرارة نفسـها   إنَّ الأشـفَّ مـن الحـروف الأفخـم
يـاموطنَ الأبطـال حيـث تنـاثرتْ   قصـصُ الكفـاح حديثهـا والأقـدم
حيث انـبرى مجـدٌ لمجـدٍ والتقـى   جيـلٌ بـآخر زاحـفٍ يتسـلم
وبحيثُ ينضـحُ كـلُ برعـم زهـرةٍ   بشـذى عبـير دمٍ بهـا يُتنسَـم
وبحيـث تلتحـم القبـور كأنَها   سـورٌ يؤلفهـا كتـابٌ محكـم
وبحيـث تزدحـم العظـامُ فطـارفٌ   يُنهـي رسـالة تـالدٍ ويتمٍّـم
تـروي حديـث الهـام فيهـا هامـةٌ   ويَقـصُّ مـابَلتِ السـواعد معصـم
يـابن الشـمال ولسـتَ وحـدكَ إنهـا   السـت الملايـين الـتي تُتهضـم
ياخـيرَ ضلـعِ لسْـت وحـدك إنَـه   جسـدٌ بكـلِ ضلوعـه يتـألم
عـانى وإيـاكَ الشـدائد لم تلِـنْ   منـه قنـاةٌ كـلٌ يـومِ تُعْجَـم

يـاموطن الأبطـال والدنيـا بهـا   نصف، وإن خيلـت تجـور وتظلـم
تعطـي وتـأخذ والمغفـل عندهـا   مـن ظـن مـن عقبـى حسـابٍ يسـلم
مـن بعـد ألـفٍ، مـن سـلالة ظـالم   مـن قبـل ألـفٍ يثـأر المتظلـم

يـاموطن الأبطـال بَـثٌ مـؤلمٌ   وألـذٌ أطـراف الحديـث المـؤلم
ولقـد يلـذُك مـن شـكاة أنْ تـرى   فيهـا الضمـيرَ بنفسـه يتكلـم
أنـا مثـلُ دأبـك في كفـاحك محـربٌ   شـاكي العزيمـةِ أعـزلٌ مُتقحِـم
سـتون راحـت في النفـوس تقسِـم   تُعطـي عطـاء الأكرمـين وتحـرم
آبى الهضيمـةَ واسـتباح هضيمـتي   فيمـا اسـتباحكَ أحمـق متجـرم

الـوى بمـن عنـدي، وعنـــدي صفـوةٌ ... هـي مـن أبيـــه، ومــن ذويــه أكــرم
وررمـى بهـم خلـف الحـدود كـــأنهم ... بُــرُدٌ إلى الأمصـــار عجلـــى تـــرزم
وأشــاع لحمــي للذئـــاب ولحمَهـــم ... وحمـــى لحومـــاً بالنتانـــة تَزخـــم
ودعـــى الجبـــاةَ إلى حطـــام حويشــة ... لتبـــاع ملحفـــةٌ ويُشـــرى مَحـــزم
وتفــــرج المتفيقـــــون فـــــلا دمٌ ... يغلـــى، ولاقلــــمٌ يـــذود ولافـــم
لم تنفقــئ خجــلاً عيــون أبصـــرت ... وجــه الكريــم بكــفٌ وغـــد يُلطـــم
ونجـوت منجـى المؤمنـين حُشاشـتي ... ويـــدي، وســـيف في فمـــي يتثلـــم
يابن الشـمال: ومثـلُ ذنبـك أن تُـرى ... متأبيـــاً فيمـــــا تســـاس وتحكـــم
ماكـــان ذنـــبي غـــير أنـــي لم أطـــح ... إذ كـــل ثبــــت طـــائح متهـــــدم
يـابن الشـمال: وقـد رأيـت مصـيره ... ومصـــــيرُه عظـــــة لمـــــن يتفهـــــم
بئـس الشـماتةُ شـيمة ولـــو أنهـــا ... إذ يغتلـــى جـــرحٌ تعفـــن بلســـم
حســـب الجريمـــة ميتـــةٌ مرذولـــةً ... كفـــارةً عمـــــا أتــــاه المجــــرم

يأيهـــا الجبـــل الأشـــمُّ تجلـــة ... ومقالـــةَ هـــي والتجلـــةُ تـــوأم
شـــعب دعائمـــه الجمـــاجم والـــدم ... تتحطـــــم الدنيـــــا ولايتحطـــــم

أرح ركابك

* ألقاها الشاعر في الحفل التكريمي الذي أقامته له وزارة الإعلام مساء يوم الجمعة الثالث من شهر كانون الثاني عام ١٩٦٩، في كازينو "صدر القناة" ببغداد على إثر عودته من مغتربه في تشيكوسلوفاكيا، بعد غياب طال أكثر من سبع سنوات.

* وقد شارك في الحفل على الصعيدين الرسمي والشعبي عدد وفير من الخطباء والشعراء.

أرحْ ركابَك من أينٍ ومن عثَرِ ... كفاك جيلان محمولاً على خطر[١٣٦]
كفاك موحِشُ دربٍ رُحتَ تقطعُهُ ... كأنّ مغبرَه ليلٌ بلا سَحَر
ويا أخا الطير في وِرْدٍ وفي صَدَرِ ... في كل يومٍ له عُشٌ على شجر[١٣٧]

---

(١٣٦) ـ الأين: التعب والإعياء.

(١٣٧) ـ الورْد: هو أن ترد المياه لتشرب منها، والصَدَر: هو أن تصدر عنها -أي ترجع- بعد ذلك.

عُريـانَ يحمــل مِنقــاراً وأجنحــةً أخـفُّ مـالمّ مـن زادٍ أخـو سَـفَر
بحسبِ نفسِك ماتعيا النُفوسُ بـه من فـرط منطلَقٍ أوفـرط منحـدر[١٣٨]
أناشدٌ أنـت حتفـاً صنـعَ منتحـرِ أم شابكٌ أنـت، مغتراً، يـدَ القـدر
أم راكـبٌ مـتنَ نكبـاء مطوحـةٍ ترى بديلاً بها عن نـاعم السُرر[١٣٩]
خفِضْ جَنـاحيكَ لاتهـزأ بعاصفـةٍ طوى لها النَسرُ كشحيه فلم يَطِر[١٤٠]
ألفى لـه عِـبرةً في جؤجـؤ خضِـبٍ من غيره،وجَناحٍ منه غيرمنكسر[١٤١]

ياسـامرَ الحـي بـي شـوقٌ يرمِضـني إلى اللَذات، إلى النجوى،إلى السَمر[١٤٢]
ياسـامر الحـي بـي داءٌ مـن الضجـر عاصـاه حتـى رنـينُ الكـأس والوتـر
لاأدَّعـي سـهرَ العشـاق يُشـبعُهُمْ ياسـامرَ الحـي بـي جـوْع إلى السـهر
ياسـامر الحـي حتـى الهـمُّ مـن دأبٍ عليـه آب إلى ضـربٍ مـن الخـدر
خـلاف مـاابتُدعت للخمـر مـن صُـور وجدتهـا زادَ عجـلان ومنتظـر
كـأنَ في الحَبَـب المرتـجّ مفترقـاً مـن الطريـق علـى ساهٍ ومدكـر[١٤٣]
ياسـامر الحـي إنَ الدهـرَ ذو عجـب أعيـت مذاهبُـه الجلّـى علـى الفِكَـر
كـأن نُعمـاءه حبلـى بأبؤسِـه من ساعةِ الصفـو تـأتي ساعةُ الكـدر

---

(١٣٨) ـ بحسبك الشيء: كفايتك منه. تعيا: تتعب أوتضيق.
(١٣٩) ـ النكباء: الريح.
(١٤٠) ـ الكشح: مابين الخاصرة إلى الضلع الخلفي.
(١٤١) ـ الجؤجؤ: الصدر.
(١٤٢) ـ يرمضني: أي يحرقني. اللذات: جمع لدة، وهو قرينك في السن.
(١٤٣) ـ الحبب: الفقاقيع تطفو على سطح الخمر أعلى الكأس.

تنـدسُ في النَشـواتِ والحُمـسِ عـائذةً ... هذي فتُدركها الأخرى على الأثر[١٤٤]
ينغِـص العيـشَ أنّ المـوْتَ يُدركـه ... فنحـن مـن ذيـن بـين النـاب والظُفـر
والعمـرُ كـالليل نحييـه مغالطـةً ... يُشكى من الطول أو يشكى من القِصـر
ويـاملاعبَ أترابـي بمنعَطـفٍ ... مـن الفرات، إلى كوفـانَ فـالجزُر[١٤٥]
فالجسرُ عـن جانبيـه خفْقُ أشـرعةٍ ... رفَافـةٍ في أعـالي الجـو كـالطُرَر[١٤٦]
إلى "الخورنـقِ" بـاقٍ في مسـاحبه ... مـن ابـن مـاء السـما مـاجرَ مـن أزُر
تلكـم "شـقائقه" لم تـأل ناشـرةً ... نوافـج المسـك فضَـتها يـد المطـر[١٤٧]
بيضـاءَ، حمـراءَ أسـراباً يمـوج بهـا ... ريشُ الطواويس، أو مَوْشيةُ الحَبَر[١٤٨]
لـلآنَ يُطـرب سمعـي في شـواطئه ... صدحُ الحمام،وثغيُ الشاء والبقر[١٤٩]

---

(١٤٤) ـ الحمس: الهائجة والبيت مرتبط بسابقه، والقطعة حتى البيت:

والعمـر كـالليل تحييـه مغالطـة ... يشكي من الطول أو يشكي مـن القصـر

تصور حدة القلق الذي استحوذ على الشاعر وهو في غربته.

(١٤٥) ـ هذه القطعة حتى البيت:

فتـادهن إلى حـرب علـى الضجـر ... فيصلحـن علـى حربـي مـع الضجـر

استعراض وابتعاث لذكريات الشاعر في طفولتـه، وفي صباه وفي يفاعـه في مدارج "النجف" و"الحيرة" ومنعطفات الفرات وجزره وفي رملة "الكوفة" وملاعبها، وتذكر الصور الشاخصة منها والباهتة على حد سواء. ففيها خفق أشرعة السفن الراسية على ضفاف الفرات حيث كانت الأسر النجفية -ومنها أسرة الشاعر- تنتقل إلى "الجسر" وهي المدينة الجميلة الرابضة على شواطئ الفرات والمسماة بهذاالاسم. وفيها تعريج على شقائق النعمان التي ماتزال حتى اليوم تنتشر بكثرة في وديان الحيرة ومساحبها منسوبة إلى النعمان نفسه.

(١٤٦) ـ الطرر: جمع الطرة وهي جانب الثوب وطرفه.

(١٤٧) ـ النوافج: جمع نافجة وهي وعاء المسك.

(١٤٨) ـ الحبر: نوع من القماش موشى.

(١٤٩) ـ الثغي: الثغاء وهو صوت الشاة والبقر.

والرملةُ الدمثُ في ضوءِ من القمر ... والمدرجُ السَمحُ بين السُوحِ والحَجر[150]
ياأهنأ الساعِ في دنياي أجمعِها ... إذا عددتُ الهنيءَ الحلوَ من عُمُري
تصَوبي من علِ حتى إذا انحدرت ... بي الحتُوفُ لذاك الرمل فانحدري[151]
تُمحى الغضارات في الدنيا سوى شفقٍ ... من الطفولة ـ عذبٍ مثلِها ـ غضر
وتُستطار طيوفُ الذكريات سوى ... طيفٍ من المهد ـ حتى اللَحد ـ مدكَر
في "جنَة الخلد" طافت بي على الكبر ... رؤيا شبابٍ، وأحلامٍ من الصِغَر
مجنَحاتُ أحاسيسٍ وأخيلةٍ ... مثل الفَراشات في حقل الصِبا النضِر
أصطادهنّ بزعمي وهي لي شركٌ ... يصطادُني بالسنا واللطفِ والخَفَر
أقتادُهنّ إلى حربٍ على الضجر ... فيصْطَلحن على حربي مع الضجر

رأيتُم كيف هان الصبرُ عندكمُ ... وكيف كان على اللأواء مصطَبري[152]
وكيف زُرَتْ على الإيمانِ مِدرعتي ... وكيف تاه على ديباجكم وَبَري[153]
يا"دجلة الخير" نحنُ المتلين غنىً ... بنا انعطافٌ على ملآنَ مفتقِر
واللّهِ لو أُوهَبُ الدنيا بأجمعِها ... مابعتُ عزِي بذُك المتْرَفِ البطِر
قالوا يظنُون بي شيئاً من الصِغَر ... فقلت فيهم وبي شيءٌ من الصَعَر[154]
رثيت للعقرب اللّدغى جبلّتُها ... لفرط ماحُمِلت سُماً على الإبر[155]

---

(150) ـ الدمث: الناعمة.
(151) ـ تصوبي: نقيض "تصعدي"، أي انزلي من عل، ثم "انحدري".
(152) ـ اللأواة: الشدة.
(153) ـ المدرعة: لباس بسيط من الصوف رخيص الثمن.
(154) ـ اصعر:الكبر والزهو.
(155) ـ اللدغى: يريد التي تلدغ وهي من "تنبيهات" الشراح في طبعة بغداد.

لــولا مغبّــةُ مـــاتَجني ذُنابَتُهـــا	لقلـت: رفقـاً بهـذا الزاحِــف القَـذِر
وياسُـقاةَ النــدى مــن كــل منسـجمٍ	والأريحيات، معسول النثا عطِر(١٥٦)
يــاصفوةَ البلــدِ الزاهــي بصفوتــه	وياأســاريرَ وعــيٍ فيـــه منتشِـــر
ضممتـم المجـدَ مـن أطرافـه زُمـراً	تُضفـي علـيَّ سـناها صفـوةُ الزمـر
من كـلِ لـونٍ كريـمٍ مشــرقٍ خَضِـلٍ	كمـا تَلَـوَنُ حسـناً باقـةُ الزهـر(١٥٧)
معتّقشـين سُـلافَ الحـرف ناضجــةً	نُضجَ ابنةِ الكرْمِ فيه ابنـةُ الغـرر(١٥٨)
عـذراً لأكؤسـكم كأســي بهـا وَشَـلٌ	خجلانُ من مُـترعِ الحافـات مزدخـر
مــاكنت بــالعيِ لجلاجـاً بمجتمـعٍ	ولابهيّابـــةٍ في منطـــقٍ حَصِـــر
ولم يَــدَعْ ليَ كــرُ الدهــرِ مــن وطـــر	ولاالمحـاذيرُ قـد مارسـتُ مـن حــذر
لكـن وجـدتُ جميـلَ الصنـع مبتكَـراً	مــاإن يُوفَــى بقــولِ غــيرِ مبتكَــر
وقــد يضيــق بشــكر المفضِلــينَ فـــمٌ	حتــى يُغطــي عليــه عــذرُ معتــذر

---

(١٥٦) ـ في هذهالقطعة حتى البيت الأخير منها:

وقــد يضيــق بشـــكر المفضلـــين فـــم   حتـــى يغطـــي عليـــه عـــذر معتـــذر

تنويه: بفضل المقيمين حفل التكريم، والمساهمين فيه، وبلطف الأدباء والكتاب والشعراء الذين شاركوا فيه كل منهم بدوره، وبما سمحت ب عواطفه الكريمة.

(١٥٧) ـ خضل: مبتل، ندي.

(١٥٨) ـ سلاف: الخمر.

رسالة مملحَة

* أرسلها الشاعر من "براغ" في شهر أيار من عام ١٩٦٩، مـن مشـارف "سلوفانسكي دوم". وتعني بالعربيـة "البيـت السـلوفاكي"، إلى الفريـق الركن صالح مهدي عماش وزير الداخلية آنذاك، ونشرت في جريدة "النـور"، العـدد ١٦٩ في ١١ أيار ١٩٦٩

وفّـــى لهـــا نَـــذراً فوافـــى ... وســـعى بهـــا ســـبعاً وطافـــا[١]
ورمـــى بهـــا الجمـــراتِ مـــن ... قلـــبٍ تعلقهـــا شَـــغافا[٢]
عـــاد الحجيـــجُ وقـــد ســـعى ... وســـعى ويـــأبى الإنصرافـــا
يتلمـــسُ الحجُـــرات يعـــ ... ـرفهـــنَّ قرِبـــى وازدلافـــا[٣]
ويـــرى بكـــلِّ ثنيَّـــةٍ ... بعثـــاً لذكـــرى واكتشـــافا

---

(١) الضمير في "لها" يعود إلى براغ.

(٢) رمي الجمرات: رمى الحصى وهو منسك من مناسك الحج، الشغاف (بفتح الشين): غلاف القلب.

(٣) الازدلاف: التقرب.

عَريـــت فراحـــت بالنديـــ	ـفِ البـضّ يتدثـرُ التحافـا(٤)
حتـى المسـارحُ في الكُـوى الـ	ـخفـراتِ يخفقـنَ ارتجافـا(٥)
وشـتا بهـا وكأنـه	لم يشـتُ قبـلُ، ولا أصافـا(٦)
متنظـراً عـرسَ الربيـ	ـعِ لعلـه يرعـى الزفافـا(٧)

آهٍ علـى "ابـن العبـدِ" إذ	يتـبرّض اللهـوَ اشـتفافا(٨)
يهـوى "الطـرافَ" و"بهكنـا"	بضّـا، وأن يحمـي المضافـا(٩)
لـو عـاد لاختصـر المسـافا	لدنـا، وحيّـا، واسـتضافا(١٠)
لـرأى لـه وسـط الجبـا	ل الخضـر مـن ثلـجٍ طِرافـا
لاعتـاضَ عـن حَلَـبِ العصيـ	ـرِ مشـى بـه عِلـجٌ ودافـا(١١)

---

(٤) النديف: يريد الوفر (من الثلج).

(٥) المسارج: جمع مسرجة. الكوى: جمع كوة وهي منفذ في الجدار.

(٦) شتا: أقام فيها أيام الشتاء. أصاف: أقام أيام الصيف.

(٧) المتنظر: المنتظر.

(٨) "ابن العبد" هو الشاعر الجاهلي طرفة صاحب المعلقة:

لخولـة أطـلال ببرقـة ثهمـد	تلـوح كبـاقي الوشـم في ظـاهر اليـد

والإشارة هنا، في هذه القطعة إلى أبياته فيها:

فلولا ثـلاث هـنّ مـن عيشـة الفتـى	وحقـك لم أحفـل متـى قـام عُـوّدي
فمنهـن سـبقي العـاذلات بشـربة	كميـت متـى مـاتعل بالمـاء تزبـد
وكـري إذا نـادى المضـاف محنبـا	كسـيد الغضـا نبهتـه المتـورد
وتقصير يوم الدجن - والدجن معجب -	"ببهكنـة" تحـت الطـراف المعمـد

وتبرض الروض تبرضا: اشتفه اشتفافاً أي تعاطاه بنزازة وبقلة.

(٩) الطراف: الخيمة والطنب، أو البيت من الأدم، وهو الجلد. البهكنة: المرأة السمينة الجميلة.

(١٠) المساف: المسافة.

(١١) حلب العصير: يراد به الخمر.. المحلوبة من عصارة العنب. العلج: في الأصل السمين الغليظ واستعير لأبناء الأقوام من غير العرب وغير المسلمين منهم بخاصة ويريد به الساقي. داف: مزج وخلط.

حلبـــا تقطـــرَ مـــن شـــفا	ه الغيـــدِ يُعتَصَـــرُ انتزافـــا[١٢]
وعـــن "البهـــاكِن" كـــلٌّ رو	دٍ تَســـرج الليـــلَ الغُدافـــا[١٣]

أ"أبـا هُـــدى" شـــوقٌ يُلـــحُّ ولا	عـــجٌ يُذكـــي الشِـــعافا[١٤]
شـــوقَ المَبـــارحِ لم يغيّـــــ	ـــيره البعـــادُ، ولا تجـــافى
يـــامنتج الـــدرر الحِســـا	ن مَعانيـــاَ غـــرّاً ظِرافـــا
يقطـــرن إبداعـــاً، وإيـــــ	ـثـــاراً وحبـــاً، وانتصافـــا[١٥]
-نَبئـــتُ أنـــكَ توســـع الـــ	أزيـــاء عَتـــاً، واعتســـافا[١٦]
تقفـــو خطـــى المتأنقـــا	تِ كســـالكِ الأثـــر اقتيافـــا[١٧]
وتقيـــــس بالأفتـــــار أر	ديـــةً بحجّـــةِ أن تَنـــافى[١٨]
مـــاذا تَنـــافي؟ بـــل ومـــا	ذا ثَـــمَّ مـــن خلَـــق يُنـــافي؟
حوشـــيتَ، أنـــت أرقُّ حـــا	شـــيةً، ولطفـــاً، وانعطافـــا[١٩]
وأشـــدُّ لِصقـــاً بـــالحجى	وألـــدُّ بـــالعدل اتصافـــا[٢٠]
أتـــرى العفـــاف مقـــاس أقـــ	ـمشـــة؟ ظلمـــتَ إذن عفافـــا

(١٢) يعتصر انتزافا: يؤخذ كله من "نزف البئر" إذا استخلص ماؤها.
(١٣) الرؤد من النساء: الشابة الحسنة وقد سهل الشاعر الهمزة جرياً على الاستعمال. تسرج: تنير. الغداف: الأسود.
(١٤) أبو هدى: كنية السيد "عماش". الشعاف (بكسر الشين): جمع شعفة (بالتحريك) وهي ملتقى نياط القوب، ويذكي الشعاف: يشعلها.
(١٥) الانتصاف: هو الأخذ بالعدل للحقوق المغصوبة، أي الانصاف.
(١٦) العت: كالعنت أي التشدد والتعنت. الاعتساف: التعسف والظلم.
(١٧) تقفو: تتبع. الاقتياف: هو التعرف على مسالك السالكين من تتبع خطاهم على الأرض. المقتافون: الفئات المتخصصة بذلك.
(١٨) الافتار: جمع فتر (بكسر الفاء) وهو مابين طرفي السبابة والإبهام إذا فتحتهما. تنافى: تتنافى والتقاليد.
(١٩) الانعطاف: العطف.
(٢٠) الحجى: العقل. الد: أشد، يقال: رجل شديد لديد.

في الضمـــــــائر لا تَخـــــــا ... ط ولا تقـــصٌ، ولا تكـــافى[٢١]
مـــن لم يخـــف عُقبـــى الضميـــ ... ـــر فمِـــن ســـواه لـــن يخافـــا

ياقــــائدَ الجيــــش اقتحامـــــاً ... والتحامـــــــاً، والتفافـــــــا[٢٢]
طـــوِّق جهـــالاتِ الحمــــى ... والعنعنــــاتِ بـــه الجزافـــا[٢٣]
وتقـــصَّ كـــلَّ جذورهـــنَّ فـــلا ... القـــــويَّ، ولا الضعافـــــا
أشِـــع الحيـــاةَ ولطفهـــا ... في موطـــن يشـــكو الجفافـــا
أقـــوى فـــلا المـــرحَ اســـتجدّ ... ولا الصُـــداحَ، ولا الهتافـــا[٢٤]
وخـــلا كمـــا تخلـــو الفيـــا ... في غـــيرَ أتربـــةٍ تسَـــافى[٢٥]

يـــامن رأى فلـــك النجـــو ... م مشـــى بـــأكوابٍ وطافـــا[٢٦]
هـــذي الصحـــافُ مـــن الزَبـــر ... جـدِ رُحـن يحمِلـن الصِحافـا[٢٧]
ســـاعاً علـــى ســـاعٍ وقـــو ... فـــاً وانتشـــاراً، واصطفافـــا
ينعَمـــنَ بـــالكدح الشريـــ ... ـــف يوفـــر العيـــشَ الكفافـــا
الســـاحراتُ فمـــن يـــردُّك أن ... يطـــرن بـــك اختطافـــا
والناعســـاتُ فمـــا تحـــسُّ الطـــ ... ـــرفَ أغفـــى، أم تغـــافى
والنـــاهدات يكـــاد مـــا ... في الصـــدر يُختطَـــف اقتطافـــا

---

(٢١) تكافى: تكفّ أي تطوى ويخاط عليها.
(٢٢) القطعة خطاب للسيد عماش بصفته العسكرية ـ فريق أو ركن ـ بعد أن كانت مخاطبته في القطعة السابقة بصفته الأدبية والشاعرية.
(٢٣) الجزاف: التي لا أساس لها وغير صحيحة.
(٢٤) أقوى: أقفر.
(٢٥) الفيافي: الصحارى. تسافى أي تحمل الرمال وتلقيها.
(٢٦) المراد بـ "فلك النجوم" السقاة في مشرب "سلوفينسكي دوم" في "براغ" ويوضح ذلك بقية البيت.
(٢٧) الصحاف من الزبرجد: كناية عن الساقيات الحسان.

والخـــــيّراتُ النــــــاذرا ... تُ النفــسَ للطيــب اعتكافــا
هــديُ المســيح إلى الســلا ... م علــى العيــون طفــا وطافــا
ودمُ الصليــب علــى الخــدو ... د يكــادُ يُرتشــف ارتشــافا
علقــــن في أوســـاطهنّ ... مــآزراً بيضــاً، خفافــا[٢٨]
قــدر المســافِ مظنــة ... أو لا فمــن يــدري المســافا
ورددنهـــنّ إلى الظهـــو ... ر فكــن أردفــةً رِدافــا
ســاءلتُ نفســي لا أريـــ ... ــد لهــا عــن "النحــو" انصرافــا
أتــرى "المضــافَ إليــه" أحـ ... ــلى أم عَلاقتــه المضافــا
أحكمــن جارحــةً فجــا ... رحــةً رســوخاً وانعطافــا
مــايعلُ يعــلُ الكائنــا ... ت ومــا يحُــط فقــد أنافــا

أ "أبــا هــدى" إن كنــتُ مُتّهمــاً، ... فخــذ مــني اعترافــا
إنــي ورب صــاغهن كمــا اشـــ ... ــتهــى، هيفــاً لطافــا
وأدقهــن ومــا ونــى ... وأجلهــن، ومــا أحافــا[٢٩]
لأرى الجنــانَ إذا خلــت ... منهــن أولى أن تعافــا[٣٠]
لــو قيــل مــا سـفر الحيــا ... ة؟ لقلــت: مــاكن الغِلافــا[٣١]
أو قيــل: كيــف الحــبٌّ قلـــ ... ــت بــأن تــداءَ فمــا تشــافى[٣٢]

---

(٢٨) البيت والأبيات الأربعة بعده وصف للزي الموحد الذي يرتديه الجنس اللطيف في المشارب والمقاهي والمطاعم.

(٢٩) الونى: التعب. أحاف: جار وظلم، ويريد حــاف، وهي من تنبيهات الشراح في طبعة بغداد.

(٣٠) تعاف: تهجر.

(٣١) سفر: كتاب.

(٣٢) يداء: أي يصاب بالداء وبالمرض. تشافى: تبرأ من المرض.

السبعينات

لمّي لهاتيك لمّا...

*نظمت عام ١٩٧٢ في براغ.

*نشرت في جريدة "الثورة"، العدد ١٤٠٤ في ٢٢آذار ١٩٧٣.

لُمّـــي لَهـــاتَيْكِ لَمّـــا وقرّبـــي الشَـــفتين

لُمّـــا علـــى جمرتـــين بـــالموتِ ملمومتـــين

يـــاحلوةَ المشـــربينِ مـــن أيـــن كـــان.. وأيـــنِ

مـــن صنـــع كِـــذْبٍ ومَيْـــنِ سمَوْهُـــم زهرتـــين

لـــمّي لهـــاتيك لـــمّا وقرّبـــي الجمرتـــين

وبـــاعدي الخَصْلتـــينِ إمّـــا نظـــرتُ بعيـــني

فـــــالموتُ أقـــــربُ ممّـــــا ... بـــين الجديـــــل وبـــــين[159]
يـــــــاحلوةَ المشـــــــربين ... مـــن أيـــنَ كـــانَ.. وأيـــن
أتثـــــــأرين بذَيْـــــــن؟ ... إن أنـــتِ حتفـــي.. وحَيْـــني

لّـــــي لهـــــاتيك لّـــــا ... وقرّبـــــي الزهرتـــــين
جمـــــراً يُقطّـــــر سُـــــمّا ... ياثـــــالثَ الكوثريـــــن
مـــــاأطيبَ السُـــــمَ طعمـــــا ... شـــــربْتُهُ مرتـــــين
فزادنـــــي "أُقَتـــــين" ... دمـــــاً... ولحمـــــاً.. وعظمـــــا
لّـــــي لهـــــاتيك لّـــــا ... وقرّبـــــي "المعبَدَيْـــــن"

ربّـــــين مُستعبـــــدَين ... يُجدِفـــــان عليـــــك[160]
فيمـــــا تجنيـــــتِ إثمـــــا ... ممّـــــا.. وممّـــــا.. وممّـــــا
يـــــاحلوةَ المشـــــربين ... مـــن أيـــن كـــان.. وأيـــن
لاتحـــــذري اللعنتـــــين ... فثَـــمَّ طـــوعُ يديـــك
مـــن يُوسِـــعُ الإثْـــم لثمـــا ... والجمـــرَ ضمّـــا.. ولَمّـــا

ويَســـــتنيبُ إليـــــك..!

يـــــابنت هـــــذا البُدَيْـــــن ... يَـــــتيه بـــــالأغيدَين
فُوَيقـــــهِ.. والدوَيْـــــن ... أتؤمنـــــين بذَيّـــــن

---

(١٥٩) ـ الجديل: الشعر المضفور.
(١٦٠) ـ يجدفان: يختلفان ويتخرصان.

أم تثـــــأرين بدَيْـــــــن أم أنــــتِ حتفـــي وحَيـــني

لّـــــي لهــــاتيك لَمّـــــا وقرّبــــــي الشّــــــفتين
بــــابين للجنتـــــين والمــــوت مــابين بــــين
يـــــاحلوةَ المشــــــربين مــن أيــن كــان.. وأيــن
بُلّــــي بـــــذاك "اللُّسَـــــيْن" فمـــا تغشـــته حُمّـــى[161]
كسِــنٍّ رُمــــحِ رُدَيْـــني لم يُـــــروَ إلا ليظمـــــا

يـــــاأعذبَ الميتـــــين إن تبـــدُ وَهْنـــا لعيـــني[162]
أســـطورةُ المــــوت وهمـــا فالســـــر في الخُدْعَتَيْـــــنَ
إنـــــي حَبَبْتُـــك جمّـــا حُـــبَّ الـــثّرى للمُزَيْـــن[163]
فمـــا أبـــالي بحـــين مالامســـــت إصبَعَيْـــــن
منـــكِ اليــــدان اليديـــن

أقسَـــــمتُ بالشـــــمعتين مـــن عســـجدٍ.. ولجـــين
بتينــــكِ الوجنتـــــين نجـــم يضــــاحك نجمـــا
أقســــمتُ بــــالقِبْلتين بتينـــــكِ الإصبَعَيْـــــن
زَمّـــا شـــــفاهي زمّـــا أن تَلْفِــــظَ "الدُرَتـــــين"

---

(161) ـ تغشته: غشيته، أصابته وانتابته.
(162) ـ وهنا: وقتا.
(163) ـ المزين: مصغر مزن وهو جمع مزنة.

إنـــي أحبـــك.. علمـــا   بهُجْنَـــــةِ "الكِلْمتــــين"!
أقســمتُ بــالكون طُـــرَىً   صـــدراً.. ونهـــداً.. ونحـــرا
ومرتقـــــى.. ومجـــــرى   دنيـــا تُعـــاشُ... وأخـــرى
إنـــي عـــن الكـــون أعمـــى   وأنـــت لي ألـــفُ عـــين

أزح عن صدرك الزبدا...

*ألقى الشاعر قسماً منها في الحفل الذي أقامته جمعية الرابطة الأدبية في النجف مساء الخميس الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٧٥ على قاعة الاجتماعات، لتكريمه بمناسبه منحه جائزة اللوتس.

*نشر هذا القسم في مجلة "الرابطة" العدد الخامس من السنة الثانية، تشرين الثاني ١٩٧٥.

*أضاف إليها ونشرها في صورتها الأولى في الملحق الأسبوعي لجريدة "الجمهورية"، العدد ٢٤٨٣ السبت ٨تشرين الثاني ١٩٧٥

*ثم نشرت على صورتها الأخيرة في مجلة "الديار" اللبنانية، العدد١٢٨ من١٥-٢١ آذار ١٩٧٦ بالعنوان نفسه.

أزِحْ عـــن صـــدرِكَ الزَّبـــدا ودعْـــهُ يُبـــثُّ مـــاوَجَدا[164]
وخـــلِّ حُطـــامَ مَوْجِـــدةٍ تنـــاثَرُ فوقَـــهُ قِصَـــدا[165]
ولاتحفِـــلْ فشِقشِـــقةٌ مَشــت لــك أن تَجيــشَ غــدا[166]
ولاتكبِـــتْ فمِـــن حِقـــبٍ ذممـــتَ الصـــبرَ والجلـــدا

أزِح عـــن صـــدرك الزَّبـــدا وقـــلْ تُعِـــدِ العُصُـــورُ صـــدى
أأنـــت تخـــافُ مـــن أحـــدٍ أأنـــت مصـــانِعٌ أحـــدا
أتخشـــى النـــاسَ أشـــجعُهُمْ يخـــافُك مغضبـــاً حَـــرِدا[167]
ولايعلـــوكَ خـــيرُهم ولســـتَ بخـــيرهم أبـــدا
ولكـــنْ كاشـــفٌ نَفَســـاً تُقيـــم بنفسِـــها الأوَدا[168]
كنســـجِ الـــدرع واثقـــةً بكـــون عُيوبِهـــا الـــزَرَدا[169]
ســـيُطريها إذا انتقـــدت مســـاوئها، مـــن انتقـــدا

تركـــتَ وراءَك الدنيـــا وزُخرُفَهـــا ومـــاوَعَدا
ومامنَّـــتْكَ مثقلـــةً بمـــا يُغريـــك أن تلـــدا
ورُحـــتَ وأنـــت ذو ســـعةٍ تُجيـــعُ الأهـــلَ والوَلَـــدا

---

(164) ـ وجْد: هنا من الموجدة وهي الغضب.
(165) ـ القصد: جمع قصيدة (بالكسر)وهي القطعة والكسرة.
(166) ـ الشقشقة: مايخرج من فم البعير إذا هاج. تجيش: تهيج وتغلي.
(167) ـ الحرد: الغضبان.
(168) ـ الأود: العوج.
(169) ـ الزرد: الحلق التي تتألف منها الدرع.

وتطمــــعُ تَجمــــعُ القمريـــــ ـــــن فخرُهُمـــاْ أن انفـــردا[170]
ولـــــولا ذا لمــــــا وُجــــدا ولـــو وجـــدا لمـــا افتُقـــدا
عجيــــب أمـــرك الرجـــرا ج لاجَنَفـــاً ولاصَـــدَدا[171]
تَضيـــق بعيشـــةٍ رغـــدٍ وتهـــوى العيشـــةَ الرغـــدا
وترفـــضُ مِنـــةً رَفْهـــاً وتبغِـــضُ بُلغـــةً صـــردا[172]
وتخشـــى الزُهـــدَ تَعْشَـــقُهُ وتعشـــق كـــلَّ مـــن زهِـــدا
ولاتقـــوى مصـــامَدَةً وتعبُـــد كـــلَّ مـــن صَمَـــدا
ويدنـــو مطمـــحٌ عَجَـــبٌ فتطلُـــبُ مَطْمَحـــاً بَعُـــدا
ويدنـــو حيـــثُ ضِقْـــتَ يـــداً وضِعـــتَ سُـــدى وفـــات مـــدى
وهَبْـــك أردتَ عودَتَهـــا وهَبْـــك جهـــدتَ أن تجـــدا
فلســـتَ بواجـــدٍ أبـــداً علـــى "السَـــبعين" مَـــافقِدا

أزِح عـــن صـــدرك الزبـــدا ولاتتنفـــس الصُعَـــدا
ولاتحـــزَن لأن قطعـــتْ يـــداك الزنْـــدَ والعَضُـــدا
وأن العيـــشَ منهـــزةٌ وأن التضحيـــاتِ ســـدى
وأنـــك تُطعِـــمُ الأيـــا مَ يـــومَ الأحمقـــين غـــدا
أزِحْ عـــن صـــدرك الزبـــدا وهَلْهِـــلْ مُشـــرِقاً غَـــرِدا
وخـــل "البـــومَ" ناعبـــةً تقـــيءُ الحقـــد والحســـدا

---

(170) ـ القمران: الشمس والقمر.
(171) ـ الجنف: الميل والجور. الصدد: الإعراض.
(172) ـ المنة الرفه: العطاء الواسع. البلغة الصرد: مايتبلغ به من زاد قليل.

مخنثـــــة فـــإن وُلـــــدت ... علـــى "ســقْط" فلـــن تلـــدا
ســيُنهي "الفجـــرُ" وحشـــتَها ... ويُلحِقهـــــا بمــــن طَـــرَدا

وصَلْـــفٍ مُـــبرق خَتَـــلاً ... فـــإن يَـــرَ نُهـــزَةً رَعَـــدا
يـــزورُك جُنْـــحَ داجيـــةٍ ... يُزيـــر الشـــوقَ والكَمَـــدا
فـــإن آدتْــــكَ جائحــــة ... أعـــان عليـــك واطـــردا[173]
مشـــى بلســـانهِ شـــللٌ ... ورانَ عليـــه فـــانعقدا[174]
يمـــزِّقُ فيـــك مُجْتَمِعـــا ... ويُسْـــمِنُ منـــك منفـــردا
فليـــت مشـــاهداً خَرِســـا ... فـــداءُ مغيـــب شُـــهدا

وغـــافين ابْتَنَـــوا طُنُبـــا ... ثـــوَوا في ظِلِـــه عَمَـــدا[175]
رضُـــوا بـــالعلم مرتفقـــا ... وبـــالآداب متّســـــدا[176]
وجـــابوا عـــالم الفصحـــى ... ولُـــوا منـــه ماشَـــرَدا[177]
فهـــم إن عُمّيَـــتْ سُـــبُلٌ ... يَـــروْن اللاحـــبَ النَجَـــدا[178]
هـــم لايبسُـــطونَ يـــداً ... تَمِـــيزُ الغَـــيَّ والرشـــدا

---

(١٧٣) ـ آد: أثقل. الجائحة: الشدة والنازلة العظيمة.
(١٧٤) ـ ران: غطى.
(١٧٥) ـ الطُنُب (بضمتين): في الأصل الحبل وكني به عن البيت. العَمَد: (بفتحتين): اسم جمع للعمود.
(١٧٦) ـ المرفق: مايتكأ عليه بالمرفق. اتسدا: مايتسد عليه.
(١٧٧) ـ جابوا: قطعوا ورجل جوّاب إذا كان قطاعاً للبلاد سياراً فيها. وجابوا عالم الفصحى: أي صاروا علماء فيه لطول مصاحبتهم إياها وعكوفهم عليها.
(١٧٨) ـ اللاحب: الواضح. النجد: المرتفع من الأرض والواضح لارتفاعها.

وهـــم يَرثُـــونَ مـــن صلَحـــوا	وهـــم يخشَـــوْنَ مـــن فسَـــدَا
يَـــــرَوْنَ الحـــــق مهتضَمـــــاً	وقـــولَ الحـــق مضطَهـــدا
وأُمَّ "الضـــــاد" قـــــد هُتِكَـــتْ	وربُ "الضـــاد" قـــد جُلِـــدا
ولايُعْنَـــــــونَ ماســـــــلموا	بأيـــــةِ طعنـــــة نُفِـــدا(١٧٩)
بهـــــم عَـــــوَزٌ إلى مَــــدَدٍ	وأنـــت تُريدهـــم مَـــدَدا؟

أزِحْ عـــن صـــدرك الزَّبَـــدا	ودَعْـــهُ يَبُـــثُ مـــاوَجَدا
وقـــل: يـــانفسُ لاتَـــردي	علـــى أعقـــابِ مـــن وَرَدا
ويـــــاغرراً محجلـــــةً	ســعيتُ بهـــا لمـــن قَعَـــدا(١٨٠)
أثـــرتِ غبـــارَ حَلْبَتهـــا	علـــى صنـــمٍ فمـــا عُبِـــدا
خُـــذي مســـعاكِ واســـتبقي	مســـافَ الشـــوطِ والأَمَـــدا
وعـــــاذِرة إذا عَـــــثَرت	صواهـــلُ تَنشُـــدُ الجَـــدَدا(١٨١)
وحســـبك رَكْعـــةٌ عَرَضَـــتْ	وكـــم مـــن راكـــعٍ ســـجدا

(١٧٩) ـ نَفِدَ: اخترق أي طعن.
(١٨٠) ـ الغرر المحجلة: هي قصائده. · ·
(١٨١) ـ الجَدَد (بفتحتين): الطريق المستوية المسلوكة.

ذكرى عبد الناصر

*تلقى الشاعر وهو في براغ دعوة من لجنة الاحتفال بالذكرى الأولى لوفاة جمال عبد الناصر فنظم هذه القصيدة وألقاها في الاحتفال (بالقاهرة) سنة ١٩٧١
*نشرتها جريدة "الأهرام" في عددها الخاص.

أكْبَرْتُ يومَكَ أن يكونَ رثاءَ ... الخالدون عهدتُهم أحياءَ
أوَ يرزقون؟ أجل، وهذا رزقُهم ... صِنوُ الخلودِ وجاهةً وعطاءَ(١٨٢)
قالوا: الحياةُ: فقلتُ دَيْنٌ يُقتضى ... والموتُ قيل فقلت: كان وفاءَ
ياأيُها النِسرُ المحلِّقُ يتقي ... فيما يميلُ عواصفاً هوجاءَ
ينقضُّ عجلاناً فيفلِتُ صيدُهُ ... ويصيدُه إذ يُحسن الإبطاءَ
أثني عليك وماالثناء عبادة ... كم أفسد المتعبدونَ ثناءَ
دِيَةُ الرجال إساءتان: مقلِلٌ ... وأساء جنبَ مكثِّر وأساءَ

---

(١٨٢) ـ صنو: قرين، مثيل هو والخلودمثلان.

لايعصِمُ المجدُ الرجالَ وإنما — كان العظيمُ المجد والأخطاءَ
لم يخلُ غابٌ لم يحاسَبْ عنده — أسدٌ بما يأتي صباحَ مساءَ
تحصَى عليه العاثرات وحسبُه — مافات من وَثَباته الإحصاءَ
قد كنتَ شاخصَ أمَةٍ نسماتِها — وهجيرَها، والصبحَ والإمساءَ[183]
ألقتْ عليك غياضَها ومروجَها — واستودعتْكَ الرملَ والصحراءَ[184]
كنتَ ابنَ أرضِكَ من صميم ترابها — تُعطي الثمارَ ولم تكن عنقاءَ[185]
تتحضَن السرَاء من أطباعها — وتلُمّ رغم طباعك الضرَاءَ[186]

قالوا: أبٌ بَرٌّ فكانت أمَةً — ألِفاً ووحدك كنت فيها الباءَ[187]
خَبَطَتْ كعشواءِ عُصوراً وانثنت — مهزومةً فأثرتَها شعواءَ
وانصعتَ في سُود الخطوب لئيمةً — تُسدي طلائعَهُ يداً بيضاءَ
وبرِمتَ بالطبقاتِ يحلُب بعضُها — بعضاً كما حلَب الرعاةُ الشاءَ
ووددِتَ لو لم تعترف شرَّيْهما — لاالأغنياءَ بها ولاالفقراءَ[188]
وجهدتَ أن تُمضي قضاءَك فيهما — لتُشيد مجتمعاً يفيضُ هناءَ
أسفاً عليك، فلا الفقير كفيته — بؤساً، ولاطُلتَ الغني كفاءَ
قد كان حولَك ألفُ جارٍ يبتغي — هدماً ووحدَك من يُريد بناءَ

---

(١٨٣) ـ شاخص الأمة: نصبها ورمزها العالي.
(١٨٤) ـ غياض: جمع غيضة وهي ماء يجتمع فينبت فيه الشجر.
(١٨٥) ـ العنقاء: طائر خرافي معروف الإسم مجهول الجسم.
(١٨٦) ـ أطباعها: أطباع الأرض.
(١٨٧) ـ أي أنت كالباء للألف في كلمة "أب".
(١٨٨) ـ تعترف: تعرف.

للّـــهِ صــــدرُك ماأشـــدَّ ضُلوعَـــه	في شـــدّةٍ وأرقَهـــــن رُخـــاء
تلـج السياسـةَ في تنـاقض حالهـا	فتُطـــابقُ العزمـــاتِ والآراءْ(١٨٩)
كـرَاً وإحجامـاً ورقَـةً جـانب	وصلابـــةً وسلاســـةً ودهـــاءَ
ورأيـتَ في "أسـوان" قـدرة سـاحر	يســعى ليوســع ميتــاً أحيــاءَ
وبعثتَـه حيـاً ودُسْـتَ مشـكِكاً	وصَفَعْـتَ همّـازاً بـه مشّـاءَ(١٩٠)
وقَمـرتَ شـرَ مقـامرٍ وكسـبته	وســلبته أوراقـــه الســـوداءَ(١٩١)
وَرَدَدْتَ كيـدَ مكـايدٍ في نحـره	واصطدتـــه بشـــباكِهِ إغـــراءَ
ولففـتَ رأسَ الأُفْعُـوان بذيلـه	وقطَعْتَـهُ وخطبتَهـا بَـتْراءْ(١٩٢)
وصنعتَ معجـزةَ "القنـاة" ورُعتَهـم	وســقيتَهمْ حمَـم الجحيـمِ المــاءَ

وعصرتَ طاقـاتِ الجمـوعِ ورُزْتَهـا	فوجدتَهـــا ولاّدةً عُشَـــراء(١٩٣)
وجَسَسْـتَ أوتـار النفُـوس فوقَعـت	لـك طُوَّعـاً أنغامَهـا السـمراء(١٩٤)
ألقـتْ إليـك قُلوبَهـا وعُروقَهـا	سمحـاءَ ماشـاء النـدى معطـاءَ
فـإذا نَطَقْتَ ملكـتَ مهجـةَ سـامع	وخشـــوعها والســـمع والإصغـــاءَ
وإذا سـكتَّ أشـاع صمتُـك رهبـةً	حتـى يُخـالَ كتيبـةً خرسـاءَ(١٩٥)
يـامصرُ يـاحُلم المشـارق كلِّهـا	مُـذ عـانت الأحـلام والأهـواءَ

---

(١٨٩) ـ تطابق: تساوي.
(١٩٠) ـ همّاز مشاء: نمام.
(١٩١) ـ قمرت: غلبت.
(١٩٢) ـ وخطبتها بتراء: شديدة.
(١٩٣) ـ العشراء: الحامل لعشرة أشهر أي مكتملة الحمل منتظرة النتاج، كناية عن النضج.
(١٩٤) ـ طوع: جمع طائع.
(١٩٥) ـ الكتيبة الخرساء: الكتيبة: الجيش، الخرساء: الداهية.

يابنتَ "نيلك" من عذوبة جرسِهِ نغمــاتُ جـــر رفَّـــةً وصفـــاء
وربيبـةَ "الهرمـين" شـاخا إذ همـا يتبنَيـــانِكَ صبـــوةً وفَتـــاء
تلْقِـينَ في السَـراء سـحرَكِ كلَّـه وتموعـــين بصـــبرك الضَـــراءَ
وتمونـين الدهـر سـبعاً خِصبـةً يُكفَـى بهـا سـبعاً لـه جدبـاءَ
مشت القرونُ، وخلَّفت أسحارها ترمـي عليـك الطـلَّ والأنـداءَ
والصبحُ يصبـغُ وجنـةً مشـبوبةً والليـلُ يكحُـل مقلـةً وطفـاء[١٩٦]
والشـمس تلفَحُ سُـمرةً عربيـةً والنجـم يُرقِـص قامـةً هيفـاءَ
ودَرَجتِ في حَقْـل "الحضارة" غَضّـةً وبدأتِـه تفَاحـةً خضـراءَ
يـامصرُ أحرفُـك الثلاثـةُ كـنَّ لي لـولا الغلـوُ الوجـدَ والإغمـاءَ
عشـرين عامـاً لم أزرْكِ وسـاعةٌ منهـنَ كـانت منيـةً ورجـاءَ
لِـمْ؟ لسـتُ أدري غـير أنَ قصـائداً عشـرين لم تشـفعْ لديـكِ لقـاءَ
وظليلـتُ أحْسُـدُ زائريـك وخِلتُـني رتعاءَ تحسُـد أختهـا العجفـاء[١٩٧]
في كـل حـدْبٍ ينسـلون ولم أكـنْ ـ وهـواكِ ـ فيهـم نسـلةً نكـراءَ
وَهَبي ثقيلَ الظل كنتُ فلم أُطَـقْ فمـا أطَقْـتِ ـ فديتـكِ ـ الثقـلاءَ
يـامصرُ لي وطـنٌ أُجِـلُ عطـاءَه ويُحِـبُ فيَّ سماحـةً وعطـاءَ
يغشى الدُروبَ علـيَّ حتـى إنـني لأكـاد أفقِـدُ في الزِحـام رداءَ
وبمصـرَ لي وطـنٌ أطـار بجـوِّهِ مالأطـار بغـيره أجـواءَ
أجـدُ العـوالمَ كلُها في سَـفْحه سـبحانَ خـالقِ كونِـهِ أجـزاءَ

---

[١٩٦] ـ القلة الوطفاء: طويلة الهدب.
[١٩٧] ـ الرتعاء: الشبعانة السمينة. العجفاء: الجائعة المهزولة.

ياسِــدرةً في المنتهـــى لم تعـــترف إلا الظــلالَ الخضـــر والأفيـــاءَ[198]
عــاطي ظلالَــك "نــاصراً" فلطالمــا عــاطى الجمـــوع ظلالَـــه وأفـــاءَ
وعليــكَ يــافخر الكفــاح تحيَـــةً في مثـــل روحـــك طيبـــةً ونقـــاءَ
إن تقض في سُوحِ الجهـاد فبعدَمـا سَــعَّرْت فيهـا الرمــل والرمضــاءَ
ولقـد حملـتَ مـن الأمانـةِ ثِقْلَهـا لم تُلْقِهـــا بَرَمـــاً ولاإعيــــاءَ
نَمْ آمنــاً، ســتُمِدُّ روحُــك حــرَّةً وسْــط الكفــاحِ رفــاقَك الأمنــاءَ

---

(198) ـ تعترف: تعرف.

الثمانينات

ماذا أغنّي؟

أرسلها الجواهري الكبير إلى صديقه السيد جلال الطالباني رئيس حزب الاتحاد الوطني الكردستاني في ١٩٨٠/١٢/١٠ جواباً على رسالته التي يستثيره فيها على أن "يغني" من جديد بعد صمت غير قصير. وهذه القطعة لم تحوِها الطبعات السابقة من دواوينه. وقد نشرت لأول مرة في كتاب الجواهري في العيون من أشعاره.

شوقاً "جلال" كشوق العين للوسن ... كشوق ناءٍ غريب الدار للوطن

شوقاً إليك وأنت النور من بصري ... وأنت مني محل الروح في البدن

وأنت من قلة يسخو الزمان بها ... تستلُّ من كثرة عبءٍ على الزمن

شوقاً إليك وإن ألوَتْ بنا مِحَنٌ ... لم تدرِ أنا كفاء الضُرِّ والمحن

لم تدر أن فراق الصامدينَ لها ... هو اللقاءُ على نهج من السنن

مستَوثِق ينتهي سَعيُ الحجيج به ... حيثُ ابتدت صَيْحةُ الغادين بالوثن

يـاابن الـذُرى مـنِ عُقـابٍ غـيرِ مُصعـدةٍ   شُـمّ النسـور بـه إلا علـى وهـن
يَرقـى السـماواتِ عملاقـاً، وتحضنُـه   غـرُّ النجـوم، ويلقاهـا بمحتضـن
حتـى إذا هـزّ عطفيـهِ، وعـاودهُ   رعـيُ السـفوح بمنجـاةٍ مـن الفـتن
تلقفتـهُ ينـابيعُ، وأوديـةٌ   خضـرٌ تجلبـبنَ مَوشـياً مـن اليمـن
مـن لطفهـا وتسـاميه مشـى بشـر   فيهـا بأحسـن مـن خلقيهمـا الحسـن
من كـل أبيـض صهّـال بهـا حـرد   آب عَضـاض لجـامٍ منـه أو رسـن
صعـب الشـكيمة مـرداةٌ مقحَمـة   مستبسـل، مسـترابُ المتطـى حـزن
طـابت ألوكتـك الغـراء تنفحـني   بعطر عهـد كريعـان الشـباب جـني
وذكريـات كـأنّ البعـد يصبغهـا   بكـلِ مفتـتن فيهـا لمُفتتَـن
حسبي غنـاءً بمـا فجّـرت مـن ألمٍ   مـبرّح في حنايـا الصـدر مُخـتزن
وحسبُ شـعري فخـراً أن يحـوز على   راوٍ كمثلـك نـدب، مُلهَـم فَطِـنْ
عـفُّ النقيبـة، حيـث العَـفُّ نـادرة   وطـاهر النفـس لم تطـرق علـى درن

يـاصفوةَ الصفـو من صحـبي وأقربهـم   مـني، وأصدقهـم في السـر والعلـن
ناشـدتني ولبَعـضِ النشـد معتبـةٌ   وربَ مَعتبـة مـن سـيء الظِنـن
أن لاأزمَ ـ كمـا عُـودتُ ـ مـن شـفةٍ   لم تلـف مزمومـة يومـاً، ولم تكـن
وأن أغنِـي، وأن أحـدو ـ تريدُهمـا   للثـائر الحـرِ لاللطـير في الفنـن
صفحـاً جـلال، فقـد أفـززت هاجعـة   من الرؤى، وأطرت النوم عـن شجني
فوالـدي صـاغ تمثـالاً لصورتـه   مـن الضمـائر لم تُجحـدْ ولم تَبِـن

إني –كعهدك– تلك النار تعرفها ... وذلك الصُلب، لم تخمُدْ، ولم يكن
لم تُلِف من مصطلٍ شهمٍ يؤججُها ... أومحترب بمدوي وقعة قمن
فما التغني؟ ولاموحٍ، ولاسمر ... ولاسميع وكلٌ لفّ في كفن
ماذا أغني، وبي جمرٌ على شفتي ... ومن أغنِي؟ ومامن معشر أذن
لم يبق في "الحيِ" من يحمي ظَعينتَهُ ... ولا على الدار من يرمي عن السكن
لايُصرخ الجارَ منهم عرضُ جارته ... ولايُغنِّي طليقاً موت مرتهن
أم أنت تقرُن من أمس وعزّته ... وذُلّةِ اليوم، أمر غيرَ مقترن
شتّان أيّامَ تبكي روضةُ أنفاً ... ويوم تُدعى لكي تبكي على دمن

من ذا أغنّي أشتاتاً موزّعةً ... على التمزّق والثارات، والإحن
أم صابرين على ضيم ومسكنة ... صبر الحمار على مرأى من الأُتن
أم "الطلائع" مزعومين شفّهمُ ... وجدُ التجار بسوق الربح والغَبن
أم "الربيط" كعير الحيِ في وتَدٍ ... من المهانة لايرضى لمتهن
ماكان أبعدَ يوميه.. على طنفٍ ... من "الإمارة" مِلء العين والأذن
لايرفع الطرْفَ تيهاً في مخاطبةٍ ... ولايَنمُّ بوجهٍ غير مُحتقن
ويوم لاخبرٌ عنه سوى نتفٍ ... من التنادُر في حِلٍّ وفي ظعن
داري فحُكّمَ فاستوصى على همل ... مضيّعين ضياع الماء في اللبن
مُستَوزرين، وملمومين عن شعثٍ ... مثل الجحاش وملزوزين في قرن
وسلّطَ العُهركي يحمي مقاتلةً ... ويقذفُ الطهر في مستوبئ عفن
حتى إذا عصف الدولابُ، وارتطمت ... هو العواصف بالسفّار والسفُن

مـاتت "فحولـةُ" أيـامِ الرخـاء بـه   واليـوم يدفـعُ عنـه العـارَ بـالعَنن
وقلـتَ لي أنَّ "ناسـاً" شـفهم نغمـي   بـه بمنـون في السـرّاء والحـزن
فهـل تراني "مزمـاراً" يُثـار بـه   لهو الخلائف من أعقاب "ذي يـزن"
تبـاً لهـم، أفـلا ثـاروا ليطربهـم   شدو الرصاص ولحـن الصـارم اللـدن
فمـن يَطُـح منهُـم في غـير معـترك   فـلا سـقت قـبره صبّابـةُ المـزن
ومـن يَعِـشْ ليناغي سمعـه نغـمٌ   فليُصـغِ سمعـاً إلى مسـتنقعٍ نـتن
نـقُ "الضفـادع" يغنيـه ويؤنسـه   وإنـه عـن هُتـاف الثـائرين غـني
إيـه "جـلال" ومـاعُودي بمحتطـبٍ   ولسـت مـن نفـرٍ مخضوضـرٍ مـرن
فـإن يُسـئك مقـال غـير مُدَّهـن   فعـذره أنـه مـن غـير مُدَّهـن
ماأسخف النـاس مسبوكين مـن ذهـبٍ   ومُوحِلـين، ومنفوشـين مـن عهـن
وضـائعين أبـاديدا كصارحـة   لم تغـن مـن أمرهـا شـيئاً ولم تُعـن
خـامرتهمْ غـير مامسـتغفل بهـم   لكـن كمـن خـين في عهـدٍ ولم يخـن
وكنـت "وعـداً" لهـم في كـل مرتقـبٍ   ماحـان منـه، وماسـتأنى فلـم يَحِـن
فمـا مشـت بهـمُ الأيـامُ، وانتبـذوا   بالمركب السهل ظهـر المركـب الخشن
إلاّ وقـد أدبـروا عـن أي مؤتمـنٍ   واسـتقبلوا أيّ غـدّارٍ بهـم أفِـن
وغـادروني بموهـاةٍ مصوّحـةٍ   وعنـده غـرف الجنّـات مـن عـدن
حتـى كـأني -وأشـبالي- بعيدهـم   عُفْرُ الأضـاحي مـن المنحـورة البُـدُن
وكنـت منهـم كمصلـوب علـى "وثـنٍ"   صحـا علـى ربـه يومـا فلـم يـدن

ياصـاحبي ـ ويمـوت المزمنـون غداً ـ   وخـالدٌ صِـدقُ قـول نـاطقٍ زَمِـن

لئن ندمتُ علـى مافـات مـن زمـن	فلسـت آيـسُ إن يمتـدّ بـي زمـني
كيمـا أروحَ أُصـالي كـل ذي دَخـلٍ	مـن أمرهـم، وأعـرِي كـل ذي دَخَـنِ
وكـي أنشُّـرَ مِـن عوراتهـم مِزَقـاً	مشـهرات علـى الأريـاف والمُـدنِ
اذَنْ سيدرون معنى "الرَّمِ" من شفةٍ	لم تُعطَ يومـاً، ولـن تعطي لـذي لَسـنِ
فلـن أغـني بـأعراسٍ مُهلهَلـةٍ	ولـن أنـوح علـى موتـي بلاثمـن
ولـن أطـوح نشـواناً بليلتهـم	حُبلـى بمُفتَعـل الثـوراتِ والفتَـن
ولـن أُطـار بمرجويـن في غدهـم	مـن البدائـل في الأصبـاغ والسِحَن

"جـلال" صُنـتُ عهـوداً بيننا وثقـت	فمـا توثقـتَ مـن عهـدٍ بهـا قصُـن
لاتبغني بوق "حـرب" غيـر طاحنـةٍ	بهـا تزيّـا كـذوب زيَ مُطَحّـن
ولا تردنـي لحـال لسـت صاحبهـا	ومـاتردني لحـال غيرهـا أكـن
شـوقاً "جـلال" كشـوق العيـن للوسـن	كشـوق نـاءٍ غريـب الـدار للوطـن

ياابن الثمانين

*نشرت في جريدة "الشرق الأوسط" ١٩٨٢/٢/١٩

حسب "الثمانين" من فخر، ومن   غِشيانُها بجَنانٍ يافعٍ، خضِلِ
طلقٍ كما انبلج الأصباحِ عن سَحَر   ندٍ، وزهرُ الربى عن عارض هَطِل
وناعِمِ البال، نشوانٍ بما نَضِجت   كأسُ الحياةِ، وماأبقتْ من الوَشَلِ
وحاضنٍ لبنات الدهر، مضْطِلعٍ   بما تصرَّف من بُرءٍ ومن عِلل
"ياللثمانين" ماملَّت مطاوحَها   لكي يُعاودها خوف من المَلَل
لم تَألُ تنهلُ عَبًا من مرارتها   وتستجمُّ على معسولة عَلَل
نفسٌ تجيشُ بإعصار، وخافقةً   تحن للكأسِ، والأسمارِ، والغَزل
كأن صحوَ الرُؤى في كل نازلة   يشدّني بطيوفِ الشارب الثمِل
وأنت ياابن "الثمانين" استرحتَ بها   كما تظنّنتَ من لومٍ، ومِنْ عَذَلِ

جـاءت تحـييـك في أعيادهـا قِـذَعٌ نكـراءُ، لقنهـا السـاداتُ للخَـوَل
وفَتَّكَ نُـذراً لهـا عمـا وفيـتَ بـه مـن النـذور لَـدُن أيـامِكَ الأوَل
يابن "الثمانين" صبراً أنـت صاحبُـه فيمـا تضيـقُ بـه أضـلاعُ مُحتمِـل
لاتـأسَ إنْ عضّـت البلـوى بنـاجذة ماإنْ بها من عُضاضِ الناس من كلل
فلسـت بـاغي مَثوبـاتٍ ومـاخُلِقتْ كـفُ الكريم لتسـتعدي علـى بـدل
وقـد تَمَرَّسْـتَ بالدنيـا تُمحِصُهـا في كـل مُسـتدبَرٍ منهـا ومُقْتَبَـل
وقـد تشـككتَ حتـى لسـتَ ذا ثقـةٍ بـالنَّجْح إلا علـى هَـدْيٍ مـن الفَشَـل
صـبراً علـى فلـذات الحـر داميـةٍ تُهْدى عل كفِ "حشّاش" إلى "نَغِل"
وكـن كعهـدك "سَـحَاراً" بمعجـزةٍ تحـولِ الصَـابَ مسـموماً إلى عَسـل
يَشـفي ضَمـيرَك مـايُدْرِيكَ مـن حَـزَن ويَسحقُ اليـأسَ ماتجـترُّ مـن أمـل

يـا"ابـن الثمـانين" كـم عُولجـت عـن بالمُغْريـات فلـم تُشْـرَقْ، ولم تَمِـل
كـم هـزَّ دَوحَـك مـن "قـزْم" يُطاولُـه فلـم ينلْـهُ، ولم تقصـر، ولم يَطُـل
وكـم سـعت "إمَعـاتٌ" أن يكـون لهـا ماثـار حَولـك مـن لغـو، ومـن جَـدل
ثبِـتْ جَنـانك للبلـوى فقـد نُصِبَـتْ لـك الكمـائنُ مـن غـدرٍ، ومـن خَتَـل
وَدَعْ ضمـيرَكَ يَحـذَرْ مـن براءتـه ففـي الـبراءاتِ مَدعـاةٌ إلى الزَلـل
لئـن تخلَصـت مـن أنيـاب مهلكـة فكـم تلوَيـت في أشـراكِ مُحتَبِـل
لاتنـسَ أنـكَ مـن أشـلاء مُجتمـع يَديـنُ بـالحقدِ، والثـارات، والدَّجَـل
يستنفرُ اليوم عـن "أمـس" إلى "غـدهِ" علـى "المذاهـب" ، والأنسـاب
حـربٍ علـى كـل "موهـوبٍ" وموهِبـة لديـه مُسـرَجة الأضـواء والشُـعَل

لو استطاع لغطّى الشمسَ عن حَنَق ... وَسَامَ رأدَ الضحى ذلاً من الطفَل

طبائعٌ، عَنجَهيَاتٌ يغلّفها ... من الحضارة مصبوغٌ من الحلَل

وموكبٌ موحش الأرجاء مُصحِرُها ... يمشي "الحفَاةُ" به في ظِل مُنتعِل

كنتَ الغريب به لاأنت تألفه ... فتستريحَ، ولاعَنْه بمنعَزل

ومازال على رثِ الحبال به ... تلقى الحياة بحبل منه مُتّصل

لم تُبْق في الصُلب من أعرافه "وثناً" ... إلا وعَرّيت، من "غوثٍ" ومن "هُبَل"

فكيف تطمع أن تُعفيك ثاكلةٌ ... وأنت النذير لها بالويل والثكَل

عصرتهم فتحمَّل وضرة الثقل ... ودُستهم فتوقع غضبة الخَوَل

نبِّئت "شِرذمةُ الأذناب" تنهشني ... بمشهد من "رُمَاةِ الحي" من "ثُعَل"

ياللحفيظَةِ لم تظفَرْ بذي شَممٍ ... وللشهامة ملقاةً على طلل

أيستثير دمي "وغْدٌ" و"صاحبُه" ... بما يثير رمالَ السَهْل، والجبل

ولاينِدُّ فمٌ لابَعْدَه خَرَسٌ ... ولاتُمدُّ يد لاتشْفَ من شلل

لمن إذن خِلَقٌ مزعومة خُلقت ... للسريّ؟ أم الأستار وَالكُلل؟

قد كان شوطُ رجولاتٍ مشرِفةٍ ... لو كان تحت سِبال القَوم مِنْ رَجُل

وكان للنُبل ميدانٌ يُصال به ... فلم يجُلْ مُدّعٍ منهم ولم يَصُل

مَنْ مُبْلغٌ القوم لم تَعْرف دماؤهُمُ ... طعم "المَهَاداةِ" عند الحادثِ الجلل

الخانعين بمنجاةٍ تسومُهمُ ... جدعُ الأنوف، وذلَّ العاجزِ الوكِل

والمسلمين أخاهم في بليّتهم ... والهاربين من العدوى على عجل

والنـاكثين بعهـدِ الحـَـرْفِ منتفضـا ... على الضغـائن، والبهتـان، والدجـل
والمبصريـن فـإن عنَّـتْ مُجَلَّحَـةٌ ... ففـي العيـون غِشـاوات مـن "السَّبل"
إن الحيـاة معانـاة وتضحيـة ... حـب السـلامة فيهـا أرذل السبل
وللبطـولات جـولات، وكـم شـهدت ... سوح الوغى لحماة "الحـرف" مـن بطـل
وثـمَ مـن لعْنـةِ الأجيـال جازيـةٌ ... تقتـصُ مـن قولـةِ حـق ولم تُقَـل
ومسـتَفز لخـوّانِ بمـن حفِظـوا ... عهـد "المـروءات" في حـلٍ ومرتَحَـل
ويـلَ "الكذوبين" مـن يـوم يُسَلُّ بـه ... مخضوضرُ القول مـن مستوبِئِ العمـل
مـاأقرب الشـوطَ مـن "مرذولـةٍ" سَـفِل ... و"سـاكتين" علـى "مرذولـةٍ" سَـفَل

أقـول "للخِـدن" ماحـالت مَودَتُـه ... فطـنٌ أن عهـود النـاس لم تَحُـل
سلني أُجبْكَ بما يعيا "الجـواب" بـه ... وإن ينـل منـك إشـفاقٌ فلاتَسَـل
فقد تقرحتُ حتى العظـمِ مـن شجن ... دامـي الشَكاةِ بلـوحِ الصـدر معتمِـل
أُجبْكَ عـن نُصُـبٍ أعـلامِ "مقلَمَـة" ... غُفْـل شـتاتٍ إذا كشَـفتَهم هُمْـل
و"للّتمـاثِيلُ" يُستوحى بهـا "مُثُـلٌ" ... خيرٌ من البشـر لاخـالين مـن "مُثُـل"
"خُرْسٍ" وإن خَرقوا الأسماع في هَـذَر ... يُغثي النفوسَ، وفي مرصوفة "الجُمَل"
وعن "كـروش" "زعامـاتٍ" كـأنَّ بهـا ... من فُـرطِ مـااعتلفتْ مَسَاً مـن الحبَل
الضـاحكين "بنصف السـن" كاشـرةٌ ... وينطِـف "النصـفُ" مطويـاً علـى "دخـل"
يستأسـدون إذا مُـدَّ العنـانُ لهـم ... فـإن يُشَـدَّ تـردُّوا بـزَّة "الحَمَـل"
"سـتين عامـاً" أسـاقيهمْ مشعشـعَةً ... من خـالص الـودِ، والأشـواق، والقُبَـل
ماسـاءهم قَرحـةٌ تُشوى بهـا كبـدي ... ومايسـرّهم كحـل علـى المُقَـل

حتـى إذا مسَـني ضُـرٌّ، وأسـلمني غـدر "الجبـان" لجـرح غـير مندمـل

وكنـت أن ألتقـي "وغـداً" يجشِـمني "عــار الـنِزال" بـلا حَـوْل ولاقِبَـل

مـروا "لئامـاً" علــى الظـامي وغلّتــهِ وعندهـم كــلُّ مايَشـفي مـن الغلـل

وغــــادروه "بمُومــــاةٍ" كــــأنهم ليسـوا ذوي ناقــةٍ منــه ولاجَمَـل

يا"صاحبي" وحتوفُ القوم طَوْع يـدي وكم أتتهـم "ريـاح المـوت" مـن قِبَلـي

أَجِــلْ يراعَــك في آجــالهم مِزقــاً فليـس عنـدك بعـد اليـوم مـن أجـل

واضرب بهم أسـوأ "الأمثـال" سائرةً حتـى تثِلـمَ فيهـم مضـربَ المَثَـل!

أأبا مهند

أهدى الجواهري قصيدته "أأبا مهند" إلى الدكتور صابر فلحوط نقيب الصحفيين في القطر السوري ومدير الوكالة العربية السورية للأنباء (سانا) جواباً على قصيدة أرسلها فلحوط إلى الجواهري في براغ بتاريخ ١٩٨٣/٧/٥ وقد نشرتها مجلة "المجلة" التي تصدر في لندن في ٢٢ كانون الثاني "يناير" ١٩٨٥.

أأبا مُهَنَّدَ والجِراحُ فَمُ ... وَعَلَى الشِفَاهِ مِنَ الجِرَاحِ دَمُ
وَعَلَى الشِفاهِ تَمُورُ طَاغِيَةً ... حُرَقٌ تُصَعَّدُ ثُمَّ تَنْهَزِمُ
أأبَا مُهَنَّدَ يَاأَخَا خَلَصتْ ... مِنْهُ الطِبَاعُ وَطَابَتِ الشِّيَمُ
تُعْلِي الفَصَاحَةُ مِنْ صَبَاحَتِهِ ... ويَزِينُ رقَّةَ لطْفِهِ الشَمَمُ
أشْكُو إليْكَ وإنْ زَوَى أَلَمِي ... غَضَبٌ تَقَاصَرَ دُونَهُ الألَمُ
أرْضاً تَنَاسَخَتِ الشُرُورَ بِهَا ... وَتَهَاوَتِ الأَقْدَارُ والقِيَمُ
غَطَّتْ عَلَى رَأسٍ بِهِ قَدَمٌ ... وَتَسَاوتِ الأسْفَالُ والقِيَمُ

يَاصَائِغَ البِدَعِ الحِسَانِ بِهَا ... يَتَجَاوَبُ الإِحْسَاسُ والنَغَمُ
بَيْنِي وبَيْنَكَ فِي الهَوَى صِلَةٌ ... مَا إِنْ يَجِيءُ بِهَا رَحِمُ
حِجَجٌ تَخِبُّ بِنَا وَنَحْنُ فَمٌ ... لِفَمٍ بِحَبْلِ الصَبْرِ نَعْتَصِمُ
نَتَقَاسَمُ الآهَاتِ يَجْمَعُنَا ... فِي النَائِبَاتِ الهَمُّ والهَمَمُ
نَشْدُو فَيَنْسَجِمُ الهَوَى شَرْقاً ... بِالحُبِّ والنَجْوَى ونَنْسَجِمُ
وَتُضِيءُ شَمْعَتُنَا فَيُطْفِئُهَا ... مُغْبَرُّ دَرْبٍ كُلُّهُ ظُلَمُ
أَأَبَا مُهَنَّدَ والجِرَاحُ فَمٌ ... وَفَمِي بِهِ مِنْ جُرْحِهِ وَرَمُ
مَاذَا سَيَبْقَى لامْرِئٍ حُجِبَتْ ... عَنْهُ الرُؤَى ــ والرَأْيُ ــ والكَلِمُ
أَأَبَا مُهَنَّد رُبَّ عَافِيَةٍ ... خَرْسَاء يُحْمَدُ عِنْدَهَا السَقَمُ
لا أَظْلِمُ التِسْعِينَ يَعْوِزُهَا ... سِتٌّ ويُطْبِقُ بَعْدَهَا العَدَمُ
فَلَطَالَمَا شُدَّتْ نَوَابِضُهَا ... بِالأَرْبَعِينَ وَكُلُّهَا ضَرَمُ
لَكِنْ بِمَا اخْمَدْتَ جَمْرَتَهَا ... فِيمَا يَشِيعُ اليَأْسُ والسَأَمُ
دَاءَانِ إِمَّا اسْتَحْكَمَا صَنَعَا ... بِالنَفْسِ مَا لا يَصْنَعُ الهَرَمُ
بَلْ لَوْ كَفَرْتُ لَهَزَّنِي نَدَمِي ... لَوْ جَازَ عَنْ خَيْرٍ مَضَى نَدَمُ
أَأَبَا مُهَنَّد مَسَّنِي بَرَمٌ ... وَرَدِيفُ كُلِّ فَجِيعَةٍ بَرَمُ
عِنْدِي لَوَاعِجُ تَسْتَفِزُّ دَمِي ... وَتَحُزُّ مِنْ جِلْدِي وَتَقْتَحِمُ
أَبَداً تُعَاوِدُنِي وَسَاوِسُهَا ... وَيَرُجُّ فِيهَا اليَقْظَةَ الحُلُمُ
حَتَّى إِذَا حَاوَلتُ أَلْفُظُهَا ... عَاصَى بِهَا القِرْطَاسُ والقَلَمُ
وَتَيَبَّسَتْ والشَجْوُ يَخْنُقُنِي ... كَالسَيْفِ يَوْمَ الرَوْعِ يَنْثَلِمُ
مَا نَحْنُ مَادُنْيَا مُصَعَّدَةٌ ... غُرُّ النُجُومِ لأَرْضِهَا خَدَمُ

مَاالنَــاسُ. مَاالإنسَــانُ. مَــاكتَلٌ مَرْفُوضَــةٌ. مَــاهَذِهِ النُظُــمُ

مَاحُرْمَــةُ القَــانُونُ دَنَّســهَا مَــنْ سَــنَّهُ مَــاالْحِلُ. مَــاالْحَرَمُ

أبــلادُ مِلْــحِ تَحْــت رَمْلَتِهَــا بَحْــرٌ مِــنَ الإبْرِيــزِ يَلْتَطِــمُ

وَعَلَــى الــثَرَى الْمُنْهَــار أعْمِــدَةٌ سَــبْعٌ وَهُــنَ لِعِــبْرَةٍ حكَــمُ

يُغْــرِي بهَــا السُــلْطَانُ واعِظَــهُ إنَ الحظُــوظَ عَلَــى الــوَرَى قِسَــمُ

قِسَــمٌ عَلَــى خِــزقٍ بمــا غَنِمُــوا وَعَلَــى عَبَــاقِرَةٍ بِمَــاحُرِمُوا

أفَأُمَــةٍ هَــذِي الــتي هَزُلَــتْ وَتَنَــاثَرَتْ فَكَأَنَهَــا أُمَــمُ

يَسْــطُو عَلَــى صَنَــمٍ بِهَــا صَنَــمٌ وَيَغَــارُ مَــنْ عَلَــمٍ بهَــا عَلَــمُ

وَيُسَــاوِمُونَ عَلَــى شُــعُوبِهِمُ أعْــدَى الخُصُــوم كَــأَنَهُمْ حَكَــمُ

أمُشَــرَدُونَ وَأرْضُهُــمْ ذَهَــبٌ ومُجَوَعُــونَ وَنَبْتُهَــا عَمِــمُ

أفَــألْف مليُــون وَقِبْلَتُهُــمْ بيَــدِ اليَهُــودِ الصُفْــرِ تُقْتَسَــمُ

خَــوَتِ النُفُــوسُ فَمَــا بهَــا نَفَــسٌ وَعَفَــا الجــوَاءُ فمــا بِــهِ نَسَــمُ

وَمَشَــى يَلُــفُ النَــافِحِينَ بهَــا أحْضَــانُهُمْ وَرُؤُوسُــهُمْ رِمَــمُ

عَــنْ كُــلِ مَــايُقْذِي العُيُــونَ عَمَــى وَعَــنِ الَــذِي يَلِــدُ الصَــدَى صَمَــمُ

وَغفَــا الشَــبَابُ فَمَــا لَــهُ أرَبٌ فِــي "سَــدِ مَــارِبَ" سَــيْلُهُ العَــرِمُ

أأبَــا مُهَنَــد شَــرُ مَــنْ حَكَمُــوا مَاكَــانَ لَــولا ذُلُ مَــنْ حُكِمُــوا

مَــاذَا عَلَــى الرَاعِــي إذَا اغْتُصِبَــتْ عَــنْزٌ وَلَــمْ تَتَمَــرَدِ الغَنَــمُ

يَاأيُهــا "الطَــاعُونُ" حُــلَ بِنَــا وَبِمِثْــلِ وَجْهِــكَ تُكْشَــفُ الغمَــمُ

أأخي أبا سعد...

*مهداة إلى الدكتور صلاح خالص. نظمها الشاعر في براغ ١٩٨٤/١٢/٣٠.

*تنشر لأول مرة في كتاب الجواهري في العيون من أشعاره ١٩٨٦.

أأخـي "أبـا سـعد" ومـن قبـل ... أهـدي سـتقبس جمرتـي قبسـا
يـاصفو إخـوان الصفـاء إذا ... مـاجفّ نبـع مـروءة وجسـا
شـوقاً إليـك يشـدّ نابضـه ... حـبٌ ترعـرع بيننـا ورسـا
والذكريـات تـرف ناعمـة ... رف النسـيم بحسـرة همسـا.

أصـلاح لم تـبرح صفّـي هـوى ... صـدق إذا ماالكـاذب انتكسـا
مـاانفك يومـك مثـل أمسـك عـن غـد ... كلفـا بحـب الخـير منغمسـا

تشتّتُ ضوء الفجر ترقبه   وتميز خيطيه إذا التبسا
عوت "الذئاب" علي ناهزة   فرصا تثير الذئب مفترسا
ينهشن من لحمي وكل دم   فيه لخير الناس قد حُبسا
من كل داج لايحب سنى   للصبح يطمس ليله التعسا
ودفعت جمع يد وملء فم   ومداهن أصغى فما نبسا

"أصلاخ" إني والذي قدرت   يده النفوس وقدر النفسا
لأكفُّ نفسي وهي جامحة   عن أن تروح لغيظها فرِسا
وأصونها ماسطعت عن شرس   وإن ابتليت الحاقد الشرسا
"أصلاح" أنّا رهن مجتمع   يخشى اللصوص فيذبح العسسا
خلساً يسر الصالحين به   والطالحون يسوءهم خلسا
يزهى بفارسه إذا افترسا   وبضوء نجم ساطع طمسا
ونتاج زرع لايداس به   إلا على الزهر الذي غرسا

"أصلاح" لاجزعا كمن يئسا   لكن تفكّرُ مُلهم حدسا
فالموت يدرك كل ذي رمق   كالنوم يدرك كل من نعسا
والمرء مرتطم بحفرته   من قبل أن يهوى فيرتكسا
ماأوحش الدنيا تفرقنا   وكأننا من هاجس هجسا
يبتزّ حاضرنا وقابلنا   شفق يجر وراءه غلسا
والعمر كنز يستضن به   فإذا به يوما قد اختلسا

فضفــاض ثــوب تحتــه رصــد ... بــالمرء يــنزع عنــه مالبســا
جَهِــمٌ يقيــم علــى مدارجنــا ... وعلــى صــدى أنفاســنا حرســا
تعيــا أزاهــير الربــا نطفــت ... بعبــير بســمتها إذا عبســا

"أصــلاح" "مــاجدوى مــني" أنــفٍ ... عــد الســنين يردهــا يبســا
درجــت "ثمــانون وأربعــة" ... وتحجّــر النبــع الــذي انبجســا
ورميــت بالقرطــاس يثقلــني ... وكفــرت بــالقلم الــذي انغمســا
وصحــوت عــن نفــس مضــت عبثــا ... تغري بــ"ليــت" و"ربمــا" و"عســى"
وصحــت فــلا بــالطهر يبطرهــا ... عجبــا ولاهــي تجحــد الدنســا
"أصــلاح" ظــل كــأنت ذا ثقــة ... بــالنفس يقظانــاً، ومحترســا
ســلمت عــبرة خــائف كنســا ... وشــجى بحلــق مفــوه خرســا

من العيون!

... ويسرني في الختام أن أخص بالشكر الجزيل والامتنان العميق أخي وصديقي الأديب والمؤلف "الدكتور عبد الحسين شعبان" على أتعابه وفرط عنايته وجهوده الحميدة سواء بما تقابل به معي في اختيار هذه "العيون" وفيما يختص بضم هذه اللقطة المختارة إلى جانب تلك أو في تصويرها، أو في الإشراف على طبعها وتصحيحها وكما قيل:

من يصنع الخير لا يعدم جوازيه

لا يذهب العرف بين الله والناس

الجواهري

من كتاب "في العيون من أشعاره"

١٩٨٦



أخي العزيز عبد الحسين شعبان

أبا "ياسر" أنت نعمَ الصحيب   وقلّ الصحّابُ ونعمَ الخدين
لقد كنت في محضرٍ والمغيب   ذاك الوفي وذاك الأمين
وفي ذكرياتي كنت الصميم   سمير المعنى وسلوى الحزين

محمد مهدي الجواهري

براغ 2\7\1990

أخي العزيز عبد الحسين شعبان

أبا ياسر، أنت نعم الصحب

وقت الصعاب، ونعم الخلان

لقد كنت في محنتي والتعب

ذاك الوفي، وذلك الأمين

وفي ذكرياتي، كنت الصميم

سمير المعنّى، وسلوى الحزين

المخلص

محمد مهدي الجواهري

براغ ٢-٧-١٩٩٠

المحتويات

صدر للمؤلف

النزاع العراقي - الايراني . بيروت. ١٩٨١.

الصراع الايديولوجي في العلاقات الدولية . اللاذقية. ١٩٨٥.

الصهيونية المعاصرة والقانون الدولي (طبعتان). دمشق . ١٩٨٥.

قرطاجة يجب أن تدمّر. دمشق. ١٩٨٥

مذكرات صهيوني: ترجمة وتقديم . نيقوسيا. ١٩٨٦.

سيناريو محكمة القدس الدولية العليا. نيقوسيا. ١٩٨٧.

امريكا والاسلام. نيقوسيا - دمشق . ١٩٨٧.

الانتفاضة الفلسطينية وحقوق الانسان. دمشق . ١٩٩١.

المحاكمة - المشهد المحذوف من دراما الخليج. لندن. ١٩٩٢.

عاصفة على بلاد الشمس. بيروت. ١٩٩٤.

بانوراما حرب الخليج. دمشق - لندن . ١٩٩٤.

بعيداً عن أعين الرقيب. بيروت . ١٩٩٥.

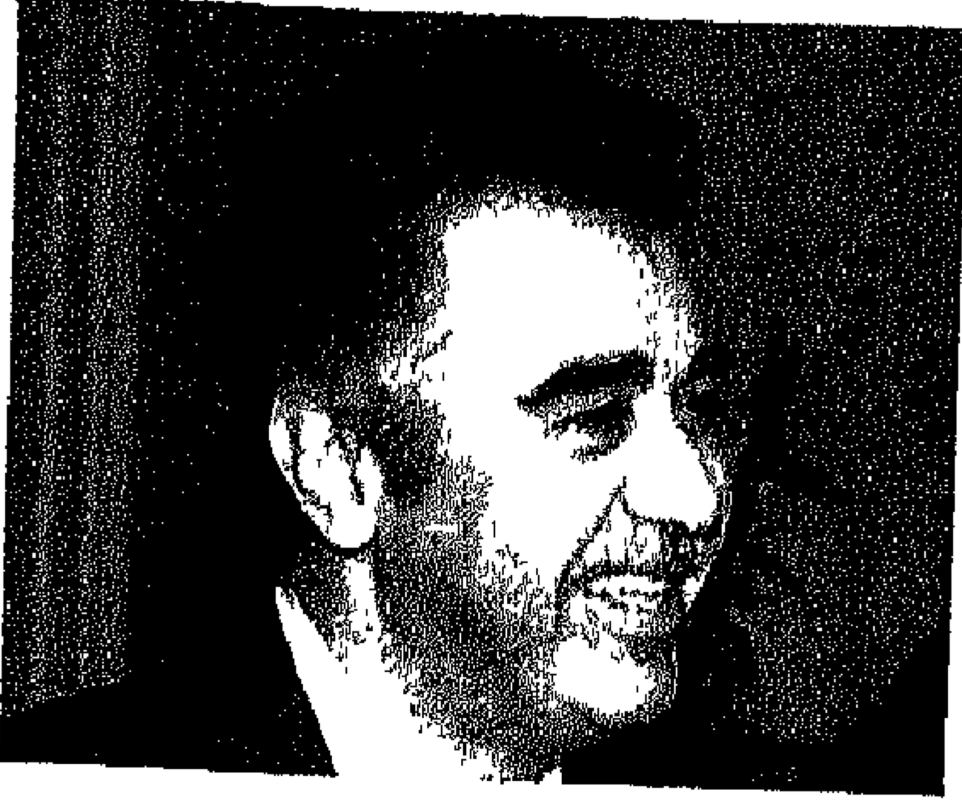
A. HUSSAIN SHABAN

AL JAWAHIRI

A DIALECTIC PEOTRY AND LIFE

DAR AL-KUNOUZ AL-ADABIYA

BEIRUT 1997



المؤلف في سطور

* ولد في مدينة النجف الاشرف في ٢١ آذار (مارس) ١٩٤٥.

* أكمل دراسته الجامعية في بغداد وحصل على درجة بكالوريوس من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية.

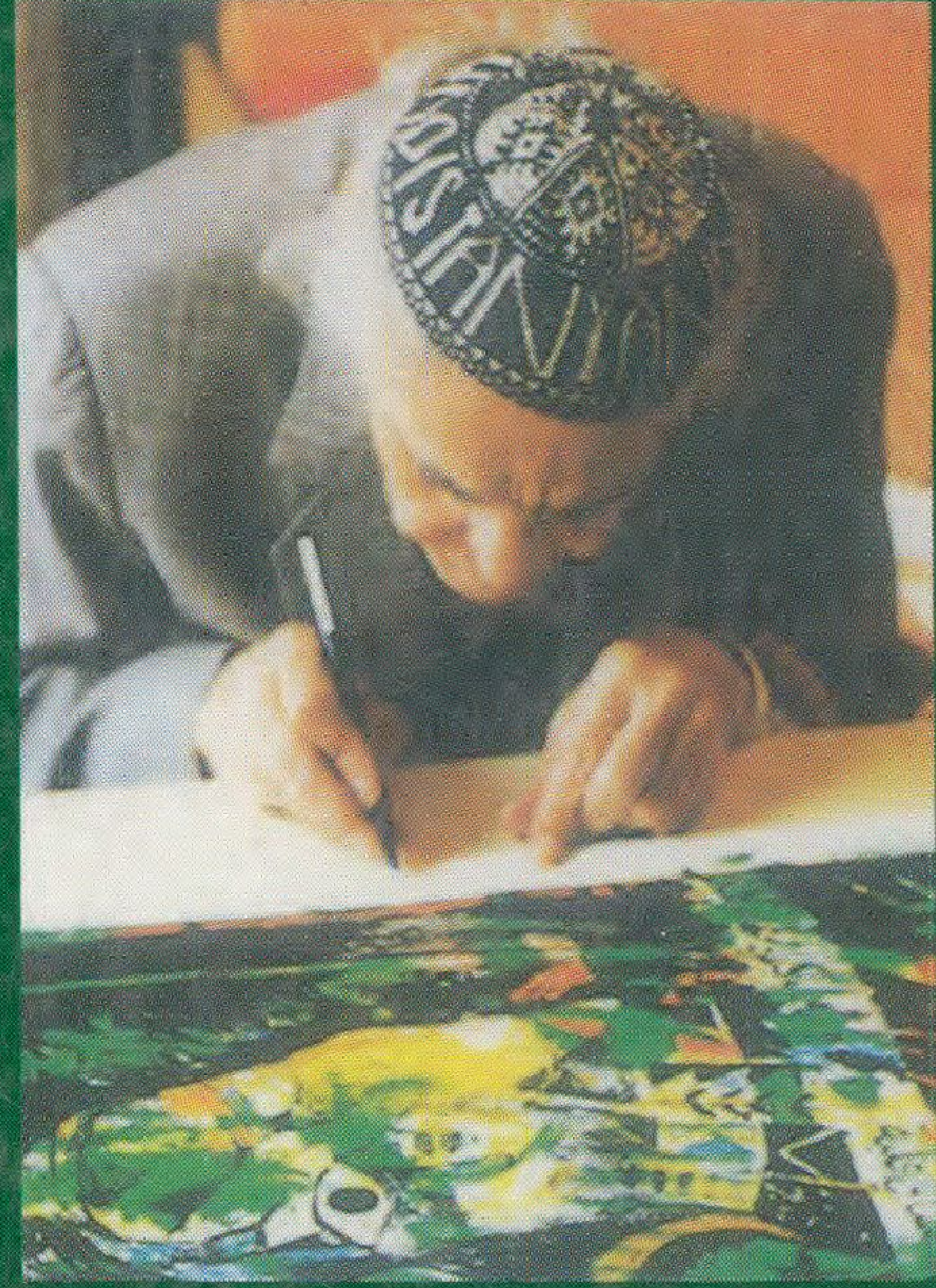
* درس القانون وأكمل دراسته العليا في براغ وحاز على شهادتي الماجستير والدكتوراه. وتخصّص بالقانون الدولي.

* عمل باحثاً علمياً ونشر العديد من الابحاث والدراسات الأكاديمية وصدر له عدد من الكتب والمؤلفات في مواضيع فكرية وسياسية ودولية وثقافية مختلفة. وزاول الصحافة لسنوات.

* عضو اتحاد الصحافيين العالمي وجمعية المحامين العرب في بريطانيا ورابطة المثقفين الديمقراطيين العراقيين.

* ساهم في تأسيس اللجنة العربية لدعم قرار الامم المتحدة ٣٣٧٩ (اللجنة العربية لمناهضة الصهيونية والعنصرية) وشغل منصب أمينها العام . وما يزال عضواً في أمانتها العامة.

* يعمل حالياً مستشاراً قانونياً الى كونه رئيساً للمنظمة العربية لحقوق الانسان في بريطانيا.



هذا الكتاب

لعل من أبرز مزايا هذا الكتاب الممتع إن المؤلف، الذي عُرف بدراساته وبحوثه الفكرية ذات النزعة التجديدية والانسانية ، خرج في تأليفه عن الطرق التقليدية المتبعة في كتابة الدراسات الأدبية والسير الذاتية، التي اعتادت أن تتبع منهجاً معيّناً من مناهج البحث العلمي أو تلزم نفسها بنظرية مدرسة معينة... وانما تخطّاها الى فضاء أرحب، يتسع لرحابة شعر الجواهري وحياته العريضة... فترك البحث يسلك مجراه الطبيعي في تدفق الاحداث وتحرك أجواء الشعر وانسيابه بتلقائية مع جريان نهر الذكريات في ذاكرة الشاعر، وكأنه ليس نوعاً من كتب "الأوتوبايوغرافي" وانما هو فصول رواية شائقة تتعدد فيها المشاهد وتتصارع داخلها الاحداث الدرامية عبر حركة دائبة للشخوص والابطال.

ان الدكتور عبدالحسين شعبان هو أحد الأدباء القلائل الذين نجحوا في اختراق الاسوار العالية ليصلوا الى الجواهري، ويكتشفوا عالمه الغامض الآسر، ليستخرجوا مادة غنية ونادرة لهذا الكتاب المميز. لقد كتب هذا الكتاب السسيوثقافي باسلوب مشرق ولغة شفافة مع تحليل عميق للاحداث والشخصيات، التي عاصر المؤلف بعضاً منها معايشة أو متابعة، مما يعطي للقاريء متعة جمالية فريدة الى جانب غزارة المعلومات التاريخية والادبية.

ان غنى المادة وجدّتها (حول خصوصيات الجواهري) ناهيكم عن متابعة مساراته المتنوعة من خلال النص الشعري، جعلت الكتاب ليس فقط كتاباً أدبياً شاملاً حول شعر الجواهري وحياته وانما جعلته مصدراً تاريخياً لاغنى عنه... سيكتشف فيه القراء عالماً جديداً ساحراً لايحتلّه بجدارة الا الجواهري الخالد

الدكتور عبداللطيف اطيمش

الغلاف من تصميم الفنان العراقي ضياء العزاوي. واللوحة من مجموعة كتابه "تحية إلى الجواهري" للفنان نفسه وهي موقعه من الشاعر الجواهري والرسام العزاوي مع مقدمة للشاعر ادونيس